

العقائد الإسلامية

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

المجلد الخامس

يتضمن مسائل عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطيبين الطاهرين

وبعد ، فإن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من العقائد المركزية في الأديان الإلهية ، وقد اهتم بها علماء المسلمين ، خاصة علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وبحثوا مسائلها بإجمال وتفصيل ، وسلکوا المنهج الكلامي الذي يغلب عليه الطابع العقلي ، أو المنهج الحديثي الذي يغلب عليه الطابع النقلي ، وإن كانت عملية الإستدلال عملية عقلية دائماً ، لأنها ترتيب مقدمات للإنتقال بها إلى نتيجة سواء كانت مقدماتها عقلية أو نقلية ، أو مركبة .

وقد اخترنا لسلسلة العقائد الإسلامية المنهج الحديثي المقارن ، وتوسعنا في هذا المجلد في بحثين من بحوث العصمة:

الأول: العصمة في القرآن ، فبحثنا طوائف من الآيات الكريمة لا يمكن تفسيرها إلا بالمعصومين من الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام .

والثاني: مقارنة عقيدة العصمة بين الإسلام واليهودية ، لبيان دور اليهود في

تخريب عقيدة عصمة الأنبياء ﷺ وتأثر المسلمين بهم ! فاليهود هم الذين فتحوا باب التنقيص من مقام الأنبياء والأوصياء ﷺ ، وطوّّلوا ألسنتهم عليهم ، واتهموهم بارتكاب أخطاء ومعاصي وأفعال مشينة ، حتى الكفر بالله تعالى !

ومن المؤسف أن النصارى تبعوهم في ذلك ، ولم يستثنوا إلا نبي الله عيسى عليه السلام فقط. ثم تبعهم جمهور المسلمين فاستوردوا منهم أكثر اتهاماتهم للأنبياء ﷺ وافتراءاتهم عليهم ، وكان السبب الأكبر في ذلك أن الخلافة القرشية قامت على سياسة منع المسلمين من التحديث بأحاديث نبيهم ﷺ ، وقرّبت عدداً من حاخامات اليهود وقساوسة النصارى ، وأطلقت ألسنتهم في نشر ثقافتهم بين المسلمين فنشروها باسم الإسلام ، وغرسوا في أذهان المسلمين التصور اليهودي الظالم للأنبياء والأوصياء ﷺ ، ودخل كل ذلك في كتب الصحاح والتفسير والسيرة ، وورث ذلك أجيال المسلمين على أنه حقائق دينية !

ولولا وقوف أهل البيت ﷺ وعلماء مذهبهم في مقابل موجة الثقافة اليهودية ، لاتسعت زاوية الانحراف ، وتضاعف الافتراء على الأنبياء والأوصياء ﷺ ، بل على الله نفسه تبارك وتعالى ، ولم يبقَ مَنْ يعتقد بعصمة الله وأوليائه ، ويدفع عنهم افتراءات اليهود والمتهوكين !

إن النص التالي يَصوِّرُ لنا عمق الفاجعة التي حَلَّتْ بثقافة الأمة الإسلامية من تبني السلطة القرشية للإسرائيليات ، ويكشف نوع عمل الأئمة ﷺ في معالجتها: قال الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٠/٢: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المؤمن مع أهل الملل والمقالات ، وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رض) والحسين بن إبراهيم بن أحمد

بن هشام المكتب ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات ، فلم يبق أحد إلا وقد ألزمه حجته كانه ألجم حجراً ، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم. قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١) ، وفي قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. (الأنبياء: ٨٧) وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا. (يوسف: ٢٤). وفي قوله عز وجل في داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنْمَا فُتِنَاهُ. (ص: ٢٤) ، وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله: وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. (الأحزاب: ٣٧)

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا علي إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله عليهم السلام الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك ، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. (آل عمران: ٧). أما قوله عز وجل في آدم: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (طه: ١٢١) ، فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة ، وكانت المعصية من آدم في الجنة لافي الأرض ، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتمام مقادير أمر الله ، فلما أهبته إلى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: أَنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٣٣) وأما قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. إنما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عز وجل: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

رَزَقَهُ. (الفجر: ١٦) أي ضيق عليه رزقه ، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.
وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة ، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف: ٢٤) يعني القتل والزنا. وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور ، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار ، فخرج الطير إلى السطح ، فصعد في طلبه ، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان ، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها ، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته ، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا إمام التابوت ، فقدم فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود ، فكتب إليه ثانية أن قدمه إمام التابوت فقتل أوريا ، فتزوج داود بامرأته !
قال: فضرب الرضا عليه السلام يده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليه السلام إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ، ثم بالفاحشة ثم بالقتل ! فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته ؟

فقال: ويحك ! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب ، فقالا: خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدُنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ، (صا: ٢٢-٢٤) فعجل داود على المدعى عليه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ

بِسُؤَالٍ نَعَجَّتْكَ إِلَى نَعَاجِهِ، وَلَمْ يَسْأَلِ الْمَدْعَى الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى الْمَدْعَى عَلَيْهِ فَيَقُولَ لَهُ: مَا تَقُولُ؟ فَكَانَ هَذَا خَطِيئَةً رَسَمَ الْحُكْمَ لَا مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ ! أَلَا تَسْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا دَاوُدُ أَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. (صَاد: ٢٦).

فقال: يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلمها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً ، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلمها كان داود عليه السلام ، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه ، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا. وأما محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقول الله عز وجل: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. (الأحزاب: ٣٧) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى إسمها في نفسه ولم يبدئه لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين ، فقال الله عز وجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، يعني في نفسك. وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. (الأحزاب: ٣٧) وفاطمة من علي عليه السلام.

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته). انتهى.



لذلك ركّزنا البحث على كشف الجذور التاريخية للشبهات والإفتراءات على

عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، خاصة ما يتعلق بعصمة نبينا صلى الله عليه وآله ، ثم على بحث الأصل القرآني لعقيدة العصمة ، وقاعدة اللطف. والله تعالى ولي التوفيق .

حرره بقم المشرفة في الثاني والعشرين من رجب الخير ١٤٢٣
علي الكوراني العاملي



الفصل الأول

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى

ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !!

لماذا يحسد اليهود الشعوب التي عندها مقدسات ؟!

لا تتعجب إذا رأيت اليهودي عنده عقدة من كل ما هو مقدس عند الشعوب !
فقد ورث من أجداده التطاول على قداسة الله تعالى وأنبيائه ﷺ ، فهم أول من
فتح باب الجرأة على الله وأنبيائه ﷺ ، مع أن كل ما يزعمونه لأنفسهم من مكانة
وامتياز على الشعوب ، مبنيٌّ على أنهم شعب الله المختار وأتباع أنبيائه ﷺ !
وبهذا تفهم سبب نشاطهم في تخريب مقدسات الأديان الأخرى ، لأن الذي
يخرب مقدساته ، ويجعل معبوده جاهلاً ، متعصباً ، فظاً ، غليظاً ، ظالماً ، ويجعل
أنبياء الله ﷺ أنانيين ، شهبانين ، خونة ! لا يطيق أن يكون للآخرين إلهٌ حكيمٌ ،
عادلٌ ، لا يظلم مخلوقاً مثقال ذرة. وأن يكون لهم أنبياء أطهارٌ ، معصومون في
كل حياتهم ، وجميع أعمالهم ، منزهون عن المعاصي والنقائص !
وقد نجح اليهود في تخريب مقدسات المسيحيين وعقيدتهم ، ونفذوا إلى
جهازهم الكنسي ونشروا فيه الفساد ، وأسقطوا مقام القساوسة عند الناس !
وقد أخبرني مستشار ثقافي في مؤسسة اليونسكو أن اليهود هم الذين يقفون
وراء طرح التحلل من الدين والمقدسات ، الذي ينادي به مثقفون (مسيحيون)
ويكتبون مقالات يطالبون فيها البابا والفاثيكان: نريد ديناً بلا محرّمات !
وها نحن نرى سعيهم الحثيث لتخريب مقدسات المسلمين ، بكل الوسائل !

لم يكن اليهود موحدين حتى في عصور أنبيائهم عليه السلام !

لم يكن جمهور اليهود مخلصاً لتوحيد الله تعالى حتى في عصور أنبيائهم عليه السلام ، رغم تبجحهم بأنهم هم الموحدون ، وأنهم أبناء نبي الله إبراهيم عليه السلام ، الذي قاوم عبادة الأوثان وأرسى أسس التوحيد ، هذا إن صحت أنسابهم إليه !

ومن أوضح الأدلة على ذلك أنهم بعد أن رأوا المعجزة على يد موسى عليه السلام ، وشقَّ الله لهم البحر وجعله طريقاً ييساً ، وعبروا فيه ونجوا من فرعون وجنوده.. قابلوا هذه المعجزة الكبرى بفكرهم الوثني ، وطالبوا موسى عليه السلام أن يتخذ لهم إلهاً عاجلاً ليعبدوه ! وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (الأعراف: ١٣٨-١٤٠) ويظهر أن سكوتهم يومها كان خوفاً من موسى عليه السلام ! فأول ما

سئلتهم الفرصة في غيابه ، صنعوا عاجلاً ذهبياً واتخذوه إلهاً ! وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ أَنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. أَنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أَنْ رَبَّهُمْ أَنْ بَعْدَهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ١٣

الْغَضَبُ أَخَذَ الْأُلُوحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ.
وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا أَنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ أَنَا هُذُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (الأعراف ١٤٨-١٥٧)

وقال تعالى: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. (البقرة: ٥١-٥٦)

فاليهود لم يخلصوا في تاريخهم لتوحيد الله تعالى فكيف يخلصون لأنبيائه؟! ولهذا أجاب أمير المؤمنين عليه السلام يهودياً عندما سأله: (ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ! فقال له عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ماجفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون). (نهج البلاغة: ٧٥/٤، وأمالى المرتضى: ١/١٩٨، والعرائس للثعالبي ١١٣).

الإلحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين

شهد المؤرخ الغربي ول ديورانت في قصة الحضارة (٣٣٨/٢) وغيره ، بأن عبادة العجل الذهبي استمرت في بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى عليه السلام إلى ما بعد سليمان عليه السلام ، حيث استبدلوا العجل بأصنام أخرى!!

وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية ص ١٧٧ ، نصوصاً من توراتهم وإنجيلهم تدل على تأصل المادية والوثنية في تفكيرهم !

قال الدكتور الشلبي في مقارنة الأديان: ١٩٢/١: (على أن مسألة الألوهية كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ، لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل ، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم ، وإذا تخطينا عدة قرون ، فإننا نجد الفكر اليهودي الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفياً كذلك ، ذلك هو: تربة فلسطين وزهر برتقالها !

والذي يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتبة اليهودية يائيل ديان ، ابنة القائد الصهيوني العسكري موشى ديان ، يجد أحد أبطالها (إيفرى) ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد: تراب فلسطين ! ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية:

...الصبي يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه ، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً في روسيا وغيرها ، كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض ، أنت الآن إسرائيلي وليست مجرد يهودي ، إنني قد تركت في روسيا كل شئ ، ملابسي

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفي الحكمة عن الله تعالى ونفي العصمة أنبيائه ﷺ !! ١٥

ومتاعي وأقاربي وإلهي ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال. إلا تحس بذلك؟.... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف ابنه وقال له: إمسك هذا التراب ، إقبض عليه ، تحسسه تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلي للسماء فلا تصل لها لكي تسكب الفضيلة في أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد) !! .

وقال أيضاً: ٢٦٧/١: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير ، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة ، وسنَّ له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها ، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه ، وبين الشريعة المرسومة إليه ، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته ، لأن الله هو السبب في كل ذلك !!). (التلمود شريعة إسرائيل ص ١٧).



افتراء اليهود على الله تعالى ونفيهم عنه العلم والعدل !

مضافاً إلى فريتهم الكبرى على الله تعالى بأنه جسم متجسد في عجل ، من حجر أو ذهب ، أو متجسد بصورة إنسان كبير السن ، كما في توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية (ص ٢٧٤فقرة ٢٧) قد وصفوا الله تعالى بصفات لاتناسب الإنسان العادي ، فضلاً عن رب العالمين الذي ليس كمثله شيء ، عز وجل:

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق !

جاء في ص ٦ من توراتهم: (٨. وسمعاً صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. ٩. فنَادَى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ١٠. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخْتَبَأْتُ. ١١. فقال من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت). !!

ووصفوه بالطيش والغضب والظلم !

قال الدكتور شلبي في تاريخ الأديان: ٢٦٧/١: (يروى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل ، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي !! وليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود ، لأنه غضب مرة على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ، ولم ينفذ قسمه ، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة).

وقال ابن حزم في الفصل: ٢٢٢/١/١: (ونقل في توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس ، سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرج بيته.... وَيَلِي على ما أخرجت من بيتي ! وَيَلِي على ما فرقت من بني وبناتي) !!

وافتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره !

في التوراة والإنجيل ص ٩٩: (٢٣. وبعد مرور حقبة طويلة مات ملك مصر وارتفع أنين بني إسرائيل وصراخهم من وطأة العبودية ، وصعد إلى الله ٢٤. فأصغى الله

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ١٧

إلى أنينهم ، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب. ٢٥. ونظر الله إلى بني إسرائيل .(ورق لحالهم).

وزعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه !

قال ابن حزم في الفصل: ١ جزء ١/١٤١: (ذكر في هذا المكان) (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل.... حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب ! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه !

ووصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء

في ٥٧٩/ من توراتهم: (١٨. فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتنبأ علي خيراً بل شراً. ١٩. وقال فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ٢٠. فقال الرب من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد. فقال: هذا هكذا ، وقال: ذاك هكذا).

ووصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط !

جاء في توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية ص ٣٩٩: (١. بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. ٢. وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس. ٣. وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. ٤. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً ، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ٥. ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات ، وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة

أرواح الله) !!

من إهانات اليهود لأنبيائهم عليه السلام وافتراءاتهم عليهم !

افتروا على ابراهيم عليه السلام بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦: (وقد أدرك إبراهيم بالوحي والإلهام وجود إله واحد أبدي خالق السموات والأرض ، وسيد الكون. (تك ١٨: ١٩) وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التي كان يقيم فيها ، حيث كانت مركز عبادة القمر ، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنية (يش ٢: ٢٤). لذلك هاجر إبراهيم من أور نحو بلاد كنعان حوالي أواخر القرن العشرين قبل الميلاد).

واتهموا ابراهيم عليه السلام بأنه تزوج سارة وهي أخته !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩: (وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه وإخوته في أور الكلدانيين ، وقد تزوج من ساري وكانت أخته بنت أبيه وليست بنت أمه ، كما نعرف ذلك من تك ٢٠: ١٢).

واتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطي بأن سارة أخته !

في التوراة والإنجيل ص ٢١ (موقع arabicbible): (١٤). ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساري أنظار المصريين ، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. ١٥. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. ١٦. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والأتن والجمال. ١٧. ولكن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساري زوجة أبرام. ١٨. فاستدعى فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها زوجتك؟ ١٩.

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ١٩

ولماذا ادعيت أنها أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لي؟ والآن ها هي زوجتك ،
خذها وامض في طريقك ٢٠. وأوصى فرعون رجاله بأبرام فشيعوه وامراته ،
وكل ما كان يملك).

وفي التوراة والإنجيل ص ٣٣: (١). وارتحل إبراهيم من هناك إلى أرض النقب
وأقام بين قادش وشور وتغرب ، في جرار. ٢. وهناك قال إبراهيم عن سارة
زوجته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأحضر سارة إليه. ٣. ولكن الله
تجلى لأبيمالك في حلم في الليل وقال له: إنك ستموت بسبب المرأة التي
أخذتها ، فإنها متزوجة. ٤. ولم يكن أبيمالك قد مسها بعد ، فقال للرب: أتميت
أمة بريئة ؟ ٥. ألم يقل لي أنها أختي وهي نفسها ادعت أنه أخوها ؟ ما فعلت هذا
إلا بسلامة قلبي وطهارة يدي. ٦. فأجابه الرب: أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك
قد فعلت هذا ، وأنا أيضاً منعتك من أن تخطئ إلي ولم أدعك تمسها. ٧. والآن
رُدُّ للرجل زوجته فإنه نبي ، فيصلي من أجلك فتحي ، وإن لم تردّها فإنك وكل
من لك حتماً تموتون).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ١٠: (فارتحل من هناك إلى مصر (تك ١٢: ١٠)
وهناك خوفاً على حياته ، ذكر لفرعون أن ساراي أخته دون أن يذكر أنها زوجته
(تك ١٢: ١١-٢٠) ومن عند بلوطات ممرا انتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وهناك أرسل
أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة لأن إبراهيم قال أنها أختي ولكن الرب ظهر
لأبيمالك في حلم ولم يدعه يمسها ، ولما عاقبه الرب على أخذه سارة ردها إلى
إبراهيم. وصلى إبراهيم لأجله ولأجل بيته فرفع الرب العقاب عنه (تك ٢٠). إلا أنه
أظهر ضعفاً مرتين عندما لم يقل الحق كله في ذكر علاقة سارة وزوجته به ! (تك ١٢:
١٨ و ٢٠: ١١).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣: (سارة: إسم عبري معناها: أميرة ، وهي

زوجة إبراهيم ، وكانت في الأصل تدعى ساري. تزوجت سارة من إبراهيم في أور الكلدانيين وكانت أصغر منه بعشر سنوات (تكوين ١١: ٢٩-٣١ و ١٧: ١٧). وعندما خرج إبراهيم من حاران كان عمر سارة ٦٥ سنة (تكوين ١٢: ٤) ولكنها كانت جميلة بالرغم مما بلغت من العمر ، وكانت محتفظة بقوتها وبشبابها. وبعد مغادرة حاران وقبل النزول إلى مصر ، تحدث إبراهيم مع سارة وطلب منها أن تخفي أنها زوجته وتقول أنها أخته ، وقد كانت بالفعل أخته ابنة أبيه ليست ابنة أمه! (تك ١٢: ٢٠). وكان سبب طلب إبراهيم ذلك خوفه من أن جمال سارة يلفت نظر المصريين إليها ، فيقتلونه ويأخذونها ، وأطاعت سارة زوجها ، فأخذها ملك مصر ، ولكن الله منعه من الاقتراب إليها. ووبخ فرعون زوجها عندما أعلن له الله الأمر.

وبعد عدة سنين سكن إبراهيم في جرار وقال عن سارة أنها أخته ، فطلب أبيمالك أن يتزوج منها ، ربما لغرض إيجاد تحالف مع الأمير البدوي القوي. وهنا أيضاً منع الله أبيمالك من الإساءة إلى سارة (تكوين ٢٠: ١-١٨).

أما الرواية الصحيحة للقصة فهي في مصادر أهل البيت عليه السلام في الكافي: ٣٧٠/٨: (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثرى ربا، وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة - وفي نسخة رقية - أختين وهما ابنتان للاحج ، وكان للاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً ، وكان إبراهيم عليه السلام في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها ، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتبه ، وأنه تزوج سارة ابنة للاحج وهي ابنة خالته ، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة ، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٢١

تملكه ، فقام فيه وأصلحه ، وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثرى ربا رجل أحسن حالا منه.

وإن إبراهيم ﷺ لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار ، ثم قذف إبراهيم ﷺ في النار لتحرقه ، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار ، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم ﷺ سليماً مطلقاً من وثاقه ، فأخبر نمرود خبره ، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم ﷺ من بلاده ، وإن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله ، فحاجَّهم إبراهيم ﷺ عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم ! واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم ﷺ أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم ، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم ﷺ ما ذهب من عمره في بلادهم ! فأخبر بذلك نمرود ، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله ، وأن يخرجوه ، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بالهتكم ، فأخرجوا إبراهيم ﷺ ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام ، فخرج إبراهيم ﷺ ومعه لوط لا يفارقه وسارة ، وقال لهم: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ ، يعني بيت المقدس ، فتحمل إبراهيم ﷺ بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيراً منه عليها ، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة ، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليُعْشِرَ ما معه ، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت ، قال العاشر لإبراهيم ﷺ: إفتح هذا التابوت حتى نُعْشِرَ ما فيه ، فقال له إبراهيم ﷺ: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عُشره ولا نفتحها ، قال: فأبى العاشر إلا فتحه ، قال: وغضب إبراهيم ﷺ على فتحه ، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال

له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد ، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه ، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت ، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي ، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه ، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: إفتح التابوت ، فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي ، وأنا مفتدٍ فتحةً بجميع ما معي !

قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه ، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها ، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرةً منه ، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي ، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه ! فقال له الملك: أن إلهك الذي فعل بي هذا ؟ فقال له: نعم ، أن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام ! فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليّ يدي فإن أجابك لم أعرض لها ، فقال: إبراهيم عليه السلام: إلهي ردّ عليه يده ليكف عن حرمتي: قال: فردّ الله عز وجل عليه يده ، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرةً منه وقال: اللهم احبس يده عنها ، قال: فبيست يده ولم تصل إليها ، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: أن إلهك لغيور وإنك لغيور، فادع إلهك يرد عليّ يدي فإنه أن فعل لم أعد ، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله ، فقال الملك: نعم ، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردّ عليه يده ، فرجعت إليه

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٢٣

يده ! فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده ، عظم إبراهيم ﷺ وهابته وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها ، أو لشئ مما معك فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة ، فقال إبراهيم ﷺ: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً ، قال: فأذن له إبراهيم ﷺ فدعا بها فوهبها لسارة ، وهي هاجر أم إسماعيل ﷺ ، فسار إبراهيم ﷺ بجميع مامعه وخرج الملك معه يمشى خلف إبراهيم ﷺ إعظاماً لإبراهيم ﷺ وهيبته له ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشى هو خلفك ، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلط ، ولا بد من إمرة في الأرض برة أو فاجرة ، فوقف إبراهيم ﷺ وقال للملك: إمض فإن إلهي أوحى إلي الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشى خلفك إجلالاً لك ، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم ﷺ: نعم ، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حلیم كريم ، وأنتك ترغبني في دينك ، قال: وودعه الملك فسار إبراهيم ﷺ حتى نزل بأعلى الشامات ، وخلف لوط في أدنى الشامات. ثم إن إبراهيم ﷺ لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعثني هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً ، فابتاع إبراهيم ﷺ هاجر من سارة ، فوقع عليها فولدت إسماعيل ﷺ).

واتهموا نبي الله إسحاق ﷺ بنفس التهمة !

في التوراة صفحة ٤٦: (٦). فأقام إسحق في مدينة جرار. ٧. وعندما سأله أهل المدينة عن زوجته قال: هي أختي ، لأنه خاف أن يقول: هي زوجتي لئلا يقتله أهل المدينة من أجل رفقة ، لأنها كانت رائعة الجمال. ٨. وحدث بعد أن طال مكوثه هناك ، أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أطل من النافذة ، فشاهد إسحق

يداعب امرأته رفقة. ٩. فاستدعاه إليه وقال: إنها بالحقيقة زوجتك ، فكيف قلت هي أختي ؟ فأجاب إسحق: لأنني قلت لعلي أقتل بسببها. ١٠. فقال أبيمالك: ما هذا الذي فعلت بنا ؟ لقد كان يسيراً على أي واحد من الشعب أن يضطجع مع زوجتك فتجلب بذلك علينا إثمًا. ١١. وأنذر أبيمالك كل الشعب قائلاً: كل من يمس هذا الرجل أو زوجته فحتماً يموت).

واتهموا إبراهيم وبقيّة الأنبياء عليهم السلام بأنهم كانوا يشربون الخمر !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٦: وقد أتقن القدماء الإعتناء بالكروم ووضع ملكي صادق خبزاً وخمراً إمام أبرام. (تك ١٤: ١٨)

وشرب لوط خمراً. (تك ١٩: ٣٣).

وأحضر يعقوب خمراً لإسحاق. (تك ٢٧: ٢٥)

وتنبأ يعقوب قبل موته بأن يهوذا يشتهر بتربية الكرم. (تك ٤٩: ١٢).

وكان أولاد أيوب يشربون الخمر. (أي ١: ١٨)

وندد صاحب الأمثال بمن يدمن الخمر. (أم ٢٣: ٣٠ و ٣١)

وكذلك إشعياء النبي. (اش ٥: ١١)!!

وزعموا أن لوطاً سكن في سدوم اختلافة مع إبراهيم عليه السلام

في التوراة والإنجيل ص ٢٢ (موقع arabicbible): (٥). وكان للوط المرافق لأبرام غنم وبقر وخيام أيضاً. ٦. فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما ، فلم يقدرا أن يسكنا معاً. ٧. ونشب نزاع بين رعاة مواشئ أبرام ورعاة مواشئ لوط ، في الوقت الذي كان فيه الكنعانيون والفرزيون يقيمون في الأرض. ٨. فقال أبرام للوط: لا يكن نزاع بيني وبينك ، ولا بين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان ٩. أليست الأرض كلها أمامك ؟ فاعتزل عني. أن اتجهت شمالاً ، أتجه أنا يميناً ، وإن

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٢٥

تحولت يميناً ، أتحول أنا شمالاً).

ونسبوا إلى سارة رضي الله عنها الظلم والقسوة !

في التوراة والإنجيل ص٢٦: (٤). فعاشر هاجر فحبلت منه. ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها في عينيها ، ٥. فقالت ساراي لأبرام: ليقع ظلمي عليك ، فأنا قد زوجتك من جاريتي ، وحين أدركت أنها حامل هنتُ في عينيها. ليقض الرب بيني وبينك. ٦. فأجابها أبرام: ها هي جاريتك تحت تصرفك ، فافعلي بها ما يحلو لك. فأذلتها ساراي حتى هربت منها).

وفي التوراة ص٣٦: (٩). ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق. ١٠. فقالت لإبراهيم: أطرده هذه الجارية وابنها ، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق. ١١. فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. ١٢. فقال الله له: لا يسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك ، واسمع لكلام سارة في كل ما تشير به عليك لأنه بإسحق يدعى لك نسل. ١٣. وسأقيم من ابن الجارية أمةً أيضاً لأنه من ذريتك. ١٤. فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر ، ووضعهما على كتفيها ، ثم صرفها مع الصبي ، فهامت على وجهها في بركة بئر سبع. ١٥. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار. ١٦. ومضت وجلست مقابله ، على بعد نحو مئة متر ، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبي. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. ١٧. وسمع الله بكاء الصبي ، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذي يزعجك يا هاجر ؟ لا تخافي لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى. ١٨. قومي واحملي الصبي ، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة. ١٩. ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. ٢٠. وكان الله

مع الصبي فكبر ، وسكن في صحراء فاران وبرع في رمي القوس . ٢١ . واتخذت له أمه زوجة من مصر .)

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤ : (وقد تكلم الرسول بولس عن هاجر وولادتها حسب الجسد ابناً للعبودية ! ووصف المؤمنين بالمسيح بأنهم كأولاد الحرة يرثون مع الأب وميلادهم (الثاني) بالموعد مثل إسحاق ابن إبراهيم (غل ٤ : ٣١-٢١) . وقد جاء في معظم التقاليد أن العرب هم ذرية إسماعيل .)

واتهموا إبراهيم عليه السلام بأنه أطاق سارة وطرد هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣ : (وعندما بلغت سارة سن ٨٩ جاءها الموعد بميلاد إسحق ، الذي ولدته بعد سنة . وغَيَّرَ الله إسم ساراي إلى سارة في ذلك الوقت - وقت الموعد .) . (تك ١٧ : ١٥ - ٢٢ و ١٨ : ٩ - ١٥ و ٢١ : ١ - ٥) .

وعندما فطم إسحاق أقام والداه وليمة عظيمة... ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح ، وقد قيل أنه كان يصوب سهامه على إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف ، فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية مع ابنها ! وقد ظن البعض أن ذلك كان قساوة وشرّاً من سارة ، غير أن البعض الآخر يعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلى الخيام الأخرى لإبراهيم والتي كان يقيم فيها عبده الآخرون ، أي أن سارة منعت الجارية وابنها من السكن في خيمة السيد ، وجعلتها تأخذ مكانها كجارية فقط ، واختلفت الآراء في سارة ، ولكنها كانت في الحق مؤمنةً فاضلةً وزوجةً أمينةً وأما مثالية . وقد ماتت سارة وهي في سن ١٢٧ سنة ، بعد ولادة إسحاق بما يزيد على ٣٦ سنة ، ودفنها إبراهيم في حقل المكفيلة الذي اشتراه لهذا الغرض .)

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣ : (وقد حثَّتْ سارة إبراهيم أن يأخذ أمتها

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٢٧

زوجة لكي يعقب منها نسلًا ، لأن سارة كانت عاقراً (تك ١٦ : ١ - ٤) وكان هذا النظام في الزواج معمولاً به في تلك الأزمنة. وقد دلت الاكتشافات على أنه كان موجوداً في (نوزي) بالقرب من كركوك في العراق. أما هذا العمل من ناحية سارة فمصدره ضعف الإيمان بمواعيد الرب لإبراهيم وسارة بأن يكون لهما ابن ! وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً فطردها سيدتها ، ولاقاها ملاك الرب في الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم ، ووعداها بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل ، وأنه يكون أباً لجمهور من الناس ، وأنه سيسكن البرية كحمار وحشي). (تك ١٦ : ٥ - ١٤)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعيل ، لما كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة وبعد أن كان له في أرض كنعان عشر سنين (تك ١٦ : ٣ - ١٦). وقد ختن إسماعيل في الثالثة عشرة من عمره (تك ١٧ : ٢٥) وهي السن التي يختن فيها الأولاد العرب في الوقت الحاضر.

وفي الوليمة التي أقيمت بمناسبة فطام إسحاق ، سخر إسماعيل من أخيه الصغير وكان إسماعيل حينئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره. فألحّت سارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما (تك ٢١ : ٨ - ١٤). فتاهت الأم وابنها في برية بئر سبع في جنوب فلسطين ، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ. فأرى الله هاجر بئر ماء ووعداها ثانية بأن ابنها إسماعيل سيصير مصدر أمة عظيمة. ومنذ ذلك الحين سكن إسماعيل في برية فاران في جنوب فلسطين على حدود شبه جزيرة سيناء ، وأصبح ماهراً في استعمال القوس. وأخذت له أمه زوجة من بلادها ، من مصر (تك ٢١ : ١٥ - ٢١) وولد له اثنا عشر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية (أنظر إسماعيليين) وولد له أيضاً ابنة اسمها محلة (تك ٢٨ : ٩) أو بسمه (تك ٣٦ : ٣) وقد تزوجها

عيسو. وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم في ممراً بالقرب من حبرون. (تك ٢٥: ٩). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر ١٣٧ سنة. (تك ٢٥: ١٧).

أما مصادرنا فتبرئ إبراهيم وعترته ﷺ من الظلم والمعصية

ففي المحاسن: ٣٣٧/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن إبراهيم عليه السلام لما خلف هاجر وإسماعيل بمكة عطش إسماعيل فبكى ، فخرجت هاجر حتى علت على الصفا وبالوادي أشجار فنادت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد ، فانحدرت حتى علت على المروة ، فنادت هل بالوادي من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتى فعلته سبع مرات ، فلما كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيتها المرأة من أنت ؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم ، قال لها: وإلى من خلقت؟ قالت: أما إذا قلت ذلك ، لقد قلت له يا إبراهيم إلى من تخلفني ههنا؟ فقال: إلى الله عز وجل أخلفك ، فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلفك إليه ، ولقد وكلتك إلى كافٍ فارجعي إلى ولدك ، فرجعت إلى البيت وقد انبعث زمزم والماء ظاهر يجرى ، فجمعت حوله التراب فحبسته ! قال أبو عبد الله عليه السلام: ولو تركته لكان سيحاً !

ثم مرَّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكة ، فنظروا إلى الطير مقبلة على مكة من كل فج ، فقالوا: ما أقبلت الطير على مكة إلا وقد رأت الماء، فمالوا إلى مكة حتى أتوا موضع البيت ، فنزلوا واستقوا من الماء وتزودوا منه ما يكفيهم وخلفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما ، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً.

وروى محمد بن خلف ، عن بعض أصحابه ، قال: فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام ، ويسقونهم من الماء. (والكافي: ٢٠٢/٤).

وفي الكافي: ٢٠١/٤: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما ولد إسماعيل حملة إبراهيم وأمه على حمار ، وأقبل معه جبرئيل حتى وضعه في موضع الحجر ومعه شئ من

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٢٩

زاد وسقاء فيه شئ من ماء ، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مدَر فقال إبراهيم لجبرئيل ﷺ: ها هنا أمرت؟ قال: نعم ، قال: ومكة يومئذ سَلَمٌ وسَمَر ، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق).

وروى في الكافي: ٢٠٢/٤ عن الإمام الصادق ﷺ رواية تختلف عن المشهور تذكر أن زمزم الأولى شَحَّت فحفرها إبراهيم ﷺ ، قال: (عن محمد بن يحيى ، وأحمد بن إدريس ، عن عيسى بن محمد بن أبي أيوب ، عن علي بن مهزيار ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن منصور ، عن كلثوم بن عبد المؤمن الحراني ، عن أبي عبد الله ﷺ قال: أمر الله عز وجل إبراهيم ﷺ أن يحج ويحج إسماعيل معه ويسكنه الحرم ، فحجَّ على جمل أحمر وما معهما إلا جبرئيل ﷺ ، فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم إنزلا فاغتسلا قبل أن تدخلوا الحرم ، فنزلا فاغتسلا ، وأراهما كيف يتهيئان للإحرام ففعلا ، ثم أمرهما فأهلا بالحج ، وأمرهما بالتلبيات الأربع التي لبي بها المرسلون ، ثم صار بهما إلى الصفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما ، واستقبل البيت فكبر الله وكبرا ، وهلل الله وهللا ، وحمد الله وحمدا ، ومجَّد الله ومجَّدا ، وأثنى عليه وفعلا مثل ذلك .

وتقدم جبرئيل وتقدما ، يثنيان على الله عز وجل ويمجدانه ، حتى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل الحجر وأمرهما أن يستلما ، وطاف بهما أسبوعاً ، ثم قام بهما في موضع مقام إبراهيم ﷺ فصلى ركعتين وصليا ، ثم أراهما المناسك وما يعملان به. فلما قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم ﷺ بالإنصراف وأقام إسماعيل وحده ، ما معه أحد غير أمه ، فلما كان من قابل أذن الله لإبراهيم ﷺ في الحج وبناء الكعبة ، وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً إلا أن قواعده معروفة ، فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في

جوف الكعبة. فلما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بني قد أمرنا الله ببناء الكعبة ، وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر ، فأوحى الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه ، وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة ، فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما ، حتى تمت اثني عشر ذراعاً ، وهيئاً له بابين: باباً يدخل منه وباباً يخرج منه ، ووضعاً عليه عتياً وشرجاً من حديد على أبوابه.

وكانت الكعبة عريانة فصدر إبراهيم وقد سوى البيت وأقام إسماعيل ، فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأة من حمير أعجبه جمالها ، فسأل الله عز وجل أن يزوجه إياها ، وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت وأقامت بمكة حزناً على بعلها ، فأسلى الله ذلك عنها ، وزوجه إسماعيل .

وقدم إبراهيم الحج وكانت امرأة موفقة ، وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً ، فنظرت إلى شيخ شعث ، فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال ، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدين ، وسألها ممن أنت ؟ فقالت: امرأة من حمير فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل ، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: إُدفعي هذا إلى بعلك ، إذا أتى أن شاء الله ، فقدم عليها إسماعيل فدفعته إليه الكتاب فقرأه فقال: أتدريين من هذا الشيخ ؟ فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك ، قال: ذاك إبراهيم فقالت: واسوء تاه منه فقال: ولمَ ، نظرَ إلى شئ من محاسنك؟ فقالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت ! وقالت له المرأة وكانت عاقلة: فهلا تعلق على هذين البابين سترين سترًا من ههنا وسترًا من ههنا ؟ فقال لها: نعم فعملنا لهما سترين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقا هما على البابين فأعجبهما ذلك ، فقالت: فهلاً أحوكُ للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإن هذه الحجارة سمجة ؟ فقال لها

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٣١

إسماعيل: بلى ، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم. قال أبو عبد الله ﷺ: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك ، قال: فأسرعت واستعانت في ذلك ، فكلما فرغت من شقة علقته فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة ، فقالت لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم تدركه الكسوة ، فكسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ما كانت تأتیه ، فنظروا إلى أمر أعجبهم ، فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يهدى إليه ، فمن ثم وقع الهدى ، فأتى كل فخذ من العرب بشئ يحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك ، حتى اجتمع شئ كثير ، فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بايين .

وكانت الكعبة ليست بمسقفة ، فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التي ترون من خشب ، وسقفها إسماعيل بالجرائد وسواها بالطين ، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يزداد ، فلما كان من قابل جاءه الهدى ، فلم يدر إسماعيل كيف يصنع ، فأوحى الله عز وجل إليه أن انحره وأطعمه الحاج .

قال: وشكا إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء ، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاج فنزل جبرئيل ﷺ فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتى ظهر مأوها ثم قال جبرئيل ﷺ: إنزل يا إبراهيم فنزل بعد جبرئيل فقال: يا إبراهيم إضرب في أربع زوايا البئر وقل بسم الله ، قال فضرب إبراهيم ﷺ في الزاوية التي تلي البيت وقال: بسم الله فانفجرت عين ثم ضرب في الزاوية الثانية وقال: بسم الله فانفجرت عين ، ثم ضرب في الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عين ، ثم ضرب في الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عين .

وقال له جبرئيل: اشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة ، وخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم ، وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل ، فسار إبراهيم وشيعة إسماعيل حتى خرج من الحرم ، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم). انتهى .

واتهموا نبي الله هارون وموسى عليهما السلام بالشرك والمعاصي !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٥: (غير أن هارون أظهر ضعف إيمان في حالات كثيرة ، وكان أولها لما تأخر موسى وهو على الجبل مع الرب. فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله ، وطلب إلى هارون أن يصنع له تماثيل آلهة ليعبدها. فصنع هارون عجل الذهب وبنى له مذبحاً (خر/ ٣٢). ومع هذا غفر الله له خطأه ، وأمر برسمه ، هو وذريته ، كهنة على بني إسرائيل. (خر ٤٠: ١٢ - ١٥). وبذلك تأسست الكهانة اللاوية ، وأصبح هارون أول رئيس كهنة....

وكان الله كثير الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه. وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدس الرب إمام بني إسرائيل ، لا هو ولا موسى ، في أواخر رحلة بني إسرائيل إلى فلسطين وحينما شعر الشعب بالظماً إمام قادش. فأمر الله بعقابهما ، بمنعهما من دخول فلسطين ، أي بموتهما قبل الوصول إليها (عد ١٠: ١٣ - ١٤).

وغادر بنو إسرائيل قادش وأتوا إلى جبل هور ، فأمر الرب موسى أن يأخذ هارون وابنه ألعازار ، ويصعد بهما إلى الجبل وهناك يخلع ثياب هارون الكهنوتية ويلبسها لابنه. ولما نفذ هارون ذلك مات هارون ، وانضم إلى آباءه وبكاه قومه ثلاثين يوماً (عد ٢٠: ٢٢ - ٢٩ و ٣٧: ٣٩ - ٣٩ و ٣٩: ١٠).

وكان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرين سنة. ولا يزال أثر المكان الذي مات فيه محفوظاً إلى اليوم على إحدى قمتي جبل هور بالقرب من بتر. وسمي هارون

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٣٣

(قدس الرب). (مز ١٠٦: ١٦).

وكان اليهود المتأخرون يحفظون ذكره باكرام. وهم يصومون تذكاراً له في اليوم الأول من شهر آب. وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين في بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل في سنة ٧٠ م).

واتهموا أنبياء الله ﷺ بالحيل والدجل والبلالة !

في التوراة والإنجيل ص ٤٧: (٢٧-١). ولما شاخ إسحق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بني ٢. ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتي. ٣. فالأن خذ عدتك: جعبتك وقوسك ، وامض إلى البرية واقتنص لي صيداً. ٤. وجهز لي طعاماً شهياً كما أحب واثني به لأكل ، لتباركك نفسي قبل أن أموت. ٥. وسمعت رفقة حديث إسحق لابنه عيسو. فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتي به. ٦. قالت رفقة لابنها يعقوب: سمعت أباك يقول لعيسو أخيك ٧. إقتنص لي صيداً ، وجهز لي أطعمة شهية لأكل وأباركك إمام الرب قبل موتي. ٨. والآن يا بني أطع قولتي في ما آمرك به ، ٩. واذهب إلى قطع الماشية ، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب ! ١٠. تقدمها لأبيك ليأكل ، فيباركك قبل وفاته. ١١. فقال يعقوب لرفقة أمه: أخي عيسو رجل أشعر ، وأنا رجل أملس. ١٢. وقد يجسني أبي فيتبين خداعي ، وأستجلب على نفسي لعنة لا بركة. ١٣. فقالت له أمه: لعنتك علي يا بني ، فأطع قولتي فقط ، واذهب وأحضر الجديين لي. ١٤. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه ، فأعدت رفقة الأطعمة المطيبة كما يحب أبوه ١٥. وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، ١٦. وكذلك غطت يديه وملاسه عنقه بجلد الجديين. ١٧. وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية

والخبز. ١٨. فأقبل على أبيه وقال: يا أبي. فأجابه: نعم يا ابني من أنت ؟ ١٩. فقال يعقوب: أنا عيسو بكرك. وقد فعلت كما طلبت ، والأُن قم واجلس وكل من صيدي حتى تباركني. ٢٠. فقال إسحق: كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدي؟ فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لي ذلك. ٢١. وقال إسحق: إقترب مني لأجسك يا ابني لأرى أن كنت حقاً ابني عيسو أم لا. ٢٢. فدنا يعقوب من أبيه إسحق فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب ، أما اليدان فهما يدا عيسو. ٢٣. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي أخيه عيسو ، فباركه !! ٢٤. وسأل: هل أنت ابني عيسو ؟ فأجاب: أنا هو. ٢٥. ثم قال: قدم لي من صيدك حتى آكل وأباركك. فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمرأ فشرب ، ٢٦. فقال له إسحق أبوه: تعال وقبلني يا ولدي. ٢٧ فاقترّب منه وقبله ، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها أن رائحة ابني كرائحة حقل باركه الرب ، ٢٨. فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض ، فيكثر لك الحنطة والخمر. ٢٩. لتخدمك الشعوب ، وتسجد لك القبائل ، لتكون سيداً على إخوتك. وبنو أمك لك ينحنون. وليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين.

٣٠. ولما فرغ إسحق من مباركة يعقوب ، وخرج يعقوب من عند أبيه ، رجع عيسو من صيده ، ٣١. فجهز هو أيضاً أطعمة طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه فتباركني نفسك. ٣٢. فقال إسحق: من أنت ؟ فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو. ٣٣. فارتعد إسحق بعنف وقال: من هو إذا الذي اصطاد صيداً وأحضره إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجي ، وباركته ؟ وحقاً يكون مباركاً. ٣٤. فما أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرة جداً وقال: باركني أنا أيضاً يا أبي. ٣٥. فأجاب: لقد مكر بي أخوك وسلب بركتك ! ٣٦. فقال: ألم يدع

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٣٥

اسمه يعقوب ؟ لقد تعقبنى مرتين: أخذ بكوريتي ، وها هو يسلبني الآن بركتي. ثم قال: أما احتفظت لي بركة ؟ ٣٧. فأجاب إسحق: لقد جعلته سيداً لك ، وصيرت جميع إخوته له خداماً ، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن يا ولدي ؟. ٣٨. فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضاً يا أبي. وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال. ٣٩. فأجابه أبوه: ها مسكنك يكون في أرض جدباء لا يهطل عليها ندى السماء. ٤٠. بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً ، ولكن حين تجمع تحطم نيره عن عنقك.

٤١. وحقد عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه. فناجى نفسه: قريباً يموت أبي ، وبعدئذ أقتل أخي يعقوب. ٤٢. فبلغ رفقة وعيد عيسو ابنها الأكبر ، فأرسلت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عيسو يخطط لقتلك. ٤٣. والآن يا ابني إصغ لقولي ، وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران ، ٤٤ وامكث عنده أياماً قلائل ريثما يهدأ سخط أخيك. ٤٥. ومتى سكن غضبه ونسي ما صنعت به ، عندئذ أبعث إليك لتعود من هناك !!)

واتهموا يوشع ﷺ بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان !

في قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧: (٧: ٢٢. والختان من الشعائر المعروفة في اليهودية ، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام... وقد ختن إبراهيم وهو في التاسعة والتسعين وإسماعيل وهو في الثالثة عشرة. (تك ١٧: ١١ - ٢٧).

ثم تجددت سنة الختان لموسى (لا ١٢: ٣) ففضي أن لا يأكل الفصح رجل أغرل. وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية. على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من

الصوان وختن الشعب كله). (يشوع ٥: ٢-٩).

وافتروا على سليمان عليه السلام أنه أشرك بالله تعالى

في التوراة/٥٥٤: (٩). فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين ١٠. وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيتها لعبدك). انتهى.

النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة

لهذا العمل اليهودي دلالات مهمة ونتائج خطيرة بل مهولة ، في عقائد اليهود وحياتهم ، في تعاملهم مع ربهم وأنبيائهم عليهم السلام ، ومع الشعوب الأخرى! فمنها: أنه يكشف سبب التعقيد فيهم ، والذي تحول من صفة في الشخص اليهودي المنحرف ، إلى صفة في الجماعة اليهودية كلها ، إلا من عصم الله . فإن كنت تعتقد أن رب العالمين خالق السماوات والأرضين ، يعامل عباده بالغضب والظلم والانتقام ، ويفتقر إلى العلم المطلق ، والحكمة المطلقة ، والرحمة المطلقة.. فمن الطبيعي أن تتأصل في نفسك الذاتية ، وتشعر أنك موجودٌ في مقابل خالقه ، ليس المهم عنده عبادة ربه وطاعته وكسب فيض رحمته ، بل المهم أن يستعمل الحيل مع ربه لحماية نفسه منه ، وكسب ما يمكنه منه ! وهذا هو التعقيد في الشخصية في أعماق حالاته !

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك ، وكان الأنبياء عليهم السلام جماعة أنانيين شهوانيين ، يسيؤون استعمال السلطة والبركة التي أعطاهم إياها ! فماذا عسى أن

الفصل الأول - عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة أنبيائه ﷺ !! ٣٧

يكون اليهودي العادي !!؟

ومنها: أنه يكشف منشأ نظرتهم الدونية إلى أنفسهم فضلاً عن غيرهم ، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لا تقلل من عقيدة الدونية ! فما دام أنبياء هذا الشعب سيئون ذميمون ، صفات عامة الشعب أحط منها وأسوأ بكثير !

ومنها: أن نعرف سبب عقيدتهم بدونية الشعوب ، فمن كانت هذه عقيدته إلى أنبيائه ﷺ ونفسه ، فلا عجب أن تكون نظرتهم إلى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودي ؟!

ومنها: أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية إلى الإنسان في العالم ، التي تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر !

ولذا كان دارون وفرويد اليهوديان أبطالاً قوميين عند اليهود ! لا يتكارهما نظريات تساعد في تركيز النظرة اليهودية في ثقافة شعوب العالم !

ومنها: أنا بذلك نضع يدنا على فعالية أحبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن ، ونابغتهم كعب الأحبار ، في تخريب عقيدة المسلمين في صفات الله تعالى والطعن في عدالته ، وفيهم لعصمة الأنبياء ﷺ ، وخاصة نبينا ﷺ فإن أول هدف وأهمه عند اليهودي أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله ، وتطول لسانك عليهم ، فبذلك تقف معه على الطريق الذي يريده لك !

راجع ماكتبناه في (ألف سؤال وإشكال: ٤٨٥/١) عن دور كعب في تخريب عقائد المسلمين وزرع اليأس في نفوسهم من المستقبل ، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته ، وهدم الكعبة وخراب مكة ، خراباً لا تسكن بعده أبداً !

الفصل الثاني

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة عليهم السلام

امتاز الشيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسلمين وأهل الأديان الأخرى بأنهم يعتقدون بالعدالة الكاملة لله تعالى ، والعصمة الكاملة لأنبيائه وأوصيائه عليهم السلام وينزهونهم عن جميع المعاصي والردائل ، طوال أعمارهم الشريفة ، قبل البعثة والإمامة وبعدها ، سواء في تبليغ الرسالة وعقائدها وأحكامها ، أو في غيره من سلوكهم الشخصي والعام .

وقد عرّف الإمام الصادق عليه السلام العصمة كما في معاني الأخبار للصدوق: ص ١٣٢:
(حدثنا علي بن الفضل بن العباس البغدادي بالري المعروف بأبي الحسن الخنوطي ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن الحارث ، قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: أن الإمام لا يكون إلا معصوماً ؟ فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم).

وفي معاني الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقرئ الجرجاني قال: حدثنا أبو بكر

محمد بن الحسن الموصلي ببغداد ، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفي ، قال: حدثنا عباس بن يزيد بن الحسن الكحال مولى زيد بن علي قال: حدثني أبي قال: حدثني موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، ولذلك لا يكون إلا منصوباً.

ف قيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم ؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عز وجل: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ". وفي معاني الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا محمد بن علي ماجيلويه - رحمته الله - قال حدثنا علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام ، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء تعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة ، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين ، فعلى ماذا يحرص ؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد ، فكيف يحسد من هو دونه ؟ ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل ، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل ، ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حب إليه الآخرة كما حب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيباً لطعام مر وثوباً لنا

الفصل الثاني - امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة ٤٣

لثوب خشن ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية). (ورواه في علل الشرائع: ٢٠٤/١. وأمالى الصدوق/٧٣١: والخصال/٢١٥)

وهذا الإمتياز معروف للجميع عن الشيعة ، من عصر النبي والأئمة عليهم السلام .

قال الرازي في تفسيره: ٧/٣: (واختلف الناس على ثلاثة أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت مولدهم ، وهو قول الرافضة.

وثانيها: قول من ذهب إلى عصمتهم وقت بلوغهم ، ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة ، وهو قول كثير من المعتزلة .

وثالثها: قول من ذهب إلى أن ذلك (يعني ارتكاب الكفر والكبيرة) لا يجوز وقت النبوة أما قبلها فجائز ، وهو قول أكثر أصحابنا ، وقول أبي الهذيل العلاف ، وأبي علي من المعتزلة .

وقال أيضاً في عصمة الأنبياء ص ٨: (وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

(الأول): الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

(الثاني): أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة ، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً ، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم ، مثل التطفيف بما دون الحبة ، وهو قول أكثر المعتزلة.

(الثالث) أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة ، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل ، وهو قول أبي علي الجبائي

(الرابع): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة ، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل ، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

(الخامس): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة ، لا بالعمد ولا بالتأويل ، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة).

وقال في تفسيره: ٩/١٨: (وعندنا العصمة إنما تعتبر في وقت النبوة لاقبلها).

وهذه النصوص من عالم سني مشهود له بالعمق والدقة ، تكشف لنا أنه لم ينج من التأثير بالتهم اليهودية للأنبياء ﷺ إلا الشيعة ، أتباع العترة النبوية الطاهرة صلوات الله عليهم .

كما تكشف لنا خريطة التأثير اليهودي بنسب متفاوتة على فئات المسلمين في تنقيصهم من مقام الأنبياء ﷺ ، مع الالتفات إلى أن مذكره الرازي هو القدر المتبنى رسمياً في فتاوى علمائهم وعقائدهم ، أما في مصادرهم الصحيحة فهي حافلة بأنواع الطعن في عصمة الأنبياء ﷺ وعدالتهم واتهامهم في سلوكهم الشخصي ، وحتى في تبليغهم للرسالة !

وسبب ذلك ما نشره اليهود فيهم من مفاهيم وقصص انتقاص الأنبياء ﷺ ! وإن حكومات الخلافة القرشية شجعت تلك الروايات وجعلت مجالسها مجالس رسمية في مسجد النبي ﷺ وغيره من مساجد المسلمين ، وأعطت رواتها مناصب علياً في الدولة !

كما أنها شجعت على روايات الإنتقاص من نبينا ﷺ لتبرير عمل الخلفاء ، ورفعهم إلى صف النبي ﷺ ، بل تفضيلهم عليه أحياناً ، كما سيأتي !

الفصل الثالث

من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة

من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

في الخصال للصدوق ص ٦٠٣: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي ، وأحمد بن الحسن القطان ، ومحمد بن أحمد السناني ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب ، وعبد الله بن محمد الصائغ ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:

(هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداه:

إسباع الوضوء كما أمر الله عز وجل في كتابه الناطق ، غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ، ومسح الرأس والقدمين إلى الكعبين ، مرة مرة. ومرتان جائز.... وهو حديث طويل تضمن أهم أحكام الوضوء والأغسال والفرائض والنوافل وصلاة الجماعة ، وأحكام الزكاة... وجاء فيه قوله عليه السلام:

وبر الوالدين واجب ، فإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا ذنوب لهم ، لأنهم

معصومون مطهرون...الى أن قال عليه السلام: ولا يفرض الله عزوجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم ، ولا يختار لرسالته ولا يصطفى من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه ، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً. والإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن...الخ).

وفي أمالي الصدوق ص ٧٣٨: (المجلس الثالث والتسعون ، مجلس يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة:

واجتمع في هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (رض)، أهل مجلسه والمشايخ ، فسألوه أن يملئ عليهم وصف دين الإمامية على الإيجاز والاختصار ، فقال رضي الله عنه:

دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفي التشبيه عنه ، وتنزيهه عما لا يليق به ، والإقرار بأنبياء الله ورسله وحججه وملائكته وكتبه ، والإقرار بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين ، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين ، وأنه خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ، وإن جميع الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة ، وأنهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس، لا يهمون بذنوب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وإن الدعائم التي بني الإسلام عليها خمس: الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وولاية النبي والأئمة صلوات الله عليهم بعده ، وهم اثنا عشر إماماً ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم الباقر محمد بن علي ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم الكاظم موسى بن جعفر ، ثم الرضا علي بن موسى ، ثم الجواد محمد بن علي ، ثم الهادي علي بن محمد ، ثم العسكري الحسن بن علي ، ثم الحجة بن الحسن بن علي ، عليه السلام ، والإقرار

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٤٩

بأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ٥٩) وإن طاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله عز وجل. ومودة ذرية النبي صلى الله عليه وآله إذا كانوا على منهاج آبائهم الطاهرين فريضة واجبة في أعناق العباد إلى يوم القيامة ، وهي أجر النبوة ، لقول الله عز وجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣) والإقرار بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين ، والإيمان هو إقرار باللسان ، وعقد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، لا يكون الإيمان إلا هكذا ، ومن شهد الشهادتين فقد حقن ماله ودمه إلا بحقها ، وحسابه على الله عز وجل).

وفي التوحيد للصدوق ص ١١٨: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمته الله قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه محمد بن خالد ، عن أحمد بن النضر ، عن محمد بن مروان ، عن محمد بن السائب ، عن أبي الصالح ، عن عبد الله بن عباس في قوله عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ، قال: يقول سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ الرُّؤْيَا وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْكَ لَا تَرَى .

قال محمد بن علي بن الحسين مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه:

إن موسى عليه السلام علم أن الله عز وجل لا يجوز عليه الرؤية ، وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحوا عليه في ذلك ، فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فِي حَالِ تَزَلُّزِهِ فَسَوْفَ تَرَانِي ، ومعناه إنك لا تراني أبداً ، لأن الجبل لا يكون ساكناً متحرراً في حال أبداً ، وهذا مثل قوله عز وجل: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً ، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبداً .

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ، أي ظهر للجبل بآية من آياته ، وتلك الآية نور من الأنوار التي خلقها ألقى منها على ذلك الجبل جَعَلَهُ دَكَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، من هول تزلزل ذلك الجبل على عظمه وكبره .

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ، أي رجعت إلى معرفتي بك عادلاً عما حملني عليه قومي من سؤالك الرؤية ، ولم تكن هذه التوبة من ذنب لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ، ولم يكن الاستيذان قبل السؤال بواجب عليه ، لكنه كان أدباً يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله ، على أنه قد روي قوم أنه قد استأذن في ذلك فأذن له ، ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل .

وقوله: وأنا أول المؤمنين ، يقول: وأنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه ، بأنك لا ترى .

وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تستوجب عصمتهم

في علل الشرائع للصدوق: ١/١٢٣: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ابن أذينة ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته .)

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٥١

وفي الخصال ص ١٣٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن عمر بن أذينة. عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إحدروا على دينكم ثلاثة: رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته ، اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك !

فقلت: يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك ؟ قال: الرامي .

ورجلاً استخفته الأحاديث ، كلما أحدثت أحدى كذب مدّها بأطول منها !
ورجلاً آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله !
وكذبَ لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، لا ينبغي للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله ، فلا طاعة في معصيته ولا طاعة لمن عصى الله ، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاية الأمر ، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر ، لا يأمر بمعصيته ، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرؤن بمعصيته).

ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام تستوجب عصمتهم

في الكافي: ١٦٨/١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً ، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه ، يُعبرون عنه إلى خلقه وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جلّ وعز ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شئ من أحوبالهم ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك في كل

دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكي لا تخلو أرض الله من حجة ، يكون معه عَلم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته). انتهى .

وقال الوحيد الخراساني في شرح هذا الحديث في منهاج الصالحين: ٦٤/١:

(ومعناه أن كل فعل وترك وحركة وسكون يصدر من الإنسان ، إما أن يكون نافعاً لدينه وآخرته ، أو ضاراً ، أو غير نافع ولا ضار ، وعلى كل الفروض يحتاج الإنسان إلى معرفة ما هو النافع وما هو الضار وما هو المصلح والمفسد لدينه وآخرته ، وهذه المعرفة لا تتيسر إلا من عند من هو خبير بالرابطة التي بين الأفعال والتروك وصلاح الإنسان وفساده ، ومحيطٌ بتأثير الحركات والسكنات في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وإنما هو خالق الإنسان وخالق الدنيا والآخرة سبحانه. ولما كانت حكمته تعالى تستوجب أن يدل عباده على ذلك ، وكانت دلالاته عليه بدون واسطة غير ممكنة لتعالیه عن مباشرتهم ومخاطبتهم ، فلا بد من سفراء مختارين (يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم).

وهذا البرهان يمتاز من جهات عما برهن به الفلاسفة على ضرورة النبوة ، الذي اعتمد على قاعدة أن الإنسان مدني بالطبع فيحتاج إلى قوانين عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعية ، فإن دليلهم مختص بالحياة الاجتماعية على الأرض ، بينما دليل الإمام عليه السلام يشمل عموم مصالح الإنسان ومضاره في كل عوالم الوجود).

العصمة من أول صفات الإمام عليه السلام

في الخصال ص ٤٢٨: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي (رض) قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٥٣

قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية ، عن سليمان بن مهران ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة ، والنصوص ، وإن يكون أعلم الناس ، وأتقاهم الله ، وأعلمهم بكتاب الله ، وإن يكون صاحب الوصية الظاهرة ، ويكون له المعجز والدليل ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ولا يكون له فئ ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه).

أحاديث نصّت على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وعصمتهم

في أمالي الصدوق ص ٥٧٤: (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمته الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازي قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن إبراهيم بن موسى بن أخت الواقدي قال: حدثنا أبو قتادة الحراني ، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس قال: أن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم وعنده عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم ، ووال من والأهم وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم. واجعلهم مطهرين من كل رجس ، معصومين من كل ذنب ، وأيدهم بروح القدس.

ثم قال: يا عليُّ أنت إمام أمتي، وخليفتي عليها بعدي ، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة ، وكأنني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور ، عن يمينها سبعون ألف ملك ، وعن يسارها سبعون ألف ملك ، وبين يديها سبعون ألف ملك ، وخلفها سبعون ألف ملك ، تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة ، فأیما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات ، وصامت شهر رمضان ، وحجت بيت الله الحرام ، وزكت مالها ، وأطاعت زوجها ، ووالت علياً بعدي ، دخلت الجنة بشفاعه ابنتي

فاطمة ، وإنها لسيدة نساء العالمين.

ف قيل له: يا رسول الله أهى سيدة نساء عالمها ؟ فقال النبي: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ). ثم التفت إلى عليٍّ فقال: يا عليُّ، أن فاطمة بضعة مني ، وهي نور عيني ، وثمره فؤادي ، يسوءني ما ساءها ، ويسرني ما سرها ، وإنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي.

وأما الحسن والحسين فهما ابناي وريحائتي ، وهما سيدا شباب أهل الجنة ، فليكرما عليك كسمعك وبصرك. ثم رفع، يده إلى السماء ، فقال: اللهم إني أشهدك أنني محب لمن أحبهم ، ومبغض لمن أبغضهم ، وسلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم ، وعدو لمن عاداهم ، وولي لمن والأهم).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٥/٢: (حدثنا علي بن عبد الله الوراق الرازي قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا الهيثم بن أبي مسروق النهدي ، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن خالد ، عن سعد بن طريف ، عن الأصمغ بن نباته ، عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليٌّ والحسنُ والحسينُ وتسعةٌ وُلدَ الحسين ، مطهرون معصومون). (ورواه أيضاً في كمال الدين ص ٢٨٠ ، وفي كفاية الأثر ص ١٩).

وفي دلائل الإمامة للطبري الشيعي ص ٥٠٦: (أخبرني أبو القاسم عبد الباقي بن يزداد بن عبد الله البزاز قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الثعالبي قراءة في يوم الجمعة مستهل رجب سنة سبعين وثلاثمائة ، قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي ، من حديث

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٥٥

طويل ، قال:

كنت أمةً لهجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها ، كلفاً باستظهار ما يصح من حقائقها ، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقةا ، شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها ، ومتعصباً لمذهب الإمامية ، راغباً عن الأمن والسلامة في انتظار التنازع والتخاصم ، والتعدي إلى التباغض والتشاتم ، معيياً للفرق ذوي الخلاف ، كشافاً عن مثالب أئمتهم ، هتاكاً لحجب قادتهم.

إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة ، وأطولهم مخاصمة ، وأكثرهم جدالاً ، وأقشعهم سؤالاً ، وأثبتهم على الباطل قدماً. فقال ذات يوم وأنا أناظره: تباً لك يا سعد ولأصحابك ، إنكم معشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطعن عليهما....

وكنت قد اتخذت طوماراً ، وأثبت فيه نيفا وأربعين مسألة من صعاب المسائل التي لم أجد لها مجيباً ، على أن أسأل عنها خير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمد عليه السلام فارتحلت خلفه ، وقد كان خرج قاصداً نحو م ولاي بسر من رأى ، فلحقته في بعض المناهل ، فلما تصافحنا قال: لخير لحاقك بي ؟ قلت: الشوق ، ثم العادة في الأسئلة. قال: قد تكافأنا على هذه الخطة الواحدة ، فقد برح بي الشوق إلى لقاء مولانا أبي محمد عليه السلام ، وأريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ومشاكل من التنزيل ، فدونكها الصعبة المباركة ، فإنها تقف بك على ضفة بحر لا تنقضي عجائبه ، ولا تغنى غرائب ، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتبهنا منها إلى باب سيدنا عليه السلام ، فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه ، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبري ، فيه ستون ومائة صرة من الدنانير والدارهم ، على كل صرة ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت مولانا أبا محمد عليه السلام حين غشنا نور وجهه إلا ببدر قد استوفى من ليليه أربعاً بعد عشر ، وعلى فخذيه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر ، على رأسه فرق بين وفرتين ، كأنه ألف بين واوين ، وبين يدي مولانا عليه السلام رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها ، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة ، وبيده قلم ، إذا أراد أن يسطر به على البياض قبض الغلام على أصابعه ، وكان مولانا عليه السلام يدرج الرمانة بين يديه ويشغله بردها لئلا يصدده عن كتبه ما أراد ، فسلمنا عليه فألطف في الجواب ، وأوماً إلينا بالجلوس ، فلما فرغ من كتابة البياض الذي كان بيده ، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طي كسائه ، فوضعه بين يدي مولانا فنظر أبو محمد عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بني ، فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يا م ولأي ، أيجوز لي أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة ، وأموال رجسة قد شيب أحلها بأحرمها ؟!

فقال مولانا عليه السلام: يا بن إسحاق ، استخرج ما في الجراب ليميز بين الأحل منها والأحرم. فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلان بن فلان من محلة كذا بقم ، تشتمل على اثنين وستين ديناراً ، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً ، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً ، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير .

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بني ، دُلَّ الرجل على الحرام منها....

قال أحمد (رواي الحديث عن سعد): وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلي مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. فقال:

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٥٧

والمسائل التي أردت أن تسأله عنها ؟ قلت: على حالتها يا مولاي. فقال: سل قرة عيني ، وأوماً إلى الغلام ، عما بدا لك منها.

فقلت: مولانا وابن مولانا ، أنا روينا عنكم أن رسول الله ﷺ جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: "إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك ، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك ، فإن كفت عني غربك وإلا طلقتك". ونساء رسول الله ﷺ قد كان طلاقهن بوفاته !؟

قال عليه السلام: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل. قال: فإذا كنَّ بوفاة رسول الله ﷺ قد خُلِّيَ سبيلهنَّ، فلمَ لا يحلُّ لهنَّ الأزواج؟ قلت: لأن الله حرم الأزواج عليهن قال: كيف وقد خُلِّيَ الموت سبيلهن ؟ قلت فأخبرني يا بن م ولأني عن معنى الطلاق الذي فوض رسول الله ﷺ حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي ﷺ فخصهن بشرف الأمهات ، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن ، إن هذا الشرف باق لهن ما دُمْنَ لله على الطاعة ، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك ، فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين.....

قلت: فأخبرني يا م ولأني عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟ قال: مصلحٌ أو مفسد؟ قلت: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على الفساد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟

قلت: بلى. قال: فهي العلة أوردتها لك ببرهان ينقاد له عقلك: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم علمه ، وأيدهم بالوحي والعصمة ، إذ هم أعلام الأمم ، وأهدى إلى الاختيار منهم ، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما ، إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق ، وهما يظنان

أنه مؤمن ؟ قلت: لا .

قال عليه السلام: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ، ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، ف وقعت خبرته على المنافقين ، قال الله عز وجل: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** ، وقوله: **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ** ، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله لنبوته ، واقعاً على الأفسد دون الأصلح ، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد ، علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وتكن الضمائر ، وتنصرف عليه السرائر ، وإن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء عليهم السلام ...). انتهى.

كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام

وهو كتاب جليل جمع فيه مؤلفه الخزاز القمي رحمته الله وهو من علماء القرن الرابع ، الأحاديث النبوية على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام عن ثلاثين صحابياً من طرق غير أهل البيت عليهم السلام. وقد اقترحنا على بعض الفضلاء تحقيقه وتخريج أحاديثه ، وسيصدر في مجلدات إن شاء الله ، وهذه بعض أحاديثه في عصمتهم عليهم السلام:

في كفاية الأثر ص ٢٩: (حدثنا علي بن الحسين ، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن البرقوي (رض)، قال حدثنا القاضي أبو إسماعيل جعفر بن الحسين البلخي ، قال حدثنا شقيق البلخي ، عن سماك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هرون العبدى ، عن سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

قيل: يارسول الله فالأئمة بعدك من أهل بيتك؟ قال: نعم الأئمة بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين ، أئمة معصومون. ومنا مهدي هذه الأئمة ، إلا إنهم أهل بيتي

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٥٩

وعترتي من لحمي ودمي ، ما بال أقوام يؤذونني فيهم ، لا أنالهم الله شفاعتي) .

وفي كفاية الأثر: ص ٣٥: (حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني رحمته الله ، قال حدثنا محمد بن رباح الأشجعي ، قال حدثنا محمد بن غالب بن الحارث ، قال حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، قال حدثنا عبد الكريم ، عن أبي الحسن ، عن أبي الحرث ، عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبني وأهل بيتي كنا نحن وهو كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - ثم قال: أخي خير الأوصياء ، وسبطي خير الأسباط ، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبراراً ، ومنا مهدي هذه الأمة .

قلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك ؟ قال: عدد نساء بني إسرائيل .

حدثنا القاضي أبو الفرج المعافا بن زكريا البغدادي ، قال حدثني محمد بن همام بن سهيل الكاتب ، قال حدثني محمد بن معافا السلماسي ، عن محمد بن عامر ، قال حدثنا عبد الله بن زاهر ، عن عبد العدوس ، عن الأعمش ، عن حبش بن المعتمر قال: قال أبو ذر الغفاري رحمة الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه ، فقال: يا أبا ذر إيتني بابتتي فاطمة. قال: فقمتم ودخلت عليها وقلت: يا سيدة النسوان أجيبني أباك. قال: فلبت منحلها وأبرزت وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وضمها إليه ، ثم قال: يا فاطمة لا تبكين فداك أبوك ، فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة ، وسوف يظهر بعدي حسيكة النفاق وسمل حلباب الدين ، وأنت أول من يرد علي الحوض .

قالت: يا أبة أين ألقاك ؟ قال: تلقيني عند الحوض وأنا أسقي شيعتك ومحبك وأطرد أعداك ومبغضيك. قالت: يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال تلقيني عند الميزان. قالت: يا أبة وإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال: تلقيني عند الصراط وأنا

أقول: سلم سلم شيعة علي.

قال أبو ذر: فسكن قلبها ثم التفت الي رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر أنها بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ، إلا أنها سيدة نساء العالمين ، وبعلمها سيد الوصيين ، وابنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وإنهما إمامان أن قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما ، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون قوامون بالقسط ، ومنا مهدي هذه الأمة. قال قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني اسرائيل.

وفي كفاية الأثر: ص ٤٤: (حدثنا علي بن الحسين بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى (رض) قال: أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عامر بن السائب الثقفي ، عن أبيه ، عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعنده الحسن والحسين يتغديان والنبي ﷺ يضع اللقمة تارة في فم الحسن وتارة في فم الحسين ، فلما فرغا من الطعام أخذ رسول الله ﷺ الحسن على عاتقه والحسين على فخذه ، ثم قال: يا سلمان أتحبهم ؟ قلت: يا رسول الله كيف لا أحبهم ومكانهم منك مكانهم ؟ قال: يا سلمان من أحبهم فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله. ثم وضع يده على كتف الحسين ﷺ فقال: أنه الإمام ابن الإمام ، تسعة من صلبه أئمة أبرار ، أمناء ، معصومون ، والتاسع قائمهم).

وفي كفاية الأثر: ص ٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصي قال: حدثنا بن حماد ، عن أنس بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر ، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا ، ومن استمسك بأوصيائي من بعدي فقد استمسك بالعروة الوثقى.

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٦١

فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل ، فقال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتي ، تسعة من صلب الحسين ، والمهدي منهم.

حدثنا محمد بن عبد الله الشيباني رحمته الله قال: حدثنا رجا بن يحيى العرائني الكاتب قال: حدثنا يعقوب بن إسحق عن محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر إسماً مكتوباً بالنور فيهم علي بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء علياً ثلاث مرات ، ومحمد ومحمد مرتين ، وجعفر وموسى والحسن ، والحجة يتلأأ من بينهم ، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك ، بهم أثيب وأعاقب .

وفي كفاية الأثر ص ٧٥: وعنه قال: حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان المقرئ ببغداد قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن الفضل بن ربيع أبو العباس مولى بني هاشم قال: حدثني عثمان بن أبي شيبة في مسند أنس. قال: حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله ابن عوف ، عن أنس بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: أوصياء الأنبياء الذين بعدهم بقضاء ديونهم وإنجاز عدااتهم ويقاتلون على سنتهم. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: أنت وصيي وأخي في الدنيا والآخرة تقضي ديني وتنجز عدااتي ، وتقاتل على سنتي ، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، فأنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء وسبطاي خير الأسباط ، ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة ، مطهرون معصومون قوامون بالقسط ، والأئمة بعدي على عدد نقباء بني إسرائيل وحواري عيسى. هم عترتي من لحمي ودمي.

وفي كفاية الأثر ص ٩٨: (حدثنا الحسين بن علي الرازي قال: حدثني إسحاق بن محمد بن خالويه قال: حدثني يزيد بن سليمان البصري قال: حدثني شريك ، عن الركين بن الربيع ، عن القاسم بن حسان ، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين ، أنا جدهما ، وجدتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب ، وأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين .
ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب ، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب .
أيها الناس إلا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة ؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: الحسن والحسين ، خالهما القاسم بن رسول الله ، وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: على قاتلها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وإنه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط ، ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه. قلنا: من يا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسين ، تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار والتاسع مهديهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

وفي كفاية الأثر: ص ١٠٠: (حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الكوفي الأسدي قال: حدثني محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثني مندل بن علي ، عن أبي نعيم عن محمد بن زياد ، عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: أنت الإمام والخليفة بعدي ، وابناك سبطاي وهما سيदा شباب أهل الجنة ، وتسعة من صلب الحسين أئمة معصومون ، ومنهم قائمنا أهل البيت. ثم قال:

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٦٣

يا علي ، ليس في القيامة راكب غيرنا ، ونحن أربعة. فقام إليه رجل من الأنصار ، فقال: فذاك أبي وأمي يا رسول الله ومن هم ؟ قال: أنا على دابة الله البراق ، وأخي صالح على ناقته التي عقرت ، وعمي حمزة على ناقتي العضباء ، وأخي علي على ناقة من نوق الجنة ، وبيده لواء الحمد ، ينادي لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيقول الآدميون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش ، فيجيهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين ، ليس هذا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا حامل عرش ، هذا الصديق الأكبر علي بن أبي طالب .).

وفي كفاية الأثر ص ١١٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هرون بن موسى قال: حدثنا جعفر بن علي بن سهل الدقاق الدوري قال: حدثنا علي بن الحارث المروزي قال: حدثنا أيوب بن عاصم الهمداني قال: حدثنا حفص بن غياث ، عن يزيد بن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ناداني ربي جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك سيدي. قال: اني ما أرسلت نبياً فانقضت أيامه إلا أقام بالأمر بعده وصيه ، فاجعل علي بن أبي طالب الإمام والوصي من بعدك ، فإني خلقتكما من نور واحد ، وخلقت الأئمة الراشدين من أنوار كما ، أتحب أن تراهم يا محمد ؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك. فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدي اثنا عشر نوراً ، قلت: يا رب أنوار من هي ؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون.

وفي كفاية الأثر ص ١١٣: (أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال: حدثني حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن مسعود ، عن يوسف بن السخت ، عن سفيان الثوري ، عن موسى بن عبيدة أياس بن مسلمة بن الأكوع ، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا سيد الأنبياء ، وعليُّ سيد

الأوصياء ، وسبطاي خير الأسباط ، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة. فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد الأسباط وحواري عيسى ونقباء بني إسرائيل).

وفي كفاية الأثر ص ١٢٤: (حدثني علي بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى قال: حدثني محمد بن علي بن معمر قال: حدثني عبد الله بن معبد قال: حدثنا موسى بن إبراهيم الممتع قال: حدثني عبد الكريم بن هلال ، عن أسلم ، عن أبي الطفيل ، عن عمار قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا بعلي عليه السلام ، فسارته طويلاً ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي ، فإذا متّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغصبٌ على حقد. فبكت فاطمة عليها السلام وبكى الحسن والحسين ، فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكائك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك. قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي ، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة ، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء ، وابنك سيدا شباب أهل الجنة ، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون ، ومنا مهدي هذه الأمة. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: يا علي لا يلي غسلي وتكفيني غيرك. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله من يناولني الماء فإنك رجل ثقیل لا أستطيع أن أقبلبك. فقال: أن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطي عينه فإنه لا يرى أحد عورتي إلا انفقت عيناه.

قال: فلما مات رسول الله ﷺ كان الفضل يناوله الماء وجبرئيل يعاونه ، فلما أن غسله وكفنه أتاه العباس فقال: يا علي أن الناس قد أجمعوا أن يدفن النبي ﷺ بالبقيع وإن يؤمهم رجل واحد ، فخرج عليٌّ إلى الناس فقال: أيها الناس أن رسول الله ﷺ كان إمامنا حياً وميتاً ، وهل تعلمون أن رسول الله ﷺ لعن من جعل القبور مصلى ، ولعن من جعل مع الله إلهاً آخر ، ولعن من

كسر رباعيته وشق لثته.

قال فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت. قال: فإني أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله في البقعة التي قبض فيها. قال: ثم قام على الباب فصلى عليه ، وأمر الناس عشراً عشراً يصلون عليه ثم يخرجون).

وفي كفاية الأثر ص ١٣٢: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب ، قال حدثنا أبو أسيد أحمد بن محمد بن أسيد المدني بأصبهان ، قال حدثنا عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر ، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزي ، قال حدثنا الحسين بن علي بن محمد البلوي ، قال حدثنا عبد الله بن سحر ، عن علي بن هاشم ، عن علي بن خرو ، عن الأصمغ بن نباتة ، قال سمعت عمران بن حصين ، يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت وارث علمي وأنت الإمام والخليفة بعدي ، تعلم الناس بعدي ما لا يعلمون ، وأنت أبو سبطي وزوج ابنتي ، من ذريتكم العترة الأئمة المعصومون. فسأله سلمان عن الأئمة ، فقال: عدد نقباء بني إسرائيل). (حدثنا علي بن محمد بن الحسن ، قال حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا حيدر بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا العباس بن بكار الضبي قال: حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن أبي عبد الله الشامي ، عن عمران بن حصين ، وذكر نحوه).

وفي كفاية الأثر ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصري قال: حدثنا الحسين بن علي البزوفري قال: حدثني عبد العزيز بن يحيى الجلودي بالبصرة قال: حدثني محمد بن زكريا ، عن أحمد بن عيسى بن زيد قال: حدثني عمر بن عبد الغفار ، عن أبي بصير ، عن حكيم بن جبير ، عن علي بن زيد بن جذعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي ، تقضي ديني وتنجز عدااتي ، وتقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق ، ولقد

نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون ، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أوله).

وفي كفاية الأثر ص ١٥١: (أخبرنا القاضي المعافا بن زكريا قال: حدثنا علي بن عتبة قال: حدثني الحسين بن علوان ، عن أبي علي الخراساني ، عن معروف بن خربوذ ، عن أبي الطفيل ، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الوصي على الأموات من أهل بيتي ، والخليفة على الأحياء من أمتي ، حرك حربى وسلمك سلمى ، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر ، من صلبك أئمة مطهرون معصومون ، ومنهم المهدي الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، فالويل لمبغضكم. يا علي لو أن رجلاً أحب في الله حجراً لحشره الله معه وإن محبيك وشيعتك ومحبي أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك. وأنت معي في الدرجات العلى ، وأنت قسم الجنة والنار ، يدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار).

وفي كفاية الأثر ص ١٨٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد بن مندة قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال: حدثنا العباس بن العباس الجوهري ببغداد في دار عميرة قال: حدثني عفان بن مسلم قال: حدثني حماد بن سلمة ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن سداد بن أوس ، قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع علي ولا أكون عليه ، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي ، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان .

ثم إنني أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة ، قالت: من أين أقبلت ؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أي الفريقين كنت ؟ قلت: يا أم المؤمنين إنني توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع علي.

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٦٧

قالت: نعم ما عملت ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حارب علياً فقد حاربني ، ومن حاربني فقد حارب الله ! قلت: فترين أن الحق مع علي؟ قالت: أي والله ، عليٌّ مع الحق والحق معه ، والله ما أنصف أمة محمد نبيهم إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله ، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله ، وأنهم صانوا حلالهم في بيوتهم وأبرزوا حليمة رسول الله ﷺ إلى الفناء ! والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لأمتي فرقة وجعلة (وجمعة) فجامعوها إذا اجتمعت ، وإذا افترت فكونوا من النمط الأوسط ، ثم ارقبوا أهل بيتي فإن حاربوا فحاربوا ، وإن سالموا فسالموا ، وإن زالوا فزالوا معهم ، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم ، قالت: هم الأئمة بعده كما قال: عدد نقباء بني إسرائيل: عليٌّ وسبطاه ، وتسعة من صلب الحسين ، هم أهل بيته ، هم المطهرون ، والأئمة المعصومون.
قلت أنا: لله هلك الناس إذا ! قالت: كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

وفي كفاية الأثر: ص ١٨٥: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن العياشي قال: حدثني جدي عبيد الله بن الحسن ، عن أحمد بن عبد الجبار ، قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: حدثنا عمر بن حماد قال: حدثنا علي بن هاشم البريد ، عن أبيه قال: حدثني أبو سعيد التميمي ، عن أبي ثابت مولى أبي ذر ، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش " لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي " ، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ، ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري ، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء ؟ فنوديت: يا محمد هذا نور علي

وفاطمة ، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين ، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون ، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً. وهذه أم سلمة روى عنها شداد بن أوس والحكم بن قيس وأبو الأسود وأبو ثابت مولى أبي ذر رحمة الله عليه).

وفي كفاية الأثر ص ٣٠١: (حدثنا أبو المفضل رحمه الله قال: حدثني محمد بن علي بن شاذان بن حباب الأزدي الخلال بالكوفة قال: حدثني الحسن بن محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا الحسن ثم الحسين العربي الصوفي قال: حدثني يحيى بن يعلى الأسلمي ، عن عمرو بن موسى الوجيهي ، عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري ، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخيه محمد من بعض الحجر ، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: ادبر فأدبر ، فقال: شمائل كشمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام ؟ قال: محمد. قال: ابن من ؟ قال: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال: أنت إذاً الباقر. قال فأكبى عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه ، فأقبل يحدث أبي ويقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر فاقرأه مني السلام ، فإنه سمّي وأشبه الناس بي ، علمه علمي وحكمه حكمي ، سبعة من ولده أئمة معصومون أئمة أبرار ، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

وفي كفاية الأثر ص ٣٠٣: (حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد بن علي الخزاعي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بالكوفة قال: حدثني جعفر

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٦٩

بن علي بن سحاح الكندي قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثني المسعودي أبو عبد الرحمان ، عن محمد بن علي الفراري ، عن أبي خالد الواسطي ، عن زيد بن علي عليه السلام، قال حدثني أبي علي بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن علي ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين أنت الإمام وأخ الإمام وابن الإمام. تسعة من ولدك أمتاء معصومون والتاسع مهديهم ، فطوبى لمن أحبهم ، والويل لمن أبغضهم).

وفي كفاية الأثر ص ٢٦١: (عن أبي عبد الله عليه السلام: أن قائمنا يخرج من صلب الحسين والحسين ، يخرج من صلب علي ، وعلي يخرج من صلب محمد ، ومحمد يخرج من صلب علي ، وعلي يخرج من صلب ابني هذا ، وأشار إلى موسى بن جعفر ، وهذا خرج من صليبي. نحن اثنا عشر ، كلنا معصومون مطهرون).

وفي أمالي الصدوق ص ٦٧٩: (حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم (رض) قال: حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن محمد بن علي التميمي قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله) أنه قال: من سره أن ينظر إلى القضيبي الأحمر الذي غرسه الله بيده ، ويكون متمسكاً به ، فليتول علياً والأئمة من ولده فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته، وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة). (ورواه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٢٩).

العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير

في الكافي: ٢٦٩/١: (محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن البرقي ، عن أبي طالب ، عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن قوماً يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء ، وبرئ الله منهم ،

ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي ! والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم ! قال قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل ، يقرؤون علينا بذلك قرآنا: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء ، وبرئ الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم ! قال قلت: فما أنتم ؟

قال: نحن خُزَّانُ علم الله ، نحن تَراجمة أمر الله ، نحن قومٌ معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون السماء و فوق الأرض).

وفي علل الشرائع للصدوق: ١/١٧٣: (حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكنب قال حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال حدثنا بشر بن سعيد بن قلبويه المعدل بالرافقه قال حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فسل ، قال قلت له يا ابن رسول الله وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي ؟ فقال بالتوسم والتفرس ، أما سمعت قول الله عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ) وقول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، قال قلت له يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال: أردت أن تسألني عن رسول الله ﷺ لم لم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخير والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً ، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً وقد كان رسول الله ﷺ يركب الناقة والفرس والحمار ، وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك

الفصل الثالث - من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة ٧١

دون علي في القوة والشدة ؟ قال فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله ، فأخبرني؟ فقال:

إن علياً عليه السلام برسول الله تشرف وبه ارتفع ، وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك ، وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل ، ولو علاه النبي ﷺ لحط الأصنام لكان عليه السلام بعلي مرتفعاً وتشريفاً ووصلاً إلى حط الأصنام ، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه ، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله ﷺ شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنتها ، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة، وانبعث فرعه من أصله ، وقد قال علي عليه السلام أنا من أحمد كالضوء من الضوء ، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفي عام ، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة ، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجلي وولي ، ولولاهما ما خلقت خلقي ! أما علمت أن رسول الله ﷺ رفع يد علي عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حظيرة بني النجار ، فلما قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما يارسول الله قال: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما ، وأنه كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته فلما سلم قيل له يارسول الله لقد أطلت هذه السجدة فقال ﷺ لأن ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتى ينزل ، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبي ﷺ إمام ونبي وعلي عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول ، فهو غير مطبق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال: إنك لأهل للزيادة إن رسول الله ﷺ حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه ، كما حول ردائه في صلاة الإستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك

أنه قد تحول الجذب خصباً ، قال: قلت له زدني يا ابن رسول الله ، فقال: احتمل رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر رسول الله ما عليه من الدين والعداء والأداء عنه من بعده ، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدني فقال: احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله وما حمل إلا لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً وقد قال النبي ﷺ لعلي يا علي أن الله تبارك وتعالى حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي وذلك قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، ولما أنزل الله عز وجل إذا اهتديتم وعلي نفسي وأخي أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لا يضل ولا يشقى ثم تلا هذه الآية: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

قال محمد بن حرب الهلالي: ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما في حمل النبي ﷺ علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها به ، لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون ! فحسبك من ذلك ما قد سمعت ! فقامت إليه وقبلت رأسه وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته . انتهى .

الفصل الرابع

من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

الأنبياء عليهم السلام معصومون مطهرون كاملون

قال الصدوق في الإعتقادات في دين الإمامية ص ٧٠: باب الإعتقاد في العصمة: (إعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس ، وأنهم لا يذنبون ذنباً لا صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر. واعتقادنا فيهم: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم ، من أوائل أمورهم وأواخرها ، لا يوصفون في شئ من أحوالهم بنقص ولا عسيان ولا جهل). انتهى.

ملاحظة: لا بد أن يكون الكفر في كلام الصدوق رحمته الله بمعناه اللغوي ، فلا هو ولا بقية فقهاءنا يكفرون أحداً من أهل القبلة لقوله بالعصمة الناقصة .

وقال المفيد في المقنعة ص ٣٠: (ويجب أن يعتقد التصديق لكل الأنبياء عليهم السلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم ، والسفراء بينه وبينهم ، وإن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ، وإن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها ، وأنه لانبى بعده رحمته الله ولا شريعة بعد شريعته.

وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى ، ومن يغير شريعته فهو ضال ، كافر من أهل النار ، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر بالله تعالى حينئذ عنه... بالتوبة ما كان مقرفاً من الآثام.

ويجب اعتقاد نبوة جميع من تضمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصيل ، واعتقاد الجملة منهم على الإجمال ، ويعتقد أنهم كانوا معصومين من الخطأ ، موفقين للصواب ، صادقين عن الله تعالى في جميع ما أدوه إلى العباد ، وفي كل شئ أخبروا به على جميع الأحوال ، وإن طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، وإن آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ، وإدريس وموسى وهارون وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وذا الكفل وصالحاً وشعباً ويونس ولوطاً وهوداً ، كانوا أنبياء الله تعالى ورسلاً له صادقين عليه ، كما سماهم بذلك وشهد لهم به ، وإن من لم يذكر اسمه من رسله على التفصيل كما ذكر ممن سميناه منهم ، وذكرهم في الجملة حيث يقول: وَرَسُولاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، كلهم أنبياء عن الله صادقون ، وأصفياء له منتجبون لديه ، وإن محمداً ﷺ سيدهم وأفضلهم ، كما قدمناه...

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه ، ويعتقد إمامته وفرض طاعته وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه ، وأنهم في العصمة والكمال كالأنبياء ﷺ ويعتقد أن كل رسول الله تعالى فهو نبي إمام ، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً ، وإن الأئمة بعد رسول الله ﷺ حجج الله تعالى وأوليائه ، وخاصة أصفياء الله ، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عليه أفضل السلام ، وبعده الحسن والحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٧٧

بن موسى ، ثم محمد بن علي بن موسى ، ثم علي بن محمد بن علي ، ثم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام . لإمامة لاحد بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرهم ، ولا يستحقها سواهم ، وأنهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام ، والشهداء على رعاياهم يوم القيامة ، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم ، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تُقبل الأعمال ، وبعداوتهم والجهل بهم تُستحق النار).

في بحار الأنوار: ١١/٧٢-٩٦: (باب عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل ما يوهم خطأهم وسهوهم). أورد فيه نحو مجموعة أحاديث وكلمات لعلمائنا رضي الله عنهم في عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام .

العصمة عن الذنوب، والغلط، والردائل، وما ينفرُّ

قال المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية/١٢٨:

(العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللفظ ، والإعتصام من الحجج بها: عن الذنوب ، والغلط في دين الله تعالى.

والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم ، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح ، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن ، ولا مُلجئة له إليه ، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبده لم يؤثر معه معصيته له ، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله ، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والإخيار).

وفي الكافي لأبي الصلاح الحلبي/٧٨: (وإذا ثبتت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله بالبراهين

الواضحة وجب القطع على كونه ﷺ على الصفات التي يجب كون النبي عليها من العصمة فيما يؤديه ، والعصمة من جميع القبائح ، وتنزيهه عن كل منفر حسب ما دللنا عليه .)

أصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي

أقول: أصل الدليل في مذهبنا على عقيدة عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة هو العقل ، الذي يحكم بضرورة أن يكون المؤدي للناس عن الله تعالى والمؤدي للناس عن النبي ﷺ معصوماً ، وإلا فلا يمكن الوثوق بقوله ، وأن عصمته تثبت بنص المعصوم أو بالمعجزة .

وقد حاول غيرنا إثبات العصمة بالنقل لكنه يلزم منه الدور ، لأن الوثوق بالنص الذي يثبت العصمة يتوقف عليها ، فلا يصح أن تتوقف هي عليه .
وأسوأ من ذلك قول بعضهم بأن الأنبياء عليهم السلام يرتكبون الذنوب والمعاصي حتى في تبليغ الرسالة ، لكن الله تعالى لا يقرهم على الخطأ ، فيصحح لهم ما عصوا فيه ويتوبون من معصيتهم !

قال ابن تيمية في منهاج سنته: ٤٠٠/٢: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها ، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها ، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم ، فإن الأعمال بالخواتيم. مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل ! فالمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان ، ويحرفون الكلم عن مواضعه .) انتهى.

وقوله: (والجمهور...) يقصد بهم أتباع المذاهب السنية ، وتعبيره بالصغائر لكي يجعل آيات الغرائق الشيطانية التي افتروها على النبي صلى الله عليه وآله وصحح هو روايتها ودافع عنها ، أن يجعلها من المعاصي الصغيرة ! مع أنها خيانةٌ للوحي ، وكفرٌ بالله العظيم ، وعبادةٌ للأصنام وسجودٌ لها !

والوجه في بطلان هذا الكلام أنه يستوجب سلب الثقة بكل كلام النبي صلى الله عليه وآله فما دام قد يخطئ أو يخون الرسالة ويبلغ الكفر بدل التوحيد ! فلا ينفع بعد ذلك أن الله تعالى لا يقره على الخطأ ، وأنه ينbehه بعد مدة فيقول النبي للناس إن الشيء الفلاني الذي بلغتكم إياه كان خطأ مني أو من شيطاني ، وقد نبهني إليه جبرئيل وتاب الله عليّ ! فخذوا الصحيح ودعوا الخطأ !

فمن أين يثق الناس بأن هذا البديل الذي بلغه الآن ليس منه أو من الشيطان كسابقه ؟! فإن من وقع في خطيئة مرة يمكن أن يقع فيها مئة مرة ، ومن خان الوحي مرة ، قد يخونه مئة مرة !

ونفس هذا الكلام يجري بطريق أولى في عصمة الإمام المؤدي للأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله فإن من يؤدي عن النبي صلى الله عليه وآله لابد أن يكون عنده العلم القطعي بكتاب الله والسنة ، وأن يكون معصوماً لا يحتمل في حقه النسيان والخطأ وارتكاب خيانة ، لأن احتمال الكذب والخطأ فيه يسلب الإطمئنان من أجيال الأمة بأن ما أذاه إليها هو مراد الله تعالى من كلامه قطعاً وهو قول النبي صلى الله عليه وآله قطعاً !

قال المحقق الحلي في المسلك في أصول الدين ص ١٥٤:

(وأما العصمة (للنبي) عن المعاصي فقد اختلفوا ، فمنهم من عصمه عن الخلل في التبليغ لا غير ، ومنهم من عصمه مع ذلك عن الكبائر .

والحق أنه معصومٌ عن الكل في حال النبوة وقبلها. وهل هو معصوم عن السهو

أم لا؟ فيه خلاف بين أصحابنا ، والأصح القول بعصمته عن ذلك كله.
لنا: لو جاز شئ من ذلك لجاز تطرقه إلى التبليغ ، لكن ذلك محال ، ولأنه مع
تجوز ذلك يرتفع الوثوق بخبره ، فينتقض الغرض المراد بالبعثة.
وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصية ، صغيرة كانت أو كبيرة ، ويدل
عليه من القرآن قوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.
وأما ما تضمنه الكتاب العزيز وكثير من الأخبار من مآثره وقوع المعصية
فمحمول على ضرب من التأويل ، لئلا تتناقض الأدلة .

وقاتل العلامة الحلي في شرح التجريد ص ٣٧٥:

المسألة الثانية: في وجوب العصمة قال: ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق
فيحصل الغرض ، ولوجوب متابعتة ، وضدها الإنكار عليه.
أقول: اختلف الناس هاهنا ، فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على
الأنبياء عليهم السلام أما على سبيل السهو كما ذهب إليه بعضهم ، أو على سبيل التأويل
كما ذهب إليه قوم منهم ، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة
والحشوية إلى أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر ، إلا الكفر والكذب .
وقالت الإمامية إنه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها ، صغيرة كانت أو كبيرة ،
والدليل عليه بوجه:

أحدها: أن الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السلام إنما يحصل بالعصمة فيجب العصمة
تحصيلاً للغرض ، وبيان ذلك أن المبعوث إليهم لو جوزوا الكذب على
الأنبياء والمعصية جوزوا في أمرهم ونهيهم وأفعالهم التي أمرهم باتباعهم فيها
ذلك ، وحينئذ لا ينقادون إلى امتثال أوامرهم وذلك نقض للغرض من البعثة .
الثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله يجب متابعتة فإذا فعل معصية فأما أن يجب متابعتة

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٨١

أولاً والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة ، والأول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها وأشار بقوله لوجوب متابعتة وضدها إلى هذا الدليل ، لأنه بالنظر إلى كونه نبياً يجب متابعتة ، وبالنظر إلى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه .

الثالث: أنه إذا فعل معصية وجب الإنكار عليه ، لعموم وجوب النهي عن المنكر ، وذلك يستلزم إيذائه ، وهو منهي عنه ، وكل ذلك محال) .

وفي النافع يوم الحشر للعلامة الحلي ص ٨٤: (والإمامية أوجبوا العصمة مطلقاً عن كل معصية ، عمداً وسهواً ، وهو الحق لوجهين:

الأول: ما أشار إليه المصنف ، وتقريره: أنه لو لم يكن الأنبياء عليهم السلام معصومين لانتفت فائدة البعثة ، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم ، وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الإنقياد لأمرهم ونهيهم ، فتنتفي فائدة بعثهم ، وهو محال.

الثاني: لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم ، لدلالة النقل على وجوب اتباعهم ، لكن الأمر حينئذ باتباعهم محال لأنه قبيح ! فيكون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب....

وأما ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحمول على ترك الأولى ، جمعاً بين ما دل العقل عليه وبين صحة النقل ، مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل في مواضعه... وعليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذي رتبته السيد المرتضى رحمته الله علم الهدى الموسوي وغيره من الكتب ، ولولا خوف الإطالة لذكرنا نبذة من ذلك).

وقال في تذكرة الفقهاء (ط.ج): ٣٩٧/٩: (الخامس عشر: أن يكون منزهاً عن

القبايح لدلالة العصمة عليه ، ولأنه يكون مستحقاً للإهانة والإنكار عليه ، فيسقط محله من قلوب العامة فتبطل فائدة نصبه.

وأن يكون منزهاً عن الدناءات والرذائل ، كاللعب والأكل في الأسواق وكشف الرأس بين الناس ، وغير ذلك مما يسقط محله ويوهن مرتبته.

وأن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

وقد خالفت العامة في ذلك كله .).

وقال ابن ميثم البحراني في قواعد المرام في علم الكلام ص ١٢٥:

البحث الأول: العصمة صفة للإنسان يمتنع بسببها من فعل المعاصي ولا يمتنع منه بدونها. وعندنا أن النبي معصوم عن الكبائر والصغائر عمداً وسهواً من حين الطفولية إلى آخر العمر. وجوز بعض الخوارج صدور جميع الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام ، وجوزت المعتزلة والزيدية وقوع الصغائر عنهم فيما يتعلق بالفتوى دون الكبائر. ثم منهم من جوزها سهواً فقط ، وهو مذهب الأشعرية.

فأما ما يتعلق بأداء الشريعة فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم فيه التحريف والخيانة لا عمداً ولا سهواً ، وكذلك أجمعوا على أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه: أحدها ، أن غرض الحكيم من البعثة هداية الخلق إلى مصالحهم وحثهم بالبشارة والندارة وإقامة الحجة عليهم بذلك لقوله تعالى: رَسَلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. (النساء: ١٦٥) فلو لم يجب في حكمته عصمة النبي لناقض غرضه من بعثه وإرساله ، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله ، فعصمة النبي واجبة في الحكمة.

أما الملازمة فلائنه بتقدير وقوع المعصية منه جاز أن يأمرهم بما هو مفسدة لهم

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٨٣

وينهاهم عما هو مصلحة لهم ، وذلك مستلزم لإغوائهم وإضلالهم ، فكان في بعثة غير المعصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلان اللازم فلأن مناقضة الغرض يستلزم السفه والعبث ، وهما محالان على الحكيم ، كما تقدم في باب اللطف.

الثاني ، لو جاز صدور المعصية عن النبي لوجب علينا فعل المفسدة أو ترك المصلحة الواجبة ، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة أنه يجب علينا فعل ما أمرنا به والانتفاء عما نهانا عنه لقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. (الحشر: ٧) فتقدير أن تجوز المعصية عليه جاز أن يوجب علينا ما هو محرم ويحرم علينا ما هو واجب ، ويجب علينا اتباعه في ذلك.

وأما بطلان اللازم فلأن أمر الحكيم لنا باتباعه مطلقاً يستلزم أمره لنا بفعل القبيح إذن ، لكن الأمر بالقبيح قبيح ممتنع عليه تعالى.

الثالث ، لو جاز صدور المعصية عنهم لكان بتقدير وقوعها منهم لا تقبل شهاداتهم ، لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا. (الحجرات: ٦) لكن اللازم باطل ، لأنها إذا لم تقبل في محقرات الأمور فكان أولى أن لا تقبل في الأديان الباقية إلى يوم القيامة).

قال الصدوق عليه السلام في معاني الأخبار ص ١٣٣ بعد إيراد الحديث المتقدم في أماليه: (قال أبو جعفر مصنف هذا الكتاب: الدليل على عصمة الإمام أنه لما كان كل كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل ، وكان أكثر القرآن والسنة مما أجمعت الفرق على أنه صحيح لم يغير ولم يبدل ، ولم يزد فيه ولم ينقص منه ، محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل ، وجب أن يكون مع ذلك مخبراً صادقاً معصوماً

من تعمد الكذب والغلط ، منبئٌ عما عني الله ورسوله في الكتاب والسنة على حق ذلك وصدقه ، لأن الخلق مختلفون في التأويل ، كل فرقة تميل مع القرآن والسنة إلى مذهبها ، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوغهم الاختلاف في الدين ودعاهم إليه ، إذ أنزل كتاباً يحتمل التأويل ، وسن نبه سنةً تحتمل التأويل ، وأمرهم بالعمل بهما ، فكأنه قال: تأولوا واعملوا. وفي ذلك إباحة العمل بالمتناقضات والإعتماد للحق وخلافه.

فلما استحال ذلك على الله عز وجل ، وجب أن يكون مع القرآن والسنة في كل عصر من يبين عن المعاني التي عناها الله عز وجل في القرآن بكلامه، دون ماتحتمله ألفاظ القرآن من التأويل ، ويبين عن المعاني التي عناها رسول الله في سننه وأخباره دون التأويل الذي تحتمله ألفاظ الأخبار المروية عنه عليه السلام المجمع على صحة نقلها.

وإذا وجب أنه لا بدّ من مخبر صادق ، وجب أن لا يجوز عليه الكذب تعمداً ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عز وجل في كتابه ، وعن مراد رسول الله في أخباره وسننه. وإذا وجب ذلك وجب أنه معصوم.

ومما يؤكد هذا الدليل أنه لا يجوز عند مخالفينا أن يكون الله عز وجل أنزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله ولا نبي فيهم ويتعبد لهم بالعمل بما فيه على حقه وصدقه ، فإذا لم يجز أن ينزل القرآن على قوم ولا ناطق به ولا معبر عنه ولا مفسر لما استعجم منه ، ولا مبين لوجهه ، فكذلك لا يجوز أن نتعبد نحن به إلا ومعه من يقوم فينا مقام النبي صلى الله عليه وآله في قومه وأهل عصره ، في التبیین لناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه ، و المعاني التي عناها الله عز وجل بكلامه دون ما

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٨٥

يحتمله التأويل ، كما كان النبي صلى الله عليه وآله مبيناً لذلك كله لأهل عصره. ولا بد من ذلك ما لزموا العقول والدين.

فإن قال قائل: إن المؤدي إلينا ما نحتاج إلى علمه من متشابه القرآن ومن معانيه التي عناها الله دون ما يحتمله ألفاظه ، هو الأمة.

أكذبه اختلاف الأمة وشهادتها بأجمعها على أنفسها في كثير من أي القرآن لجهلهم بمعناه الذي عناها الله عز وجل !

وفي ذلك بيان أن الأمة ليست هي المؤدية عن الله عز وجل ببيان القرآن ، وأنها ليست تقوم في ذلك مقام النبي صلى الله عليه وآله .

فإن تجاسر متجاسر فقال: قد كان يجوز أن ينزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله ، ولا يكون معه نبي ويتعبد لهم بما فيه مع احتماله للتأويل.

قيل له: فهب ذلك كان قد وقع من الخلاف في معانيه ما قد وقع في هذا الوقت ، ما الذي كانوا يصنعون؟

فإن قال: ما قد صنعوا الساعة.

قيل: الذي فعلوه الساعة أخذ كل فرقة من الأمة جانباً من التأويل وعمله عليه ، وتضليل الفرقة المخالفة لها في ذلك ، وشهادتها عليها بأنها ليست على الحق.

فإن قال: أنه كان يجوز أن يكون أول الإسلام كذلك وإن ذلك حكمة من الله و عدل فيهم ، ركب خطأ عظيماً وما لا أرى أحداً من الخلق يقدم عليه .

فيقال له عند ذلك: فحدثنا إذا تهيأ للعرب الفصحاء أهل اللغة أن يتأولوا القرآن ويعمل كل واحد منهم بما يتأوله على اللغة العربية ، فكيف يصنع من لا يعرف اللغة من الناس؟ وكيف يصنع العجم من الترك والفرس؟ وإلى أي شئ يرجعون في علم ما فرض الله عليهم في كتابه؟ ومن أي الفرق يقبلون مع اختلاف الفرق

في التأويل؟!

وإباحتك كل فرقة أن تعمل بتأويلها ، فلا بد لك من أن تجري العجم ومن لا يفهم اللغة مجرى أصحاب اللغة من أن لهم أن يتبعوا أي الفرق شأؤوا ! و[إلا] إن ألزمت من لا يفهم اللغة اتباع بعض الفرق دون بعض ، لزمك أنت تجعل الحق كله في تلك الفرقة دون غيرها ، فإن جعلت الحق في فرقة دون فرقة نقضت ما بنيت عليه كلامك واحتجت إلى أن يكون مع تلك الفرقة علم وحجة تبين بها من غيرها ، وليس هذا من قولك !

ولو جعلت الفرق كلها متساوية في الحق مع تناقض تأويلاتها ، فيلزمك أيضاً أن تجعل للعجم ومن لا يفهم اللغة أن يتبعوا أي الفرق شأؤوا ، وإذا فعلت ذلك لزمك في هذا الوقت أن لاتلزم أحداً من مخالفيك من الشيعة والخوارج وأصحاب التأويلات وجميع من خالفك ممن له فرقة ومن مبتدع لافرقه له على مخالفيك ذماً !! وهذا نقض الإسلام والخروج من الإجماع .

ويقال لك: وما ينكر على هذا الأخطاء أن يتعبد الله عز وجل الخلق بما في كتاب مطبق لا يمكن أحداً أن يقرأ ما فيه ، ويأمر أن يبحثوا ويرتادوا ويعمل كل فرقة بما ترى أنه في الكتاب.

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل العبث لأن ذلك صفة العايب ! ويلزمك أن تجيز على كل من نظر بعقله في شئ واستحسن أمراً من الدين أن يعتقده ! لأنه سواء أباحهم أن يعملوا في أصول الحلال و الحرام وفروعها بآرائهم ، وأباحهم أن ينظروا بعقولهم في أصول الدين كله وفروعه من توحيده وغيره ، وإن يعملوا أيضاً بما استحسنوه وكان عندهم حقاً !

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل أن يبيح الخلق أن يشهدوا عليه أنه

ثاني اثنين ، وإن يعتقدوا الدهر ، وجحدوا البارئ جل وعز.

وهذا آخر ما في هذا الكلام ، لأن من أجاز أن يتعبدنا الله عز وجل بالكتاب على احتمال التأويل ولا مخبر صادق لنا عن معانيه ، لزمه أن يجيز على أهل عصر النبي ﷺ مثل ذلك ! وإذا أجاز مثل ذلك لزمه أن يبيح الله عز وجل كل فرقة العمل بما رأت وتأولت ، لأنه لا يكون لهم غير ذلك إذا لم يكن معهم حجة في أن هذا التأويل أصح من هذا التأويل.

وإذا أباح ذلك أباح متبعهم ممن لا يعرف اللغة ! وإذا أباح أولئك أيضاً لزمه أن يبيحنا في هذا العصر ، وإذا أباحنا ذلك في الكتاب لزمه أن يبيحنا ذلك في أصول الحلال والحرام ومقائيس العقول وذلك خروج من الدين كله .

وإذا وجب بما قدمنا ذكره أنه لا بد من مترجم عن القرآن وأخبار النبي ﷺ وجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه ، فإذا وجب أن يكون معصوماً بطل أن يكون هو الأمة لما بينا من اختلافاتها في تأويل القرآن والأخبار ، وتنازعها في ذلك ومن إكفار بعضها بعضاً !!

وإذا ثبت ذلك وجب أن المعصوم هو الواحد الذي ذكرناه وهو الإمام. وقد دللنا على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً ، وأرينا أنه إذا وجبت العصمة في الإمام لم يكن بد من أن ينص النبي عليه ، لأن العصمة ليست في ظاهر الخلقة فيعرفها الخلق بالمشاهدة فواجب أن ينص عليها علام الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيه ، وذلك لأن الإمام لا يكون إلا منصوباً عليه ، وقد صح لنا النص بما بيناه من الحجج وبما رويناه من الأخبار الصحيحة). انتهى.

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: ١٣٤/٢: (كلام في عصمة الأنبياء ﷺ):

العصمة على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي ، والعصمة عن

الخطأ في التبليغ والرسالة ، والعصمة عن المعصية ، وهي ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولويته ، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافي العبودية منافاةً ما. ونعني بالعصمة وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ ، أو المعصية.

وأما الخطأ في غير باب المعصية وتلقي الوحي والتبليغ، وبعبارة أخرى: في غير باب أخذ الوحي وتبليغه والعمل به ، كالخطأ في الأمور الخارجية نظير الأغلاط الواقعة للإنسان في الحواس وإدراكاتها ، أو الإعتبارات من العلوم ، ونظير الخطأ في تشخيص الأمور التكوينية من حيث الصلاح والفساد والنفع والضرر ونحوها ، فالكلام فيها خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان ، فالقرآن يدل على عصمتهم ﷺ في جميع الجهات الثلاث:

أما العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة: فيدل عليه قوله تعالى في الآية: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ.** (البقرة: ٢١٣) فإنه ظاهر في أن الله سبحانه إنما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب ، وهذا هو الوحي ، ليبينوا للناس الحق في الإعتقاد والحق في العمل. وبعبارة أخرى لهداية الناس إلى حق الإعتقاد وحق العمل ، وهذا هو غرضه سبحانه في بعثهم ، وقد قال تعالى: **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى.** (طه: ٥٢) فبين أنه لا يضل في فعله ولا يخطئ في شأنه ، فإذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل في سلوكه ، وكيف لا وبيده الخلق والأمر وله الملك والحكم ، وقد بعث الأنبياء ﷺ بالوحي إليهم وتفهمهم معارف الدين ، ولا بد أن يكون ، وبالرسالة لتبليغها للناس ولا بد أن يكون. وقال

تعالى أيضاً: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وقال أيضاً: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (يوسف: ٢١)

ويدل على العصمة عن الخطأ أيضاً قوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، الْأَمْنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الحج: ٢٦-٢٨) فظاھرہ أنه سبحانه يختص رسله بالوحي فيظهرهم على الغيب ويؤيدهم بمراقبة ما بين أيديهم وما خلفهم ، والإحاطة بما لديهم ، لحفظ الوحي عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم ، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم.

ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحي: وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. (مريم: ٦٤) ، دلت الآيات على أن الوحي من حين شروعه في النزول ، إلى بلوغه النبي ، إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أي مغير يغيره) .

وقال الوحيد الخراساني في مقدمة منهاج الصالحين ص ٦١:

والأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام عديدة ، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول: أن لوصول كل مخلوق إلى كماله الذي خلق له سنناً وقوانين ، وقد تبين مما تقدم أن السنة التي توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه ، إنما هي الهداية الإلهية ودين الحق .

ولما كان تحقق هذا الكمال يتوقف على تبليغ السنة والنظام الإلهي وتنفيذه ، والنبي متكفل لتربية الإنسان وفق هذه السنة والنظام ، فلو حصل تخلف في تبليغه أو تنفيذه لكان نقضاً للغرض ، ولا يكون تخلف مبلغ الوحي والمربّي بالتربية الإلهية إلا من جهة الخطأ أو الهوى ، وأي منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى.

فكمال الهداية الإلهية يتطلب كمال الهادي ، وعصمة النظام الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تستلزم عصمة المعلم والمنفذ .

الدليل الثاني: دلّ العقل والنقل على أن الدين جاء ليحيي الإنسان حياة طيبة من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيئته حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، وماء الحياة الطيبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح ، وهما يشكّلان مجموعة الدين ، ومجرى هذا الماء الطيب وجود النبي ﷺ ، فلو كان مجرى الماء ملوثاً لتلوث الماء ولم يصلح لسقي عقول الناس وقلوبهم ، ولا يحصل منه ثمرة الحياة الطيبة .

الدليل الثالث: بما أن الغرض من بعثة النبي ﷺ لا يتحقق إلا بإطاعته في أمره ونهيه ، وبما أن إطاعة المخطئ والعاصي لا تجوز ، فلو لم يكن النبي ﷺ معصوماً لم تجب إطاعته ، فيلزم نقض الغرض وبطلان نتيجة البعثة .

الدليل الرابع: إذا لم يكن النبي ﷺ معصوماً ، لم يحصل للأمة اليقين بصدقه وصحة قوله في تبليغ الوحي ، وإذا لم يكن معصوماً من الذنوب ، سقطت مكانته في أعين الناس ، وكلام العالم بلا عمل ، والواعظ غير المتعظ لا يؤثر في النفوس ، فلا يحصل الغرض المقصود من البعثة .

الدليل الخامس: منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة ، وعقل النبي ﷺ كامل ، لأنه باتصاله بالوحي اتصل بحق اليقين ، وصار يرى الأشياء على واقعها كما هي ، وإرادته لا تتأثر إلا من إرادة الله سبحانه وتعالى ، فلا يبقى في شخصيته مجال للخطأ والذنب). انتهى .

العصمة لا تعني الإجبار ، ولا تنافي الاختيار

قال المفيد في رسالة النكت الإعتقادية ص ٤٥:

(فإن قيل: ما حد العصمة؟ الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة ، مع قدرته عليهما.

فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره ؟
والجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته. ولو عهد منه خطيئة لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة).

وقال العلامة الحلي في شرح التجريد/٤٩٤:

قال: ولا تنافي العصمة القدرة.

أقول: اختلف القائلون بالعصمة في أن المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية أم لا ؟ فذهب قوم منهم إلى عدم تمكنه من ذلك ، وذهب آخرون إلى تمكنه منها. أما الأولون فمنهم من قال: أن المعصوم مختص في بدنه أو نفسه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعصية ، ومنهم من قال: أن العصمة هو القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية ، وهو قول أبي الحسين البصري. وأما الآخرون الذين لم يسلبوا القدرة فمنهم من فسرهما بأنه الأمر الذي يفعله الله تعالى بالعبد من الألفاظ المقربة إلى الطاعات التي يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية بشرط أن لا ينتهي ذلك الأمر إلى الالغاء ، ومنهم من فسرهما بأنها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعاصي. وآخرون قالوا: العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون له معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية ، وأسباب هذا اللطف أمور أربعة:

أحدها: أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور وهذه

الملكة مغيرة للفعل.

الثاني: أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

الثالث: تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى.

الرابع: مؤاخذته على ترك الأولى بحيث يعلم أنه لا يترك مهماً بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأمور الحسنة.

فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصوماً .

والمصنف عليه السلام اختار المذهب الثاني وهو أن العصمة لا تنافي القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية ، وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب ، ولبطل الثواب والعقاب في حقه ، فكان خارجاً عن التكليف ! وذلك باطل بالإجماع وبالنقل في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) .

وقال العلامة الحلي في كتاب الألفين/٦٧:

البحث السابع: في عصمة الإمام ، وهي ما يتمتع المكلف معه من المعصية متمكناً منها ، ولا يتمتع منها مع عدمها. اختلف الناس في ذلك ، فذهبت الإمامية والإسماعيلية إليه ، ونفاه الباقر ، لنا وجوه:

الأول: لو كان غير معصوم لكان محتاجاً إما إلى نفسه أو إلى إمام آخر فيدور أو يتسلسل وهما محالان ، وذلك لوجود العلة المحوجة إليه فيه .

لا يقال: المعصوم لا يخلو إما أن يقدر على المعصية أو لا يقدر ، فإن قدر فلا يخلو أن يمكن وقوعها منه أو لا يمكن ، فإن أمكن فهو كسائر المكلفين في الحقيقة من غير امتياز ، وإن لم يمكن فقد رتبته على ما لا يمكن وقوعه لا يكون قدرة ، وإن لم يقدر فهو مجبورٌ وليس ذلك بشرف له.

وأيضاً ، إذا جاز أن يتمتع وقوع المعصية من شخص من المكلفين بفعل الله

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٩٣

تعالى ، ولا يضر ذلك قدرته وتمكنه من الطرفين ، فالواجب أن يجعل جميع المكلفين كذلك ، إذ كان الغرض من وجودهم إيصال الثواب إليهم دون وقوع المعصية وعقابهم عليها ؟

وأيضاً ، فلم يجوز أن يكون الإنتهاء في الإحتجاج إلى النبي صلى الله عليه وآله أو القرآن وينقطع التسلسل.

لأننا نجيب عن الأول: بأنه يقدر عليها ولكن لاتقع مقدورة منه، لعدم خلوص داعيه إليها ، كما نقول في امتناع وقوع القبايح من الحكيم تعالى ، وكما نقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام فإن القدرة على ما لا يمكن وقوعه لاعتبار شئ غير ذاته لا يستنكر ، إنما يستنكر القدرة على ما لا يمكن وقوعه لذاته.

وعن الثاني: أنا لا نقول أن الحكيم تعالى جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غير استحقاق منه لذلك ، لكننا نقول: كل من يستحق الألفاظ الخاصة التي هي العصمة بكسبه ، فهو تعالى يخصه بها .

ثم الإمام يجب أن يكون من تلك الطائفة ، فالمكلفون بأسرهم لو استحقوا بكسبهم تلك الألفاظ لكانوا كلهم معصومين ، فظهر أن الخلل في عدم عصمتهم جميعاً راجع عليهم لا عليه تعالى.

وعن الثالث: أن نسبة غير المعصومين إلى النبي صلى الله عليه وآله القرآن نسبة واحدة ، فلو جاز أن يكون النبي الموجود في زمان سابق أو القرآن مُغنياً لمكلف مع جواز خطأه عن الإمام لجاز في الجميع مثل ذلك ، وحينئذ لا يجب احتياجهم جميعاً إلى الإمام ، وقد سبق فساد اللازم فظهر فساد الملزوم.

الثاني: لما ثبت وجوب نصب الإمام على الله تعالى بالطريق الثاني فنقول: أنا نعلم ضرورة أن الحاكم إذا نصب في رعيته من يعرف منه أنه لا يقوم بمصالحهم

ولا يراعي فيهم ما لأجله احتاجوا إلى منصوب قبله ، تستقبح العقول منه ذلك
النصب وتنفر عنه ، ونصب غير المعصوم من الله تعالى داخل في هذه الحكم ،
فعلما أنه لا ينصب غير المعصوم، فكل إمام ينصبه الله تعالى فهو معصوم). انتهى.

وقال الشريف المرتضى في رسائله: ٣/٣٢٢:

(مسألة في العصمة: ماحقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للأنبياء والأئمة عليهم السلام،
وهل هو معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية أو معنى يضام الاختيار؟ فإن
كان معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية ، فكيف يجوز الحمد والذم
لفاعلها ؟ وإن كان معنى يضام الاختيار، فاذكروه ودُّلُّوا على صحة مطابقته له ،
ووجوب اختصاص المذكورين به دون من سواهم ، فقد قال بعض المعتزلة: إن
الله عصم أنبياءه بالشهادة لهم بالاعتصام ، وضلل قوماً بنفس الشهادة عليهم
بالضلال ، فإن يكن ذلك هو المعتمد ، أنعم بذكره ودلَّ على صحته وبطلان ما
عساه نعلمه من الطعن عليه ، وإن كان باطلاً دلَّ على بطلانه وصحة الوجه
المعتمد دون ما سواه ؟

الجواب والله التوفيق: أعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى ، فيختار
العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا إن الله عصمه ، بأن فعل له ما
اختار عنده العدول عن القبيح ، ويقال إن العبد معتصم ، لأنه اختار عند هذا
الداعي الذي فعل الإمتناع عن القبيح.

وأصل العصمة في وضع اللغة المنع ، يقال: عصمت فلاناً من سوء إذا منعت من
فعله به. غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف
الذي يفعله الله تعالى به ، لأنه إذا فعل به ما يعلم أن يمتنع عنده من فعل القبيح
فقد منعه منه ، فأجروا عليه لفظ المانع قسراً أو قهراً. وأهل اللغة يتصارفون ذلك

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ٩٥

ويستعملونه ، لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأي فقبله مختاراً ، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه هو وماله إنه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه ، وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الإمتناع من فعل واحد قبيح أنه معصوم.

قلنا: نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه ، فنقول: أنه معصوم من كذا ولا نطلق ، فيوهم أنه معصوم من جميع القبائح ، ونطلق في الأنبياء والأئمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد ، لأنهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح ، دون ما يقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم ، أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الإمتناع من القبائح.

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبح ، فإنه لا بد أن يفعله وإن لم يكن نبياً ولا إماماً ، لأن التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة.

غير أنا لانمنع أن يكون في المكلفين من ليس في المعلوم أن فيه سبباً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبح ، فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف ، ولا يكلف من لا لطف له بحسن ولا بقبح ، وإنما القبح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم إن العصمة الشهادة من الله تعالى بالإعتصام ، فباطل لأن الشهادة لا يجعل الشيء على ما هو به ، وإنما يتعلق به على ما هو عليه ، لأن الشهادة هي الخبر ، والخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها ،

فيحتاج أولاً إلى أن يتقدم إلى العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم ، ويوضح عن معنى ذلك ، ثم تكون الشهادة من بعده مطابقة لهذا العلم ، وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك ، فقال: هو شهادة بأنه متحرك أو العلم بأنه على هذه الصفة. وفي هذا البيان كفاية لمن تأمل).

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: ١٣٨/٢: (فإن قلت: الذي يدل عليه ما مر من الآيات الكريمة هو أن الأنبياء ﷺ لا يقع منهم خطأ ولا يصدر عنهم معصية ، وليس ذلك من العصمة في شيء ، فإن العصمة على ما ذكره القوم قوة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة ، وليست القوة مجرد صدور الفعل أو عدم صدوره ، وإنما هي مبدأ نفساني تصدر عنه الفعل كما تصدر الأفعال عن الملكات النفسانية.

قلت: نعم لكن الذي يحتاج إليه في الأبحاث السابقة هو عدم تحقق الخطأ والمعصية من النبي ﷺ ولا يضر في ذلك عدم ثبوت قوة تصدر عنها الفعل صواباً أو طاعة وهو ظاهر.

ومع ذلك يمكن الاستدلال على كون العصمة مستندة إلى قوة رادعة بما مر في البحث عن الإعجاز من دلالة قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وكذا قوله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (هود: ٥٦) على أن كلاً من الحوادث يحتاج إلى مبدأ يصدر عنه وسبب يتحقق به ، فهذه الأفعال الصادرة عن النبي ﷺ على وتيرة واحدة صواباً وطاعة تنتهي إلى سبب مع النبي ﷺ وفي نفسه وهي القوة الرادعة.

وتوضيحه: أن أفعال النبي ﷺ المفروض صدورها طاعة أفعال اختيارية من نوع الأفعال الاختيارية الصادرة عنا ، التي بعضها طاعة وبعضها معصية ، ولا شك أن

الفعل الإختياري إنما هو اختياري بصدوره عن العلم والمشية ، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية باختلاف الصورة العلمية التي يصدر عنها ، فإن كان المقصود هو الجري على العبودية بامثال الأمر مثلاً تحققت الطاعة ، وإن كان المطلوب - أعني الصورة العلمية التي يضاف إليها المشية - اتباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه تحققت المعصية ، فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل ، ولو دام أحد العلمين أعني الحكم بوجوب الجري على العبودية وامثال الأمر الإلهي ، لما صدر إلا الطاعة ، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية (والعياذ بالله) لم يتحقق إلا المعصية.

وعلى هذا فصدور الأفعال عن النبي عليه السلام بوصف الطاعة دائماً ليس إلا لأن العلم الذي يصدر عنه فعله بالمشية صورة علمية صالحة غير متغيرة ، وهو الإذعان بوجوب العبودية دائماً ، ومن المعلوم أن الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة ، هي الملكة النفسانية كملكة العفة والشجاعة والعدالة ونحوها ، ففي النبي ملكة نفسانية تصدر عنها أفعاله على الطاعة والإنقياد وهي القوة الرادعة عن المعصية.

ومن جهة أخرى النبي عليه السلام لا يخطئ في تلقي الوحي ولا في تبليغ الرسالة ففيه هيئة نفسانية لا تخطئ في تلقي المعارف وتبليغها ، ولا تعصي في العمل. ولو فرضنا أن هذه الأفعال وهي على وتيرة واحدة ليس فيها إلا الصواب والطاعة تحققت منه من غير توسط سبب من الأسباب يكون معه ، ولا انضمام من شئ إلى نفس النبي عليه السلام ، كان معنى ذلك أن تصدر أفعاله الإختيارية على تلك الصفة بإرادة من الله سبحانه من غير دخالة للنبي عليه السلام فيه، ولازم ذلك إبطال علم النبي عليه السلام وإرادته في تأثيرها في أفعاله ، وفي ذلك خروج الأفعال الإختيارية عن

كونها اختيارية ، وهو ينافي افتراض كونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة. فالعصمة من الله سبحانه إنما هي بإيجاد سبب في الإنسان النبي يصدر عنه أفعاله الاختيارية صواباً وطاعة ، وهو نوع من العلم الراسخ ، وهو الملكة كما مر).

وقال في الميزان: ٧٨/٥ ، في تفسير قوله تعالى: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣): (ظاهر الآية أن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال ، كما أن سائر الإخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقيق آثارها ، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير.

والعلم النافع والحكمة البالغة وإن كانا يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع في مهالك الرذائل ، والتلوث بأقذار المعاصي ، كما نشاهده في رجال العلم والحكمة والفضلاء من أهل التقوى والدين ، غير أن ذلك سببٌ غالبٌ كسائر الأسباب الموجودة في هذا العالم المادي الطبيعي ، فلا تكاد تجد متلبساً بكمال يحجزه كماله من النواقص ويصونه عن الخطأ صوناً دائماً من غير تخلف ، سنةً جاريةً في جميع الأسباب التي نراها ونشاهدها.

والوجه في ذلك أن القوى الشعورية المختلفة في الإنسان يوجب بعضها ذهوله عن حكم البعض الآخر ، أو ضعف التفاته إليه ، كما أن صاحب ملكة التقوى مادام شاعراً بفضيلة تقواه لا يميل إلى اتباع الشهوة غير المرضية ويجري على مقتضى تقواه ، غير أن اشتعال نار الشهوة وانجذاب نفسه إلى هذا النحو من الشعور ، ربما حجبته عن تذكر فضيلة التقوى أو ضعف شعور التقوى ، فلا يلبث

دون أن يرتكب ما لا ترضيه التقوى ، ويختار سفاسف الشره ، وعلى هذا السبيل سائر الأسباب الشعورية في الإنسان .

وإلا فالإنسان لا يحيد عن حكم سبب من هذه الأسباب ما دام السبب قائماً على ساق ، ولا مانع يمنع من تأثيره ، فجميع هذه التخلفات تستند إلى مغالبة التقوى والأسباب ، وتغلب بعضها على بعض .

ومن هنا يظهر أن هذه القوة المسماة بقوة العصمة سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة ، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك لتسرب إليها التخلف ، وخبطت في أثرها أحياناً ، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة التي تقبل الإكتساب والتعلم. وقد أشار الله تعالى إليه في خطابه الذي خص به نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) وهو خطاب خاص لانفقه حقيقة الفقه ، إذ لا ذوق لنا في هذا النحو من العلم والشعور.

غير أن الذي يظهر لنا من سائر كلامه تعالى بعض الظهور كقوله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. (البقرة: ٩٧) (نزل به الروح الأمين ، عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، (الشعراء: ١٩٥-١٩٦) أن الإنزال المذكور من سنخ العلم ، ويظهر من جهة أخرى أن ذلك من قبيل الوحي والتكليم ، كما يظهر من قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، الآية.. (الشورى: ١٣) وقوله: أَنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، (النساء: ١٦٣) وقوله: إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ. (الأنعام: ٥٠) ، وقوله: إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ (الأعراف: ٢٠٣) ويستفاد من الآيات على اختلافها أن المراد بالإنزال هو الوحي ، وحي الكتاب والحكمة ، وهو نوع تعليم إلهي لنبيه صلى الله عليه وآله .

غير أن الذي يشير إليه بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) ليس هو الذي علمه بوحى الكتاب والحكمة فقط ، فإن مورد الآية قضاء النبي ﷺ في الحوادث الواقعة والدعاوى التي ترفع إليه برأيه الخاص ، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشئ وإن كان متوقفاً عليهما بل رأيه ونظره الخاص به. ومن هنا يظهر أن المراد بالإنزال والتعليم في قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) نوعان اثنان من العلم ، أحدهما التعليم بالوحي ونزول الروح الأمين على النبي ﷺ والإخر: التعليم بنوع من الإلقاء في القلب والإلهام الخفى الإلهي من غير إنزال الملك ، وهذا هو الذي تؤيده الروايات الواردة في علم النبي ﷺ.

وعلى هذا فالمراد بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتكَ إياه من لدنه لم يكفك في إيتائه الأسباب العادية التي تعلم الإنسان ما يكتسبه من العلوم.

فقد بان من جميع ما قدمناه أن هذه الموهبة الإلهية التي نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور ، يغاير سائر أنواع العلوم في أنها غير مغلوبة لشئ من القوى الشعورية البتة ، بل هي الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إياها ، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً.

وقد ورد في الروايات أن للنبي والإمام عليهما روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة ، وهي التي يشير إليها قوله تعالى وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، (الشورى: ٥٢) بتنزيل الآية على ظاهرها من الإلقاء عليه ﷺ ونظيره قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ

الفصل الرابع - من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ١٠١

الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ، (الأنبياء: ٧٣) بناء على ما سيجي من بيان معنى الآية إن شاء الله العزيز أن المراد به تسديد روح القدس الإمام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه. وبأن مما مر أيضاً أن المراد بالكتاب في قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، هو الوحي النازل لرفع اختلافات الناس على حد قوله تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. (البقرة: ٢١٣).

الفصل الخامس

دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام

الإمام الصادق عليه السلام يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء عليهم السلام

في أمالي الصدوق ص ١٦٣: (حدثنا أبي عليه السلام قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة عن حمدان بن سليمان ، عن نوح بن شعيب ، عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح ، عن علقمة ، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وقد قلت له: يا بن رسول الله أخبرني من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته؟ فقال: (يا علقمة ، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له: تقبل شهادة المقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق ، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان ، فهو من أهل العدالة والستر ، وشهادته مقبولة ، وإن كان في نفسه مذنباً...

قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله أن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال عليه السلام:

يا علقمة أن رضا الناس لا يملك ، وألستهم لاتضبط ، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام؟!

ألم ينسبوا يوسف إلى أنه هم بالزنا؟! ألم ينسبوا أيوب إلى أنه ابتلى بذنوبه؟!
ألم ينسبوا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوها! وأنه قدم زوجها

إمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها ؟!

ألم ينسبوا موسى إلى أنه عنين وآذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً؟!

ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبه الدنيا ؟!

ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بـعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً ﷺ إلى أنه شاعر مجنون ؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ

لنفسه من المغنم قطيفة حمراء ! حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه من الخيانة ، وأنزل بذلك في كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي حتى كذبهم الله عز

وجل ، فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ؟!

ألم ينسبوه إلى الكذب في قوله: أنه رسول من الله إليهم ؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ؟!

ولقد قال يوماً: عرج بي البارحة إلى السماء. فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته.

وما قالوا في الأوصياء ﷺ أكثر من ذلك ! ألم ينسبوا سيد الأوصياء ﷺ إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون ، وأنه يسفك دماء المسلمين

بغير حلها ، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالد بن الوليد بضرب عنقه ؟

ألم ينسبوه إلى أنه أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة ﷺ ، وإن رسول الله

ﷺ شكاه على المنبر إلى المسلمين ، فقال: أن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله

على ابنة نبي الله، إلا أن فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن سرها فقد

سرنى ، ومن غاظها فقد غاظني ؟

ثم قال الصادق ﷺ: يا علقمة ، ما أعجب أقاويل الناس في علي ﷺ !

كم بين من يقول: أنه رب معبود ، وبين من يقول: أنه عبد عاص للمعبود ! ولقد

كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من ينسبه إلى الربوبية.
يا علقمة ، ألم يقولوا لله عز وجل: أنه ثالث ثلاثة ؟ ألم يشبهوه بخلقه ؟ ألم يقولوا
أنه الدهر ؟ ألم يقولوا: أنه الفلك ؟ ألم يقولوا: أنه جسم ؟ ألم يقولوا: أنه صورة ؟
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ياعلقمة ، أن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته ، كيف
تحبس عن تناولكم بما تكرهونه ! فاستعينوا بالله واصبروا ، أن الأرض لله يورثها مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. فَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى عليه السلام: أَوْذِنَا مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا ، فقال الله عز وجل: قل لهم يا موسى: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ). (الأعراف: ١٢٩)

الإمام الرضا عليه السلام يدافع عن عصمة الأنبياء والأوصياء عليه السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٤/٢: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون
في عصمة الأنبياء عليه السلام): (حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي (رض) قال:
حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن علي بن محمد بن الجهم قال:
حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن
رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون ؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله
عز وجل: وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ؟

فقال عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى قال لآدم: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها ، فلم
يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لَمَّا أن وسوس الشيطان
اليهما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم

ينهكما عن الأكل منها ، إلا أنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ، ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ، فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ، فأكلا منها ثقة بيمينه بالله . «وكان ذلك من آدم قبل النبوة ، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار ، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم» فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة ، قال الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. وقال عز وجل: أَنْ اللَّهُ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ؟

فقال له الرضاء عليه السلام: «إن حواء ولدت لآدم خمس مائة بطن ذكراً وأنثى» ، وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالوا: لَنَنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا مِنَ النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراً وصنفاً إناثاً ، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل ، قال الله تبارك وتعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

فقال المأمون: أشهد إنك ابن رسول الله حقاً ، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ؟

فقال الرضاء عليه السلام: أن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثه أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ فَرَأَى الزهرة قال: هَذَا رَبِّي؟! على الإنكار والاستخبار فَلَمَّا أَفَلَ الكوكب قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ، لأن الأفول من صفات المحدث لا من

صفات القدم ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِإِسْتِخْبَارِ: فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، يقول: لو لم يهديني ربي لكنت من القوم الضالين ، فلما أصبح رأى الشمسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ مِنَ الزهرة والقمر ، على الإنكار والإستخبار لا على الأخبار والإقرار ، فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ لِلْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِبْدَةِ الزهرة والقمر والشمس: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحقق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنما تحقق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض .

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ؟ قال الرضا عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إني متخذ من عبادي خليلاً أن سألني إحياء الموتى أجبتة ، فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل ، فقال: رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي عَلَى الْخَلَّةِ ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرًا وطاووساً وبطاً وديكاً، ففقطعهنَّ وخلطهنَّ ، ثم جعل على كل جبل من الجبل التي حوله وكانت عشرة منهن جزءً وجعل مناقيرهن بين أصابعه ، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً ، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان ، وجاء كل بدن حتى انضمَّ إلى رقبتة

ورأسه ، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن ، ثم وقعن فشربن من ذلك الماء ، وألتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله أحييتنا ، أحياك الله. فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير .

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ؟
قال الرضا عليه السلام: أن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ، وذلك بين المغرب والعشاء ، فوجد فيها رجلين يقتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فقضى موسى على العدو ، وبحكم الله تعالى ذكره فوكزه ، فمات! قال هذا من عمل الشيطان ، يعني الإقتال الذي كان وقع بين الرجلين ، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. أنه عدو مفضل مبین ، يعني الشيطان .

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ؟
قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ، فَاغْفِرْ لِي ، أي أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ، فغفر له أنه هو الغفور الرحيم ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى .
فأصبح موسى عليه السلام في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر ، قال له موسى إنك لغوي مبين ، قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم ، لأوذيнок ، وأراد أن يبطش به فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما وهو من شيعته قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس أن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين .

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى

لفرعون: فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ؟

قال الرضا عليه السلام: أن فرعون قال: لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، بي ! قال موسى: فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ، عن الطريق بوقوعي إلى مدينه من مدائنك ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، يقول: أَلَمْ يَجِدْكَ وَحِيدًا فَآوَى إِلَيْكَ النَّاسَ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا ، يعني عند قومك ، فَهَدَى ، أي هداهم إلى معرفتك.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً .

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله ، فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ ، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال ؟

قال الرضا عليه السلام: أن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعزُّ من أن يرى بالأبصار ، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقرَّبه نجياً ، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقرَّبه وناجاه ، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ كَمَا سَمِعْتُ ، وكان القوم سبعمأة ألف رجل ، فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ، ثم اختار منهم سبعمأة ، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم ، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور ، وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلَّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وإمام ، لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة ، وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه ، فقالوا: لَنْ

تُؤْمِنَ لَكَ بِأَنْ هَذَا الَّذِي سَمِعْنَاهُ كَلَامَ اللَّهِ: حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقه فأخذتهم بظلمهم فماتوا ، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم ، لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك ، فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابه ، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفيه له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله ، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالته بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم ، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَهُوَ يَهُوِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بآية من آياته جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يَقُول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أول الْمُؤْمِنِينَ منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ؟

قال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت ، لكنه عليه السلام كان معصوماً والمعصوم لا يهمل بذنب ولا يأتيه ، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنه قال: هَمَّتْ بِأَنْ تَفْعَلَ ، وهمَّ بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ؟

فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١١٣

استيقنَ أَنْ لَنْ نَقْدَرَ عَلَيْهِ أَيُّ لَنْ نَضِيقَ رِزْقَهُ ، ومنه قوله عز وجل: وأما إذا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، أَي ضيق وقتر. فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ ، أَي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغنتي لها في بطن الحوت ، فاستجاب الله وله وقال عز وجل: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ؟ قال الرضا عليه السلام يقول الله عز وجل: حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ ، وظن قومهم أن الرسل قد كُذِّبُوا ، جاء الرسل نصرنا .

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن ، فأخبرني قول الله عز وجل: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً أُنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ. وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أُنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ أُنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: أَنَا فَتَحْنَا لَكَ «مَكَّةَ فَتَحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ، عند مشركي أهل مكة بدعائكم إلى توحيد الله فيما تقدم. وَمَا تَأَخَّرَ ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ؟ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب

الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله: تعالى: لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وقوله عز وجل: وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا .

قال صدقت يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ؟

قال الرضاء عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذي خلقك ، وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله ، فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فقال النبي ﷺ: لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال ، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيئ رسول الله ﷺ وقوله لها: سبحان الذي خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسننها » فجاء إلى النبي ﷺ وقال له: يارسول الله أن امرأتى في خلقها سوء وإني أريد طلاقها فقال النبي ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه وإن تلك المرأة ﷺ منهن ، فأخفى ذلك في نفسه ، ولم يده لزيد ، وخشى الناس أن يقولوا أن محمداً يقول لمولاه: أن امرأتك ستكون لي زوجة ، يعيبونه بذلك ، فأنزل الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعْنِي بِالإِسْلَامِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ يُعْنِي بِالْعَتَقِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .

ثم أن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد ﷺ وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١١٥

لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْنَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. ثُمَّ عَلَّمَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ الْمُنَافِقِينَ سَيَعِيْبُونَهُ بِتَزْوِيجِهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً .

قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد عليه السلام وكان حاضر المجلس وتبعتهما ، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم!

فقال المأمون: أن ابن أخيك من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم النبي: إلا أن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم في باب ضلالة.

وانصرف الرضاء عليه السلام إلى منزله ، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له ، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتالني ، والله تعالى ينتقم لي منه!

قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام . انتهى . (ورواه الصدوق أيضاً في

التوحيد/٧٤: و١٢١)

ملاحظة

اعتبر السيد الخوئي قدس سره علي بن الجهم وعلي بن محمد بن الجهم ، شخصاً واحداً ، قال في معجم رجال الحديث: ٣٢٣/١٢: (علي بن الجهم: عن مروج الذهب أنه بلغ

من نصب علي بن الجهم أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك فقال: بتسميتي علياً ! قال ابن شهر آشوب: قال أبو العيناء لعلي بن الجهم: إنما تبغض علياً لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول ، وأنت أحدهما ! فقال له: يا مخنث ! فقال أبو العيناء: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ !!

وقال في: ١٤٢/١٣: (علي بن محمد بن الجهم: روى الصدوق بإسناده عنه في حديث ذكر في آخره أن المأمون سأل محمد بن جعفر بن محمد وقال: كيف رأيت ابن أخيك (الرضا عليه السلام) ؟ فقال: عالم ، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم...الخ. ثم قال السيد الخوئي رحمه الله: أقول: كأن علي بن محمد بن الجهم ، هو علي بن الجهم المتقدم). انتهى.

لكنَّ عليَّ بن محمد بن الجهم إسم لعديد من الرواة ، وقد ميزوا بعضهم بالسمري ، وبعضهم بالكاتب ، وبعضهم بالسائي ، وبعضهم بكنية أبي طالب... (راجع كفاية الخطيب ص ٩٠ قال: أنا أبو طالب علي بن محمد بن الجهم الكاتب ، قال ثنا صالح بن أحمد بن حنبل...).

وميزه الكلبي في سماء المقال: ٨/١: فقال: (علي بن الجهم بن بدر السائي: كان أكذب خلق الله ، مشهوراً بالنصب كثير الحط على علي وأهل البيت عليه السلام وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً).

أما الحسكاني في شواهد التنزيل: ٤٢/١ ، فروى عن أبي الفضل جعفر بن الفضل الوزير بمكة ، قال: حدثنا علي بن محمد بن الجهم..وروى عنه فضيلة لأمر المؤمنين عليه السلام

كما روى الزرندي في نظم درر السمطين: ص ٢٤٢، عن علي بن الجهم معجزة الإمام الهادي عليه السلام مع المتوكل.

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١١٧

ولعل الذي روى عنه الصدوق غير الذين ترجموا لهم بهذا الاسم ، لاسيما أن رواية أبي الصلت التي نقلناها في مقدمة الكتاب عن العيون: ١٧٠/٢ ، تدل على أنه كان من العلماء الذين اختارهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام وأنه لم يكن معانداً بل كان مؤدباً مخبئاً مطيعاً للحق ، فقد جاء في آخرها:

(وفي آخرها: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرت).

فمن المحتمل أنه اهتدى بعد مناظرته مع الإمام الرضا عليه السلام ولم يطلع الصدوق على ذلك .

لكن الإشكال الأهم من إسم ابن الجهم ، متن روايته ، ففيها تنزيهٌ للأنبياء عليهم السلام يتفق مع مذهبنا ، وفيها ما يخالف عصمتهم التامة قبل البعثة ، ولذا قال صاحب الميزان: ١٤٦/١: (أقول: قال الصدوق رحمته الله بعد نقل الحديث على طوله: والحديث عجيب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام . انتهى. وما أعجبه منه إلا ما شاهده من اشتماله على تنزيه الأنبياء عليهم السلام من غير أن يمعن النظر في الأصول المأخوذة فيه ، فما نقله من جوابه عليه السلام في آدم لا يوافق مذهب أئمة أهل البيت المستفيض عنهم من عصمة الأنبياء من الصغار والكبائر قبل النبوة وبعدها.

على أن الجواب مشتمل على تقدير في قوله تعالى: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا... ، إلى مثل قولنا: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وإنما نهاكما عن غيرها ، وما نهاكما عن غيرها إلا أن تكونا.. الخ). انتهى.

فالرواية مضافاً إلى الجهالة في سندها ، فيها إشكالات تتعلق بالعصمة ، وقد وضعنا أهم فقراتها بين قوسين (« »).

لكنها بقرينة الشواهد الأخرى الصحيحة ، تدل على أن الإمام الرضا عليه السلام قد أجاب المأمون على تمسك العامة بالمتشابهات وشبهات اليهود على عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام ، وشبهات قريش على عصمة نبينا صلى الله عليه وآله ، وإن كان الرواي ابن الجهم أو غيره رواها متأثرةً بتصوره ، ولم يحفظها بدقة !

استغفار الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب

في الخصال للصدوق ص ٣٩٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي الخزاز ، عن فضل الأشعري ، عن الحسين بن المختار ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب .

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال: أن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب ، وإن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون ، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إن أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلى به لم يتن له رائحة ، ولا قبحت له صورة ، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح ، ولا استقره أحد رآه ، ولا استوحش منه أحد شاهده ، ولا يدود شئ من جسده ، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره ، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس ، لئلا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن

يوصله إليه من عظام نعمه متى شاهدوه ، ليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولثلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره ولأمريضاً لمرضه ، وليعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفي من يشاء ، متى شاء كيف شاء بأي سبب شاء ، ويجعل ذلك عبرةً لمن يشاء وشقاوة لمن يشاء وسعادة لمن يشاء ، وهو في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلا به).

وفي معاني الأخبار/٣٨٣: (حدثنا أبي عليه السلام قال: حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رثاب ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، رأيته ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم ، وهم أهل بيته طهارة معصومون ؟

فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عز وجل ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مره من غير ذنب. أن الله عز وجل يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب). (ورواه في الكافي: ٤٥٠/٢)

وفي الكافي: ٤٥٠/٢: (علي بن إبراهيم ، رفعه قال: لما حمل علي بن الحسين إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه ، قال يزيد: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فقال علي بن الحسين: ليست هذا الآية فينا أن فينا قول الله عز وجل: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

ملاحظة

إن نفى الذنوب عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والإعتقاد بأنهم مطهرون منها ، كما

في الخصال ص ٦٠٣ وأمالى الصدوق ص ٧٣٨ ، لا ينافيه وجود آيات تنسب اليهم الذنوب عليه السلام ، لأنها ذنوب من مستواهم وليست من نوع ذنوبنا ، فيصح إطلاق الذنوب عليها بلحاظ ، ونفي كونها ذنوباً بلحاظ آخر ، كما لو دخل شخص مجلساً ولم يسلم على أهله ، فقلت له هذا ذنب لا يناسب أخلاقك العالية ، ثم قلت له: لكن لا بأس فهو ليس ذنباً شرعياً .

هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

تحت سيف هارون الرشيد !

في كمال الدين للصدوق ص ٣٦٢: (حدثنا أحمد بن زياد الهمداني ، والحسين بن إبراهيم بن ناتان رضي الله عنهما قالا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير قال: أخبرني علي الأسواري قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملة يوم الأحد فيتناظرون في أديانهم ، يحتج بعضهم على بعض ، فبلغ ذلك الرشيد ، فقال ليحيى بن خالد: يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في منزلك يحضره المتكلمون؟ قال: يا أمير المؤمنين ما شئ مما رفعني به أمير المؤمنين وبلغ بي من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس ، فإنه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم ، فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق منهم ، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشيد: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضوري فيحتشموني ولا يظهروا مذاهبهم ، قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء ، قال: فضع يدك على رأسي أن لا تعلمهم بحضوري ، ففعل ، وبلغ الخبر المعتزلة ، فتشاوروا بينهم وعزموا على أن لا يكلموا هشاماً إلا في الإمامة

لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام ، وحضر عبد الله بن يزيد الإباضي وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم ، وكان يشاركه في التجارة ، فلما دخل هشام سلم على عبد الله بن يزيد من بينهم ، فقال يحيى بن خالد لعبد الله بن يزيد: يا عبد الله كلم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة.

فقال هشام: أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة إن هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل ، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة ، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق ، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا ، فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان ، وكان من الحرورية: أنا أسألك يا هشام ، أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين؟

قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون ، وصنف مشركون ، و صنف ضلال ، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولي إن علياً عليه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاوية لا يصلح لها ، فأمنوا بما قال الله عز وجل في علي عليه السلام وأقروا به. وأما المشركون فقوم قالوا: على إمام ، ومعاوية يصلح لها ، فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع علي عليه السلام. وأما الضلال: فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال.

قال: فأصحاب معاوية ما كانوا ؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كفرون ، وصنف مشركون ، وصنف ضلال. فأما الكافرون: فالذين قالوا إن معاوية إمام ، وعلي لا يصلح لها ، فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل ، ونصبوا إماماً ليس من الله. وأما المشركون: فقوم قالوا: معاوية إمام ، وعلي يصلح

لها ، فأشركوا معاوية مع علي عليه السلام. وأما الضلال: فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية والعصية للقبائل والعشائر. فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: وأنا أسألك يا هشام في هذا ؟ فقال هشام: أخطأت قال: ولم ؟ قال: لأنكم كلكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي ، وقد سألني هذا عن مسألة وليس لكم أن تشنوا بالمسألة عليّ حتى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب ؟

قال ضرار: فسل ، قال: أتقول إن الله عز وجل عدل لا يجور ؟ قال: نعم هو عدل لا يجور تبارك وتعالى .

قال: فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله ، وكلف الأعمى قراءة المصاحف والكتب أتراه كان يكون عادلاً أم جائراً ؟ قال ضرار: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: قد علمت أن الله لا يفعل ذلك ولكن ذلك على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه ؟ قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله عز وجل كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم ؟

قال: بلى. قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين ، أو كلفهم مالا دليل لهم على وجوده فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة الكتب والمعقد المشي إلى المساجد والجهاد ؟

قال: فسكت ضرار ساعة ، ثم قال: لا بدّ من دليل وليس بصاحبك !

قال: فتبسم هشام وقال: تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية!

قال ضرار: فإني أرجع القول عليك في هذا.

قال: هات.. قال ضرار لهشام: كيف تعقد الإمامة؟

قال هشام: كما عقد الله عز وجل النبوة.

قال: فهو إذاً نبي! قال هشام: لا لأن النبوة يعقدها أهل السماء، والإمامة يعقدها أهل الأرض فعقد النبوة بالملائكة، وعقد الإمامة بالنبي، والعقدان جميعاً بأمر الله جل جلاله.

قال: فما الدليل على ذلك؟ قال هشام: الإضرار في هذا.

قال ضرار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: أما أن يكون الله عز وجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول ﷺ، فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينههم فصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفقول هذا يا ضرار إن التكليف عن الناس مرفوع بعد الرسول ﷺ؟

قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفون قد استحالوا بعد الرسول ﷺ علماء في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم، وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه! أفقول هذا إن الناس استحالوا علماء حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم بالدين حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحق؟ قال: لا أقول هذا، ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقي الوجه الثالث وهو أنه لا بدّ لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهوا ولا يغفلوا ولا يحيف ، معصوم من الذنوب ، مبرؤ من الخطايا ، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال: فما الدليل عليه ؟ قال هشام: ثمان دلالات أربع في نعت نسبه ، وأربع في نعت نفسه. فأما الأربع التي في نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس ، معروف القبيلة ، معروف البيت ، وإن يكون من صالبا الملة والدعوة إليه إشارة ، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله ، وإن محمداً رسول الله " فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل ، مقرر ومنكر ، في شرق الأرض وغربها ، ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده ، ولجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم ، ولكان من حيث أراد الله عز وجل أن يكون صلاح يكون فساد ، ولا يجوز هذا في حكمة الله جل وجلاله وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد. فلما لم يجر ذلك لم يجر أن يكون إلا في هذا الجنس لا تصاليه بصاحب الملة والدعوة ، فلم يجر أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهي قریش ، ولما لم يجر أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجر أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة ، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الإمامة لعلوها وشرفها ، ادعاه كل واحد منهم فلم يجر إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره.

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٢٥

وأما الأربع التي في نعت نفسه: فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل ، وإن يكون معصوماً من الذنوب كلها ، وإن يكون أشجع الناس ، وإن يكون أسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الإباضي: من أين قلت: أنه أعلم الناس ؟

قال: لأنه أن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود ، فمن وجب عليه القطع حده ، ومن وجب عليه الحد قطعه ، فلا يقيم الله عز وجل حداً على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: أنه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه ، ولا يحتج الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس ؟

قال: لأنه فئة للمسلمين الذي يرجعون إليه في الحروب ، وقال الله عز وجل: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَجَاعاً فَرَّ فَيَبُوءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، ولا يجوز أن يكون من يَبُوءُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عز وجل حجة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت أنه أسخى الناس ؟

قال: لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخياً تآقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً ، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت ؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين ! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله ،

فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة ، ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر ، مَنْ يعني بهذا ؟

فقال: يا أمير المؤمنين يعني به موسى بن جعفر ، قال: ما عني بها غير أهلها ، ثم عضَّ على شفتيه وقال: مثل هذا حيٌّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف !!

وعلم يحيى أن هشاماً قد أتى ، فدخل الستر فقال: يا عباسي ويحك من هذا الرجال؟ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك ، تكفى تكفى !

ثم خرج إلى هشام فغمزه ، فعلم هشام أنه قد أتى فقام يريهم أنه يبول أو يقضي حاجة ، فلبس نعليه وانسل ، ومر بيته وأمرهم بالتواري ، وهرب ومر من فوره نحو الكوفة ، فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال - وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام - فأخبره الخبر ، ثم اعتل علة شديدة فقال له البشير: آتيك بطيب ؟ قال: لا أنا ميت ، فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين ، مات حتف أنفه.

وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به ، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه ، وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل و المعدلون بالكوفة ، وكتب إلى الرشيد بذلك ، فقال: الحمد لله الذي كفانا أمره فخلي عنم كان أخذ

به (!! انتهى . (وعنه في البحار بتفاوت يسير: ١٩٧/٤٨)

وفي هذا النص دلالات هامة تاريخية وعقيدية ، وهو يكشف الحكمة من نهى الإمام الكاظم عليه السلام لهشام عليه السلام نهياً مشدداً عن المشاركة في ذلك مجلس المناظرات البرمكي !

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٢٧

وإن كان زمن هذه القصة بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بكثير حيث توفي الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣، وهشام قريب المثتين .

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمته الله يدافع عن عصمة نبينا صلوات الله عليهم

في مصنفات الشيخ المفيد: ٣٠/١: (فصل: ومن كلام الشيخ أدام الله عزه أيضاً: حضر في دار الشريف أبي عبدالله محمد بن محمد بن طاهر رحمته الله ، وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثاني وهو من فقهاءهم ، فقال له الورثاني: أليس من مذهبك أن رسول الله صلوات الله عليه كان معصوماً من الخطأ ، مبرأً من الزلل مأموناً عليه من السهو والغلط ، كاملاً بنفسه غنياً عن رعيته ؟ فقال له الشيخ أيده الله: بلى كذلك كان صلوات الله عليه .

قال له: فما تصنع في قول الله جل جلاله: *وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ* ، أليس قد أمره الله بالاستعانة بهم في الرأي وأفقره إليهم، فكيف يصح لك ما ادعيت مع ظاهر القرآن وما فعله النبي صلوات الله عليه ؟

فقال له الشيخ أدام الله عزه: إن رسول الله صلوات الله عليه لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجة دعته إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت ، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عما أخبرتك به ، وذلك أنا قد علمنا أن رسول الله صلوات الله عليه كان معصوماً من الكبائر والصغائر ، وإن خالفت أنت في عصمته من الصغائر. وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملة وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلاً وأكملهم تدبيراً ، وكانت المواد بينه وبين الله سبحانه متصلة والملائكة تتواتر عليه بالتوفيق من الله عز وجل والتهذيب ، والإنباء له عن المصالح ، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعوه داع إلى اقتباس الرأي من رعيته ، لأنه ليس

أحد منهم إلا وهو دونه في سائر ما عددناه ، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الاستفادة والاستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلاً أو ظن ذلك فأما إذا أحاط علماً بأنه دونه فيما وصفناه ، لم يكن للاستعانة في تدبيره برأيه معنى ، لأن الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال ، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم. والآية بينة يدل متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم).

مرجع الشيعة السيد المرتضى رحمته الله يؤلف كتاباً في تنزيه الأنبياء عليهم السلام

ألف السيد المرتضى وهو من أكابر علمائنا رحمته الله توفي سنة ٤٣٦ ، كتاباً خاصاً سماه "تنزيه الأنبياء" ، ليساعد الشيعة في وقوفهم إمام ثقافة اليهود التي نشرها الحكام في الأمة ، وقد ردّ فيه افتراءهم على الأنبياء عليهم السلام وما تمسكوا به من متشابهات القرآن. وقد تتبع المؤلفات في هذا الموضوع، وأقدم ما رأيته منها كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام لجعفر بن مبشر الكاتب المعتزلي ، ذكره كتابه ابن النديم في الفهرست ص ٢٠٨ ، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤١٤/١: (جعفر بن مبشر الثقفي ، من رؤوس المعتزلة ، له تصانيف في الكلام ، وهو أخو الفقيه حبش بن مبشر.... مات سنة أربع وثلاثين ومائتين). انتهى.

وأخوه حبش هذا من رواة الشيعة وفقهائهم المشهورين في بغداد. كما وجدت إسم كتاب عصمة الأنبياء لأحمد بن سهل أبي زيد البلخي المعتزلي أيضاً ، توفي ٣٢٢ ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٥٣ ، وابن حجر في لسان الميزان: ١٨٣/١ .

وهذا يدل على أن المدافعين عن عصمة الأنبياء عليهم السلام كانوا الشيعة وبعض

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٢٩

المعتزلة فقط ، وإن أتباع الفرق الموالية للحكم القرشي كانوا يقبلون الإسرائيليات فيهم التي تطعن في عصمتهم قبل النبوة وبعدها !
أما في القرون المتأخرة فنجد مؤلفات كثيرة في تنزيه الأنبياء عليهم السلام أكثرها لعلماء شيعة ، وأقل منها لمعتزلة وقليل منها لصوفية وعلماء سنيين ، وأشهرها على الإطلاق كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي المتوفى ٦٠٦ هجرية ، (كشف الظنون: ٣٣٣/١) وهو سني متأثر بالمعتزلة ، وسوف نورد فقرات من كتابه.

مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام

رأينا أن نورد في هذا الكتاب مقتطفات منه أو فهرساً علمياً موسعاً لأهم مسأله ، ونضع لها العناوين المناسبة ، ونلفت إلى أن العناوين المطبوعة بما فيها المسألة والجواب ، ليست من كلام المؤلف ، ولا في النسخة الأصلية.
قال رحمته الله في ص ١٥: (سألت أحسن الله توفيقك ، إملأ كتاب في تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن الذنوب والقبائح كلها ، ما سمي منها كبيرة أو صغيرة والرد على من خالف في ذلك ، على اختلافهم وضروب مذاهبهم .
وأنا أجيب إلى ما سألت على ضيق الوقت ، وتشعب الفكر ، وأبتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب ، ثم بالدلالة على مذهب الصحيح من جملة ما اذكره من المذاهب ، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار ، التي اشتبه عليه وجهها ، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق ، وإياه أسأل التأييد والتسديد.

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء ﷺ عن الذنوب

اختلف الناس في الأنبياء ﷺ ، فقالت الشيعة الإمامية ، لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، ويقولون في الأئمة مثل ذلك.

وجوز أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياء الكبائر قبل النبوة ، ومنهم من جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة ، ومنهم من جوزها كذلك في حال النبوة بشرط الإستسرار دون الإعلان ، ومنهم من جوزها على الأحوال كلها .

ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء ﷺ قبل النبوة وفي حالها ، وجوزت في الحاليين وقوع ما لا يستخف من الصغائر ، ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي ﷺ الإقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد ، ومنهم من منع من ذلك وقال إنهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنباً ، بل على سبيل التأويل.

وحكي عن النظام ، وجعفر بن مبشر ، وجماعة ممن تبعهما ، أن ذنوبهم لا تكون إلا على سبيل السهو والغفلة ، وأنهم مؤخذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أممهم لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم.

وجوزوا كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية وأصحاب الحديث على الأئمة الكبائر والصغائر ، إلا أنهم يقولون أن وقوع الكبيرة من الإمام تفسد إمامته ويجب عزله والإستبدال به.....

واعلم أن جميع ما ننزه الأنبياء ﷺ عنه ونمنع من وقوعه منهم ، يستند إلى دلالة العلم المعجز أما بنفسه أو بواسطة. وتفسير هذه الجملة ، أن العلم المعجز إذا كان

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٣١

واقعاً موقع التصديق لمدعي النبوة والرسالة ، وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في إنك رسولي ومؤدّ عني ، فلا بد من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله سبحانه فيما يؤديه عنه ، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب ، لأن تصديق الكذاب قبيح.....

فإن قيل: لم يبق إلا أن تدلوا على أن تجويز الكبائر يقدر فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال.

قلنا: لاشبهة في أن من نجوز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذنوب ، لا تكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله أو استماع وعظه كسكونها إلى من لانجوز عليه شيئاً من ذلك ، وهذا هو معنى قولنا أن وقوع الكبائر منفر عن القبول....

فإن قيل: أو ليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع ، وهذا ينقض قولكم أن الكبائر منفرة !

قلنا: هذا سؤال من لا يفهم ما أوردناه ، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وإن لا يقع امتثال الأمر جملة ، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لا يكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه ، وأنا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول.....

ومما يدل أيضاً على أن الكبائر لا تجوز عليهم ، أن قولهم قد ثبت أنه حجة في الشرع....

فأما ما حكيناه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما ، من أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام تقع منهم على سبيل السهو والغفلة ، وأنهم مع ذلك مؤاخذون بها

فليس بشئ ، لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من أن يكون ذنباً مؤاخذاً به ، ولهذا لا يصح مؤاخضة المجنون والنائم .

وحصول السهو في أنه مؤثر في ارتفاع التكليف بمنزلة فقد القدرة والآلات والأدلة ، فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء في صحة تكليفهم مع السهو ، جاز أن يخالف حالهم لحال أممهم في جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه ، وهذا واضح.

فأما الطريق الذي به يعلم أن الأئمة عليهم السلام لا يجوز عليهم الكبائر في حال الإمامة ، فهو أن الإمام إنما احتيج إليه لجهة معلومة ، وهي أن يكون المكلفون عند وجوده أبعد من فعل القبيح وأقرب من فعل الواجب على ما دللنا عليه في غير موضع ، فلو جازت عليه الكبائر لكانت علة الحاجة إليه ثابتة فيه وموجبة وجود إمام يكون إماماً له ، والكلام في إمامته كالكلام فيه ، وهذا يؤدي إلى وجود ما لا نهاية له من الأئمة وهو باطل ، أو الإنتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب.....

تنزيه آدم عليه السلام عن الغواية

فمما تعلقوا به قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه: ١٢١) قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التي لا تكون إلا قبيحة ، وأكدته بقوله فغوى ، وهذا تصريح بوقوع المعصية ، والغى ضد الرشد .

يقال لهم: أما المعصية فهي مخالفة الأمر ، والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالمندوب معاً ، فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك تناول من الشجرة ، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلاً وفضلاً وغير فاعل قبيحاً ، وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب ، فإن تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلاً بأنه عاص ظاهراً ، ولهذا

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٣٣

يقولون أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني ، وإن لم يكن ما أمره به واجباً.

وأما قوله فغوى فمعناه أنه خاب ، لأننا نعلم أنه لو فعل ما ندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم.....

فإن قال قائل: فما قولكم في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف: ١٨٩-١٩٠) ، أو ليس ظاهر هذه الآية يقتضى وقوع المعصية من آدم عليه السلام لأنه لم يتقدم من يجوز صرف هذه الكناية في جميع الكلام إليه ، إلا ذكر آدم عليه السلام وزوجته....

يقال له: قد علمنا أن الدلالة العقلية التي قدمناها في باب أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر والشرك ، والمعاصي غير محتملة ، ولا يصح دخول المجاز فيها ، والكلام في الجملة يصح فيه الإحتمال وضروب المجاز ، فلا بد من بناء المحتمل على ما لا يحتمل ، فلو لم نعلم تأويل هذه الآية على سبيل التفصيل لكنا نعلم في الجملة أن تأويلها مطابق لدلالة العقل. وقد قيل في تأويل هذه الآية ما يطابق دليل العقل ، ومما يشهد له اللغة وجوه.

منها ، أن الكناية في قوله سبحانه: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، غير راجعة إلى آدم عليه السلام وحواء ، بل إلى الذكور والإناث من أولادهما....

فأما ما يدعي في هذا الباب من الحديث فلا يلتفت إليه ، لأن الأخبار يجب أن تبنى على أدلة العقول ، ولا تقبل في خلال ما تقتضيه أدلة العقول. ولهذا لا تقبل أخبار الجبر والتشبيه ، ونردها أو نتأولها أن كان لها مخرج سهل. وكل هذا لو لم

يكن الخبر الوارد مطعوناً على سنده مقدوحاً في طريقه ، فإن هذا الخبر يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو منقطع ، لأن الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً في قول البغداديين.

وقد يدخل الوهن على هذا الحديث من وجه آخر ، لأن الحسن نفسه يقول بخلاف هذه الرواية فيما رواه خلف بن سالم ، عن إسحاق بن يوسف عن عوف ، عن الحسن في قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، قال: هم المشركون ، وبإزاء هذا الحديث ما روي عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم ، من أن الشرك غير منسوب إلى آدم وزوجته عليهما السلام وإن المراد به غيرهما ، وهذه جملة واضحة .

تنزيه نوح عليه السلام عما لا يليق به

فإن سأل سائل: عن قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). (هود: ٤٥-٤٦) فقال: ظاهر قوله تعالى أنه ليس من أهلك ، فيه تكذيب لقوله عليه السلام أن ابني من أهلي ، وإذا كان النبي لا يجوز عليه الكذب ، فما الوجه في ذلك ؟

قيل له: في هذه الآية وجوه ، كل واحد منها صحيح مطابق لأدلة العقل: أولها ، أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفي النسب ، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم....الخ.

تنزيه إبراهيم عليه السلام عن الكفر والعصيان

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليه السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليه السلام ١٣٥

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ
بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. (الأنعام: ٧٦-٧٨)
أوليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه عليه السلام كان يعتقد في وقت من الأوقات الإلهية
للكواكب ، وهذا مما قلتم أنه لا يجوز على الأنبياء عليه السلام

قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أنه لم يقل ذلك مخبراً ، وإنما قال فاضاً ومقدراً
على سبيل الفكر والتأمل ، إلا ترى أنه قد يحسن من أحدنا إذا كان ناظراً في شيء
ومتأملاً بين كونه على إحدى صفتيه أن يفرضه على إحداهما لينظر فيما يؤدي
ذلك الفرض إليه من صحة أو فساد ، ولا يكون بذلك مخبراً في الحقيقة....

تنزيه إبراهيم عليه السلام عن الشك في الله تعالى

فإن قيل فما معنى قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ
إِنِّي سَقِيمٌ) (الصافات: ٨٩)

تنزيه إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار للكفار

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ
وَعَدَهَا إِيَّاهُ) ، (التوبة: ١١٤) وكيف يجوز أن يستغفر لكافر ، أو أن يعده بالاستغفار؟
قلنا:.... فكيف يجوز أن يجعل ذلك ذنباً لإبراهيم عليه السلام وقد عذره الله تعالى في أن
استغفاره إنما كان لأجل مواعده ، وبأنه تبرأ منه لما تبين له منه المقام على عداوة
الله تعالى

تنزيه يعقوب عليه السلام عن إيقاع التحاسد بين بنيهِ

فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليه السلام على إخوته في البر والتقريب
والمحبة ، حتى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه ، وأفضى إلى الحال المكروهة
التي نطق بها القرآن

فإن قيل: فلم أرسل يعقوب يوسف عليه السلام مع إخوته....

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

فإن قيل: فلم أسرف يعقوب عليه السلام في الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابيضت عيناه من البكاء والحزن....

تنزيه يوسف عليه السلام عن الصبر على الاستعباد

فإن قيل: كيف صبر يوسف عليه السلام، ولم لم ينكرها ويبرأ من الرق، وكيف يجوز على النبي الصبر على أن يستعبد ويسترق....

تنزيه يوسف عليه السلام عن الهم بالمعصية

فإن قيل: فما تأويل قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤)....

قلنا: يجوز أن يكون لما هم بدفعها وضربها، أراه الله تعالى برهاناً على أنه أن أقدم على من هم به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعي عليه المراودة على القبيح، وتقذفه بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، اللذين هما القتل والمكروه...

فأما ما يدل من القرآن، على أنه عليه السلام ما هم بالفاحشة ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).....

تنزيه يوسف عليه السلام عن إلحاق الأذى بأبيه. تنزيه يوسف عليه السلام عن الكذب وتهمة إخوته.

تنزيه يوسف عليه السلام عن الرضا بالسجود له. تنزيه يوسف عليه السلام عن طاعة الشيطان

في أن أيوب عليه السلام ابتلي امتحاناً لا عقاباً

فإن قيل: فما قولكم في الأمراض والمحن التي لحقت أيوب عليه السلام أو ليس قد نطق القرآن بأنها كانت جزاء على ذنب في قوله: **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** (ص: ٤١) والعذاب لا يكون إلا جزاءً كالعقاب. والآلام الواقعة على سبيل الإمتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً ، أو ليس قد روى جميع المفسرين أن الله تعالى إنما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها ؟

قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدل على أن أيوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار ، وليس في ظاهره شيء مما ظنه السائل.....

فأما ما روي في هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت إلى مثله ، لأن هؤلاء لا يزالون يضيفون إلى ربهم تعالى وإلى رسله عليهم السلام كل قبيح ومنكر ، ويقذفونهم بكل عظيم ! وفي روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمله المتأمل علم أنه موضوع الباطل مصنوع ، لأنهم رَوَوْا أن الله تعالى سلط إبليس على مال أيوب عليه السلام وغنمه وأهله ، فلما أهلكهم ودمر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه ، قال إبليس لربه يا رب أن أيوب قد علم أنك ستخلف عليه ماله وولده فسلطني على جسده ، فقال تعالى قد سلطتك على جسده كله إلا قلبه وبصره ، قال فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحة واحدة ، فقذف على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف الدواب على جسده.. إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله ! فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته ، ومن لا يعلم أن الله تعالى لا يسلط إبليس على خلقه ، وإن إبليس لا يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض كيف تعتمد روايته ؟ !

تنزيه موسى عليه السلام عن العصيان بالقتل

فإن قيل: فما الوجه في قتل موسى عليه السلام للقبطي وليس يخلو من أن يكون مستحقاً للقتل أو غير مستحق ، فإن كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه السلام وقوله: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) وقوله: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) ، وإن كان غير مستحق فهو عاص في قتله...

قلنا: مما يجاب به عن هذا السؤال أن موسى عليه السلام لم يعتمد القتل ولا أراد ، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله ، فأراد موسى عليه السلام أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه ، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه ، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به ، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه ، وبين أن يكون عن غيره....

ومن العجب ، أن أبا علي الجبائي ذكر هذا الوجه في تفسيره ، ثم نسب مع ذلك موسى عليه السلام إلى أنه فعل معصية صغيرة ، ونسب معصيته إلى الشيطان !!

تنزيه موسى عليه السلام عن الضلالة والاستغفاء من الرسالة. وتنزيهه عن الأمر بالسحر ، وعن الخوف الحرام ، وعن نسبة الإضلال لله تعالى ، وعن سؤال الرؤية لنفسه ، وبيان الوجه في أخذ موسى برأس أخيه عليه السلام يجره ، وتنزيهه عن المعصية في مرافقته للخضر عليه السلام ، وتنزيهه عما رموه به من أخذ الحجر لثيابه وركضه عارياً.....

تنزيه داود عليه السلام عن المعصية، وتفسير قوله تعالى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. وتنزيه سليمان عليه السلام عن المعصية ، وعن الإفتتان. وعن الشح وعدم القناعة في طلبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

تنزيه يونس عليه السلام عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

تنزيه عيسى عليه السلام عن ادعائه الألوهية ، وتفسير قوله تعالى: إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ .

تنزيه نبينا صلوات الله عليه عن الضلال ، وتفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا .

وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .

وقوله تعالى: سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى .

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .

وقوله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

وقوله تعالى: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

وقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ .

وقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا .

وقوله تعالى: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ .

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى .

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكيف يوجه هذا الخطاب إلى من لا يجوز عليه الشرك ولا شيء من المعاصي ؟

قد قيل في هذه الآية أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته ، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة.... وليس يمتنع أن يتوعد الله تعالى على العموم. وعلى سبيل الخصوص من يعلم أنه لا يقع منه ما تناوله الوعيد ، لكنه لا بد من أن يكون مقدوراً له وجائزاً بمعنى الصحة لا بمعنى الشك ، ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاماً لمن يقع منه ما تناوله الوعيد ، ولمن علم الله تعالى أنه لا يقع منه....

والشيعة لها في هذه الآية جواب تنفرد به وهو أن النبي ﷺ لما نص على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالإمامة في ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبوا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة في ابن عمك علي بن أبي طالب ! فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى. فقال لهم النبي ﷺ: ما فعلت ذلك برأيي فأتخير فيه ، لكن الله تعالى أمرني به.... إلى آخر ما أورده الشريف المرتضى رحمه الله .

وقد تعرض المؤلف رحمه الله إلى عدة مسائل في تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه وبحث عدداً من أحاديثهم المروية عن النبي ﷺ مثل: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.. إن الله خلق آدم على صورته.. إن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل ، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا.. سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في

رؤيته!

وقال تعليقاً على الأخير: قلنا: أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح في روايه ، فإن روايه قيس بن أبي حازم ، وقد كان خولط في عقله في آخر عمره ، مع استمراره على رواية الأخبار ! وهذا قدح لاشبهة فيه ، لأن كل خبر مروى عنه لا يعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً ، لأنه لا يؤمن أن يكون مما سمع منه في حال الاختلال. وهذه طريقة في قبول الأخبار وردّها ينبغي أن يكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سلم من هذا القدح ، كان مطعوناً فيه من وجه آخر ، وهو أن قيس بن أبي حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمير المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه ، وهو الذي قال: رأيت علي بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول: إنفروا إلى بقية الأحزاب ، فأبغضته حتى اليوم في قلبي! إلى غير ذلك من تصريحه بالمناسبة والمعاداة. وهذا قادح لاشك في عدالته .

وختم المؤلف رحمته الله كتابه بالإجابة على ما يشكله بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه وعصمته ، من قبيل إشكالهم وسؤالهم لماذا لم ينازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذين غصبوا خلافته ؟ قال رحمته الله:

إن قال قائل: إذا كان من مذهبكم يا معشر القائلين بالنص أن النبي صلى الله عليه وآله نص على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعده ، وفوض إليه أمر أمته ، فما باله لم ينازع المتآمرين بعد النبي صلى الله عليه وآله في الأمر الذي وكل إليه وعول في تدبيره عليه ، أو ليس هذا منه إغفالاً لواجب لا يسوغ إغفاله ؟

فإن قلت إنه لم يتمكن من ذلك فهلا أعذر وأبلى واجتهد ، فإنه إذا لم يصل إلى مراده بعد الإعذار والاجتهاد كان معذوراً.

أو ليس هو عليه السلام الذي حارب أهل البصرة وفيهم زوجة رسول الله ﷺ، وطلحة والزبير، ومكانهما من الصحبة والإختصاص والتقدم مكانهما، ولم يحشمه ظواهر هذه الأحوال من كشف القناع في حربهم حتى أتى على نفوس أكثر أهل العسكر؟

وهو المحارب لأهل صفين مرة بعد أخرى مع تخاذل أصحابه وتواكل أنصاره، وإنه كان في أكثر مقاماته تلك وموقفه لا يغلب في ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر، وكان مع ذلك كله مصمماً ماضياً قدماً...

قلنا: أما الكلام على ما تضمنه هذا السؤال فهو مما يخص الكلام في الإمامة وقد استقصيناه في كتابنا المعروف بالشافعي في الإمامة، وبسطنا القول فيه في هذه الأبواب ونظائرهما بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة، لكننا لا نخلي هذا الكتاب من حيث تعلق غرضه بهذه المواضع من إشارة إلى طريقة الكلام فيها، فنقول: قد بينا في صدر هذا الكتاب أن الأئمة عليهم السلام معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها، واعتمدنا في ذلك على دليل عقلي لا يدخله احتمال ولا تأويل بشئ، فمتى ورد عن أحدهم عليه السلام فعل له ظاهر الذنب، وجب أن نصرفه عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلي فيهم، كما فعلنا مثل ذلك في متشابه القرآن المقتضي ظاهره ما لا يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز على نبي من أنبيائه عليهم السلام.

فإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام إمام فقد ثبت بالدليل العقلي أنه معصوم عن الخطأ والزلل، فلا بد من حمل جميع أفعاله على جهات الحسن، ونفي القبيح عن كل واحد منها. وما كان له منها ظاهر يقتضي الذنب علمنا في الجملة أنه على غير ظاهره، فإن عرفنا وجهه على التفصيل ذكرناه، وإلا كفانا في تكليفنا

أن نعلم أن الظاهر معدولٌ عنه ، وأنه لا بدَّ من وجه فيه يطابق ما تقتضيه الأدلة .
وهذه الجملة كافية في جميع المشتبهة من أفعال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم ، ونحن نزيد عليها فنقول: إن الله تعالى لم يكلف إنكار المنكر سواءً اختص بالمنكر أو تعداه إلى غيره ، إلا بشروط معروفة ، أقواها التمكن ، وإن لا يغلب في ظن المنكر أن إنكاره يؤدي إلى وقوع ضرر به لا يحتمل مثله ، وإن لا يخاف في إنكاره من وقوع ما هو أفحش منه وأقبح من المنكر.

وهذه شروط قد دلت الأدلة عليها ، ووافقنا المخالفون لنا في الإمامة فيها. وإذا كان ما ذكرناه مراعىً في وجوب إنكار المنكر ، فمن أين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة في حقه والمجادلة ، وما المنكر من أن يكون عليه السلام خائفاً متى نازع وحارب ، من ضرر عظيم يلحقه في نفسه وولده وشيعته؟! ثم ما المنكر من أن يكون خاف من الإكثار من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام ونبذهم شعار الشريعة ، فرأى أن الإغضاء أصح في الدين ، من حيث كان يجبر الإنكار ضرراً فيه لا يتلافى...

ثم قد ذكرنا في كتابنا في الإمامة من أسباب الخوف وأمارات الضرر التي تناصرت بها الروايات ، ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتأمل ، وأنه عليه السلام غولط في الأمر وسوبق إليه وانتهزت غرته ، واغتنتم الحال التي كان فيها متشاغلاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله ، وسعى القوم إلى سقيفة بني ساعدة ، وجرى لهم فيها مع الأنصار ما جرى...

وأما حضور مجالسهم ، فما كان عليه الصلاة والسلام ممن يتعمدها ويقصدها ، وإنما كان يكثر الجلوس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقع الاجتماع مع القوم هنا ، وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص. وبعد ، فلو تعمد حضور مجالسهم لينهى

عن بعض ما يجري فيها من منكر ، فإن القوم قد كانوا يرجعون إليه في كثير من الأمور ، لجاز ، ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقه قوية .

فأما الدخول في آرائهم ، فلم يكن عليه السلام ممن يدخل فيها إلا مرشداً لهم ، ومنبهاً على بعض ما شذ عنهم ، والدخول بهذا الشرط واجب

فأما الدخول في الشورى ، فقد بينا في كتابنا المقدم ذكره الكلام فيه مستقصى ، ومن جملته أنه عليه السلام لولا الشورى لم يكن ليتمكن من الإحتجاج على القوم بفضائله ومناقبه ، والأخبار الدالة على النص بالإمامة عليه...ومن كان يصغي لولا الشورى إلى كلامه المستوفى في هذا المعنى ؟...

فإن قيل: فما الوجه في تحكيمه عليه السلام أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وما العذر في أن حكم في الدين الرجال..... ؟

قلنا: كل أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه ونتشكك فيه لأجل أمر محتمل ، وقد ثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته وطهارته من الخطأ ، وبراءته من الذنوب والعيوب ، بأدله عقلية وسمعية ، فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع ، ولا عن شئ منه ، لما وقع من التحكيم للصواب بظاهره ، وقبل النظر فيه كاحتماله للخطأ ، ولو كان ظاهره أقرب إلى الخطأ وأدنى إلى مخالفة الصواب.

بل الواجب في ذلك القطع على مطابقة ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل ، أو صرف ماله ظاهر عن ظاهره ، والعدول به إلى موافقة مدلول الدلالة التي لا يختلف مدلولها ولا يتطرق عليها التأويل.

وهذا فعلنا فيما ورد من أي القرآن التي تخالف بظاهرها الأدلة العقلية مما يتعلق به الملحدون أو المجبرة أو المشبهة.

الفصل الخامس - دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ١٤٥

وهذه جملة قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجة ، ولو اقتصرنا في حل هذه الشبهة عليها لكانت مغنية كافية... انتهى.

الفصل السادس

معركة تنزيه الأنبياء عليهم السلام بين الشيعة ومخالفهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها معصية الأنبياء ﷺ ، ورد الأحاديث التي تزعم ذلك

اتضح بما تقدم أن أئمة أهل البيت ﷺ رسموا خطأً في تنزيه الأنبياء ﷺ والدفاع عنهم ، وأن علماء المذهب رضوان الله عليهم اتبعوهم فأجادوا الإتيان والشرح والإستدلال ، وكان موقفهم ثابتاً في أن الآيات التي يبدو منها وقوع المعصية من الأنبياء ﷺ وأنها ليست على ظاهرها بل يجب اتباع الراسخين في العلم في تأويلها.

واتضح أن الأحاديث الصريحة في ارتكاب الأنبياء ﷺ للمعاصي مكذوبة ، وأنها من موضوعات رواة السلطة القرشية لتبرير معاصي الخلفاء أو من الإسرائيليات التي ابتليت بها مصادر السنة عندهم ، وكلها روايات باطلة يجب التوقف فيها أو تكذيبها ، حتى لو تسرب بعضها إلى مصادرنا !

وتشمل هذه القاعدة نفي وقوع المعصية من الأنبياء ﷺ وكل سلوك أو وضع ينفر الناس منهم ، كما تشمل نفي السهو والنسيان عنهم ﷺ.

قال العلامة الحلي في منتهى المطلب: ٣٣٥/١: (احتج المخالف بأن النبي ﷺ صلى بأصحابه فلما أحرم بالصلاة ذكر أنه جنب ، فقال لأصحابه: كما أنتم ،

ومضى ورجع ورأسه يقطر ماء ولم يستخلف ، فدل على عدم الجواز.
والجواب: أن هذا عندنا باطل ، والخبر كذبٌ إذ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن وقوع الذنب عمداً وسهواً). انتهى .

ومن هذا القبيل رد علماء الشيعة لخبر اتهام نبي داود عليه السلام مع أنه ورد في تفسير القمي: ٢٢٩/٢: وجاء فيه: (فلما كان اليوم الذي وعده الله عز وجل اشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو في محرابه يصلي ، فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد ، فأعجبه جداً ونسي ما كان فيه ، فقام ليأخذه فطار الطائر فوق على الحائط بين داود وبين أوريا بن حنان ، وكان داود قد بعث أوريا في بعث فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير ، وإذا امرأة أوريا جالسة تغتسل ، فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنهما ، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسي ما كان فيه ، وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم ، وكان التابوت في بني إسرائيل كما قال الله عز وجل: فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢٤٨) وقد كان رفع موسى عليه السلام إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي ، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبي أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل في سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت ، وكان التابوت إذا وضع بين بني إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل ، ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذي بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدي التابوت ، فقدمه وقتل ، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدوا ولم يكن تزوج امرأة أوريا ، وكانت في عدتها

وداود في محرابه يوم عبادته ، فدخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففرع داود منهما فقالا: لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (ص: ٢٢) ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية ، فقال أحدهما لداود: إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. أي ظلمني وقهرني، فقال داود كما حكى الله عز وجل: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فِتْنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (ص: ٢٣-٢٤) قال: فضحك المستعدي عليه من الملائكة وقال: وقد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك ، قال: فعرجا ، وقال الملك المستعدي عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه مني.

ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة فبقي أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره ولا يقوم إلا وقت الصلاة ، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه....!! إلى آخر القصة الواردة في مصادر أهل الكتاب ومصادر السنيين ! وقد ردها علماء الشيعة ، وحملها بعضهم على التقية لموافقتها مذهب العامة ورواياتهم التي تجوز المعاصي على الأنبياء عليهم السلام.

وقد تقدم استنكارها في مقدمة الكتاب في حديث الإمام الرضا عليه السلام.

لاعصمة للأنبياء ﷺ عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون !

المعروف عن المذاهب السنية أنها تعتقد بعصمة الأنبياء ﷺ ، لكن واقعها العملي عدم الاعتقاد بعصمتهم ، لاعن الصغائر ولا الكبائر ولا ما ينفر الناس منهم ، لا قبل البعثة ولا بعدها ، لا في الأمور الشخصية ولا في تبليغ الرسالة !
فأئمة المذاهب وعلماءها يقولون نظرياً بعصمة الأنبياء ﷺ عصمة غير تامة على اختلاف بينهم فيها ، لكنهم عندما يصلون إلى الإسرائيليات ، أو إلى القرشيات ، يقعون في اتهام الأنبياء ﷺ ، ويتمسكون بالآيات المتشابهة التي يبدو منها وقوع المعصية منهم ﷺ فينفون عنهم العصمة التي أثبتوها لهم آنفاً ! بل ينسبون اليهم المنكرات والعظائم ، حتى إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ !

من جهة أخرى.. يقول علماء المذاهب السنية إنهم لا يعتقدون بعصمة الصحابة بل بعداتهم، وقد يفسرون عدالتهم بتصديق روايتهم عن النبي ﷺ .
لكن كلامهم هذا نظري ، لأنهم إذا وصلوا إلى أي مسألة تتعلق بأبي بكر وعمر وعثمان ، تراهم يدافعون عنهم حتى لو كانت المسألة مقابل النبي ﷺ !
ومعناه أنهم يقولون بعصمة هؤلاء الثلاثة ، وبعضهم يقول بعصمة عائشة وحفصة ومعاوية معهم ، فهم يبررون أخطاءهم ، وقد يكفرون من ينتقدهم !
أما إذا اختلف الصحابة في رأي أو فتوى أو نقل حديث ، فهم مجمعون على أن العصمة والحق دائماً مع عمر ، وفيما وافق عمر !
وقد ناقشنا بعض المتحمسين لعمر وابن تيمية ، فقال إنكم تتهموننا زوراً بأننا نعتقد بعصمة عمر وابن تيمية ، فنحن لم نقل ذلك ؟
فقلنا له إنكم لا تقولون ذلك بل تفعلونه ، فإن كنت صادقاً فأعطنا خطأ واحداً
تراه لابن تيمية أو لعمر ! فغضب وولى !

الفصل السادس - معركة تنزيه الأنبياء ﷺ بين الشيعة ومخالفهم ١٥٣

وهذه مفارقة عجيبة أنهم يقولون بعصمة الأنبياء ﷺ نظرياً ثم ينقضونها عملياً !
ويقولون بعدم عصمة الصحابة نظرياً ، ثم يصرون عليها عملياً !

قال العلامة الحلي قدس سره في نهج الحق وكشف الصدق ص ١٤٢:

(ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء ﷺ معصومون عن الصغائر والكبائر ،
ومنزهون عن المعاصي ، قبل النبوة وبعدها ، على سبيل العمد والسيان ، وعن
كل رذيلة ومنقصة ، وما يدل على الخسة والضعفة .

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي ، وبعضهم جوزوا الكفر
عليهم قبل النبوة وبعدها ! وجوزوا عليهم السهو والغلط !

ونسبوا رسول الله ﷺ الى السهو في القرآن بما يوجب الكفر ! فقالوا إنه صلى
يوماً وقرأ في سورة (النجم) عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ
الْأُخْرَى: تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة ترتجى !!

وهذا اعتراف منه ﷺ بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها ! نعوذ بالله من هذه
المقالة التي نسبوا النبي ﷺ إليها ، وهي توجب الشرك ! فما عذرهم عند رسول
الله ﷺ ، وقد قتل جماعة كثيرة من أهله وأقاربه على عبادة الأصنام ، ولم
تأخذه في الله لومة لائم ، و(هم) ينسبون إليه هذا القول الموجب للكفر
والشرك!!....

وروا عنه ﷺ أنه صلى الظهر ركعتين ، فقال له ذو اليد: أقصرت الصلاة أم
نسيت يا رسول الله؟! فقال: أصدق ذو اليد ؟ فقال الناس: نعم ، فقام رسول
الله ﷺ فصلى اثنتين أخريين ، ثم سلم.. الحديث !!

وروا في الصحيحين أنه ﷺ صلى بالناس صلاة العصر ركعتين ، ودخل
حجرته ، ثم خرج لبعض حوائجه ، فذكره بعض فأتَمَّها !

وأي نسبة أنقص من هذا وأبلغ في الدناءة ! فإنها تدل على إعراض النبي ﷺ عن عبادة ربه وإهمالها والإشتغال عنها بغيرها ، والتكلم في الصلاة ، وعدم تدارك السهو من نفسه لو كان ! نعوذ بالله من هذه الآراء الفاسدة !

ونسبوا إلى النبي ﷺ كثيراً من النقص ! روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن عائشة قالت: كنت ألعبُ بالبنات عند النبي (ص) وكانت لي صواحبٌ يلعبنَ معي وكان رسول الله إذا دخل تقبَّعنَ منه ، فيشير إليهن فيلعبن معي !

مع أنهم رَووا في صحاح الأحاديث: أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور مجسمة ، أو تماثيل ! وتواتر النقل عنه بإنكار عمل الصور والتماثيل ، فكيف يجوز لهم نسبة هذا إلى النبي ﷺ وإلى زوجته من عمل الصور في بيته ، الذي أسس للعبادة ، وهو محل هبوط الملائكة والروح الأمين في كل وقت ! ولما رأى النبي ﷺ الصور في الكعبة لم يدخلها حتى محيت ، مع أن الكعبة بيت الله تعالى ، فإذا امتنع من دخوله مع شرفه وعلو مرتبته ، فكيف يتخذ في بيته ، وهو أدون من الكعبة صوراً ويجعله محلاً لها.

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين: قالت عائشة: رأيت النبي يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر! وروى الحميدي عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحولَّ وجهه ، ودخل أبو بكر فاتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي؟! فأقبل عليه رسول الله وقال: دعها فلما غفل غمزتهما فخرجتا ! وكيف يجوز للنبي ﷺ الصبر على هذا ، مع أنه نصَّ على تحريم اللعب واللهو والقرآن مملوءٌ به ، وبالخصوص مع زوجته؟! وهلا دخلته الحمية

والغيرة مع أنه ﷺ أغيرُ الناس؟!

وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما ؟ فهل كانا أفضل منه ؟!

وقد رووا عنه ﷺ أنه لما قدم المدينة من سفر ، خرجت إليه نساء المدينة يلعبن بالدف فرحاً بقدومه ، وهو يرقص بأكمامه !! وهل يصدر مثل هذا عن رئيس ، أو من له أدنى وقار ، نعوذ بالله من هذه السقطات !
مع أنه لو نسب أحدهم إلى مثل هذا ، قابله بالسب والشتم وتبرأ منه ، فكيف يجوز نسبة النبي ﷺ إلى مثل هذه الأشياء التي يُتبرأ منها ؟!

وفي الصحيحين أن ملك الموت لما جاء لقبض روح موسى ﷺ لطمه موسى فقفاً عينه ! فكيف يجوز لعاقل أن ينسب موسى ﷺ مع عظمته وشرف منزلته وقربه من الله تعالى والفوز بمجاورة عالم القدس ، إلى هذه الكراهة؟! وكيف يجوز منه أن يوقع بملك الموت ذلك وهو مأمور من قبل الله تعالى؟!

وفي الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال في صفة الخلق يوم القيامة: وإنهم يأتون آدم ويسألونه الشفاعة فيعتذر إليهم ، فيأتون نوحاً فيعتذر إليهم ، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله و خليله ، إشفع لنا إلى ربك أما ترى ما نحن فيه ؟! فيقول لهم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله ! وإني قد كذبت ثلاث كذبات. نفسي ، نفسي ، إذهبوا إلى غيري ! وفي الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم النبي إلا ثلاث كذبات !!

كيف يحلُّ لهؤلاء نسبة الكذب إلى الأنبياء ﷺ؟! وكيف الوثوق بشريعتهم ، مع الإعتراف بتعمد كذبهم ؟!

وفي الجمع بين الصحيحين أن النبي ﷺ قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ

قال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَال بَلَى وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي. ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ! ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي !

كيف يجوز لهؤلاء الإجتراء على النبي ﷺ بالشك في العقيدة ؟ وفي الصحيحين قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها فقال له رسول الله ﷺ: دعهم يا عمر. وروى الغزالي في إحياء علوم الدين أن النبي ﷺ كان جالساً وعنده جوار يغنين فجاء عمر فاستأذن فقال النبي ﷺ للجواري: أسكتن فسكتن ، فدخل عمر وقضى حاجته ثم خرج ، فقال لهن عُذْنِ ، فعدن إلى الغناء ! فقلن: يا رسول الله ، من هذا الذي كلما دخل قلت أسكتن ، وكلما خرج قلت: عدن إلى الغناء ؟ قال هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل.

كيف يحلُّ لهؤلاء القوم رواية مثل ذلك عن النبي ﷺ ؟ أترى عمر أشرف من النبي ﷺ ؟ حيث لا يؤثر سماع الباطل ، والنبي ﷺ يؤثره ؟!

وفي الجمع بين الصحيحين: عن أبي هريرة قال: أقيمت الصلاة ، وعدلت الصفوف قياماً قبل أن يخرج إلينا رسول الله ﷺ ، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنبٌ فقال لنا: مكانكم. فلبثنا على هيئتنا قياماً ، فاغتسل ، ثم خرج إلينا ، ورأسه يقطر ، فكبر وصلينا.

فليُنظر العاقل: هل يحسن منه وصف أدنى الناس بأنه يحضر الصلاة ويقوم في الصف وهو جنب! وهل هذا الأمن التقصير في عبادة ربه وعدم المسارعة إليها وقد قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، فأَي مكلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبي ﷺ ؟!

وفي الجمع بين الصحيحين عن أبي هريرة قال: صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي العشي ، قال وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ، ثم قال إلى خشبة في مقام المسجد فوضع يده عليها ، وفيهم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه ، وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة ؟ ورجلٌ يدعوه النبي ﷺ ذو اليدين فقال:

لم أنسَ ولم أقصّر ، قال: بل قد نسيت! فصلى ركعتين ثم سلم !

فلينظر العاقل هل يجوز نسبة هذا الفعل إلى رسول الله ﷺ ؟ وكيف يجوز منه أن يقول: ما نسيت؟ فإن هذا سهوٌ في سهو ، ومن يعلم أن أبا بكر وعمر حفظا ما نسي رسول الله ﷺ مع إنهما لم يذكر ذلك للنبي ﷺ ؟

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ: أنه دعا زيد بن عمرو بن نفيل وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ ، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرةً فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال: إني لا آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل مما لم يذكر إسم الله عليه !!

فلينظر العاقل هل يجوز له أن ينسب نبيه إلى عبادة الأصنام ، والذبح على الأنصاب ويأكل منه ! وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان أعرف بالله منه ، وأتمَّ حفظاً ورعايةً لجانب الله تعالى؟! نعوذ بالله من هذه الإعتقادات الفاسدة !

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: كنت مع النبي ﷺ فأنتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً ، فتنحيت فقال: أدنه ، فدنوتُ حتى قمت عند عقبيه ، فتوضأ فمسح على خفيه ! فكيف يجوز: أن ينسب إلى رسول الله ﷺ البول قائماً ، مع أن أُرذل الناس لو نُسب هذا إليه تبرأ منه؟! ثم المسح على الخفين والله تعالى يقول: وأرجلكم !

فانظروا إلى هؤلاء القوم: كيف يجوّزون الخطأ والغلط على الأنبياء ﷺ ، وإن

النبي يجوز أن يسرق درهماً ، ويكذب في أحسن الأشياء وأحقرها !
وقد لزمهم من ذلك محالات:

منها: جواز الطعن على الشرائع وعدم الوثوق بها ، فإن المبلِّغ إذا جَوَّزوا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً ، أو يترك شيئاً مما أُوحيَ إليه ، أو يأمر من عنده ، فكيف يبقى اعتماداً على أقواله ؟!

ومنها: أنه إذا فعل المعصية ، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها ، فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه ، واجتمع الضدان ! وإن لم يجب ، انتفت فائدة البعثة.

ومنها: أنه لو جاز أن يعصي لوجب إيذاؤه والتبري منه ، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الله تعالى قد نص على تحريم إيذاء النبي ﷺ فقال: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً** ، (الأحزاب: ٥٧)

ومنها: سقوط محله ورتبته عند العوام ، فلا ينقادون إلى طاعته ، فتنتفي فائدة البعثة.

ومنها: أنه يلزم أن يكونوا أدون حالاً من آحاد الأمة ، لأن درجات الأنبياء ﷺ في غاية الشرف ، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش ، كما قال تعالى: **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ، (الأحزاب: ٣٠) والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر. والأصل فيه: أن علمهم بالله تعالى أكثر وأتم ، وهم مهبط وحيه ، ومنازل ملائكته ، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع ، فينافي صدور الذنب ، لكن الإجماع دل على أن النبي ﷺ لا يجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

ومنها: أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة ، لقوله تعالى: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ، فكيف تقبل شهادته في الوحي ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة ، وهو باطل بالإجماع.

ومنها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الإقتداء به لقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ..لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... فَاتَّبِعُونِي...** والتالي باطل بالإجماع ، وإلا اجتمع الوجوب والحرمة (. انتهى.

وقال **رحمته الله** في نهج الحق وكشف الصدق/١٥٩:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبي ﷺ يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات ، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسة ، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه ، لأن ذلك يسقط محله من القلوب ، وينفّر الناس عن الإنقياد إليه ، فإنه من المعلوم بالضرورة الذي لا يقبل الشك والإرتياب.

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعتبار نفى الحسن والقبح ، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا المعلوم لكل أحد ! وإن ب فاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك ! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصفع في الأسواق ويُستهزأ به ، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه ، قواداً ، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك ، لا تردُّ يدَ لامس ! ويكون هو في غاية الدناءة والسفالة ، ممن قد ليط به طول عمره ، حال النبوة وقبلها ، ويصفع في الأسواق ، ويعتمد المناكير ، ويكون قواداً بصاصاً. فهؤلاء يلزمهم القول بذلك حيث نفوا التحسين والتقبيح العقليين ، وإن ذلك ممكنٌ فيجوز من الله وقوعه ، وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لا يستحق العذاب ، بل يستحق الثواب طول الأبد !

وأما المعتزلة ، فلأنهم جوّزوا صدور الذنب عنهم ﷺ ، لزمهم القول بجواز

ذلك أيضاً ، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم ، كما في قصة إخوة يوسف !
 فلينظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة ،
 والآراء الرديئة؟ وهل يبقى مكلف ينقاد إلى قبول قول من كان يفعل به الفاحشة
 طول عمره إلى وقت نبوته؟ وأنه يصفع ويستهزأ به حال النبوة؟! وهل يثبت
 بقول هذا حجة على الخلق؟!

واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط ، وأنهم إن بحثوا في ذلك
 استعملوا الفضول ، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله
 تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به ، ولا أرسل إليه رسولاً البتة ! بل وعلى امتثال
 أمره به ، وإن جميع القبائح من عنده تعالى ، وإن كل ما وقع في الوجود فإنه
 فعله تعالى وهو حسن ، لأن الحسن هو الواقع والقبیح هو الذي لم يقع. فهذه
 الصفات الخسيسة في النبي وأبويه تكون حسنة ، لوقوعها من الله تعالى ، فأى
 مانع حينئذ من البعثة باعتبارها؟!

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي ﷺ وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو
 حسن ! وكذا أنواع المعاصي ! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه
 للأنبياء ﷺ؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان ،
 وجواز بعثة من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات.

وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب ، قد أنكروا الضروريات !

وقال في منهاج الكرامة ص ٣١ ، وهو الكتاب الذي حاول ابن تيمية أن يرد عليه في
 منهاج سنته ، قال العلامة: (الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة:
 ذهب الإمامية إلى أن الله تعالى عدلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يخلُ بواجب وإن
 أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة ، وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث ، وأنه

رؤوفٌ بالعباد ، يفعل بهم ما هو الأفضل لهم والأنتفع ، وأنه تعالى كلفهم تخيراً لا إجباراً ، ووعدهم بالثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين ، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي ، وإلا لم يبق وثوقٌ بأقوالهم ، فتنتفي فائدة البعثة.

ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالأمة ، فنصب أولياء معصومين عليهم السلام ، ليأمن الناس من غلظهم وسهوهم وخطئهم ، فينقادون إلى أوامرهم ، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ على أن الخليفة بعده عليُّ بن أبي طالب ، ثم من بعده ولدُه الحسن الزكي ، ثم علي الحسين الشهيد ، ثم علي بن الحسين زين العابدين ، ثم علي محمد بن علي الباقر ، ثم علي جعفر بن محمد الصادق ، ثم علي موسى بن جعفر الكاظم ، ثم علي بن موسى الرضا ، ثم علي محمد بن علي الجواد ، ثم علي بن علي بن محمد الهادي ، ثم علي الحسن بن علي العسكري ، ثم علي الخلف الحجة محمد بن الحسن عليه السلام ، وإن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت إلا عن وصية بالإمامة.

وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله ، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى ، وجوّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب ، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل كل أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة البتة !

وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث ، وأنه لا يفعل ما هو الأفضل للعباد ، بل ما هو الفساد في الحقيقة ، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم مستندة إليه! تعالى الله عن ذلك ، وإن المطيع لا يستحق ثواباً والمعاصي لا يستحق عقاباً ، بل قد يعذب المطيع طول عمره ، المبالغ في امتثال

أوامره تعالى كالنبي ﷺ ويشيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون ! وإن الأنبياء ﷺ غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو ، وغير ذلك.

وإن النبي ﷺ لم ينص على إمام بينهم ، وأنه مات عن غير وصية ، وإن الإمام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة ، وسالم مولى حذيفة ، وأسيد بن حضير ، وبشر بن سعيد ، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبي بكر عليه ، ثم عثمان بن عفان بنص عمر على ستة هو أحدهم ، فاختره بعضهم ، ثم علي بن أبي طالب ﷺ لمبايعة الخلق له. ثم اختلفوا ، فقال بعضهم إن الإمام بعده ابنه الحسن ﷺ ، وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبي سفيان ، ثم ساقوا الإمامة في بني أمية إلى أن ظهر السفاح من بني العباس ، فساقوا الإمامة إليه ، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم ، إلى أربعين !.

وقال الكراجكي رحمه الله في كتابه: التعجب من أغلاط العامة ص ٦٤:

(الفصل السابع في أغلاطهم في العصمة: فمن عجيب أمرهم: أنهم ينكرون عصمة الأنبياء والأئمة ﷺ عن سائر الأنام ، ويقولون إن هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن تقع في غيرهم فيساويهم في منزلتهم ، وإن كانت من الله سبحانه فقد جبرهم واضطرهم ولم يستحقوا ثواباً على عصمتهم !

وهم مع ذلك معترفون بأن النبي ﷺ معصوم في التادية والتبليغ ، ومعصوم عما سوى ذلك من جميع كبائر الذنوب في حال نبوته وقبلها ، وأنها عصمة اختيار يستحق عليها الجزاء ، ولا يساويه أحد من أمته فيها !

ومن عجيب أمرهم: إنكارهم لعصمة الأئمة وقولهم أنها لا تقتضي الاختيار !

ومن العجب قولهم: إن العصمة ثابتة لجميع الأمة منتفية عن كل واحد منها ، مع علمهم بأن آحادهم جماعتها ، وأنها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلًا لآحادها ، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلًا مع كل واحد منها .

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت من الكفر والإيمان ، وذلك أن ما ثبت لكل واحد منها فهو ثابت لجماعتها ، وليس كلما ثبت لجماعتها ثابتاً لكل واحد منها ، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين ، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين ، وليس إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين .

فقلت له: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيتك ، إذا كان ما ثبت لكل واحد من الأمة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندي وعندك الحكم على كل واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمد الغلط في الأفعال والأقوال ، فاحكم بثبوت ذلك لجميعها ، وأسقط ما ادعيت من عصمتها ! فلم يدر ما يقول بعد هذا ! ومن عجب أمرهم وطريف رأيهم قولهم: إن الأمة معصومة وقولها حجة ، وهي مفتقرة مع ذلك إلى إمام ، وإمامها غير معصوم ولا قوله حجة ، وليس هو مفتقراً إلى إمام ، وهذا من أعجب الأقوال ! ومن عجب المناقضة أن يكون لها إمام ولا يكون ارتفاع العصمة عن الإمام موجباً أن يكون له إمام ، ولا يكون أيضاً غناية عن الإمام يقتضي تميزه بالعصمة عن الأنام .

إنهم جعلوا حجتهم في عصمة الأمة وفي أن إجماعها صواب وحجة خبراً نسبوه إلى رسول الله ﷺ وهو أنه: لا تجتمع أمتي على ضلالة ، وهذا الخبر لا يمكنهم على أصلهم أن يدعوا فيه التواتر ، إذا كان غير موجب لسامعيه على الضرورة بصحته ، فهو لامحالة من أخبار الآحاد ، فهم إذاً قد جعلوا دليل

الدعوى بأن الأمة لاتجتمع على ضلال قول بعضها ، والحجة على عصمتها شهادة واحد منها ، ولم يعلموا أن الخلاف في قول جميعها يتضمن الخلاف في قول بعضها ، والتخطئة لسائرهما يدخل في التخطئة لواحداهما ! وهل هم في ذلك إلا كمن ادعى الحجة بإجماع عشرة من الناس على قول أو فعل ، وجعل دليله على ذلك قول واحد من العشرة ، ولم يعلم أن المخالف له في الحجة بإجماع العشرة لم يصبر إلى ذلك إلا بعد المخالفة له فيمن دون العشرة ! إذ لو سلم الخصم قول بعضها لم يصح خلافه له في قول جميعها !

ولما رأوا أن خبرهم لا يصح كونه في قسم المتواتر على أصلهم ، ولا ينصرف عن إضافته إلى أخبار الآحاد التي لا تثبت بها حجة لدعواهم ، اشتد غلظهم وعظم زللهم ، فأدّاهم إلى القول بأنهم علموا صحته بالإجماع ! وهذا من أعجب الأقوال ! وهو في المناقضة لاحق في الهذيان ، لأن أصل الخلاف إنما هو في الإجماع وهل هو حجة أم لا ، فكيف يكون الإجماع دليلاً لنفسه ، وبرهاناً على ما يدعى من صوابه ؟! ولو جاز هذا لكانت الدعوى نفسها برهاناً والفتوى بعينها دليلاً ، وهذا ما لا يخفى فسادَه على العقلاء .

ومما يوضح غلظهم فيه أن الدليل على الشيء يعرف قبل معرفة الشيء ، فإذا كانوا لم يعلموا أن الإجماع حجة ، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة إلا بالخبر فقد وجب أن يكونوا عالمين بصحته قبل علمهم بأن الإجماع حجة ، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة ، وإذا كانوا لم يعلموا أن الخبر صحيح إلا بالإجماع ، فقد وجب أن يكونوا عالمين بأن الإجماع حجة قبل علمهم بصحة الخبر ، فكيف يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم ، وهل رؤي قط أعجب من هذا الأمر ؟! .

أقول: ما أوردناه من كلام العلامة الحلي والكراچكي رحمهما الله ، يكفي لبيان

أن مخالفينا ينقضون عملياً عصمة الأنبياء ﷺ التي قرروها نظرياً!

نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء ﷺ

هذه آراء بعض كبار علمائهم في عصمة الأنبياء ﷺ ، وهي صريحة في سلب قسم من العصمة عنهم ﷺ ، ثم تراهم يسلبون ما أقروا به منها عندما يصلون إلى الإسرائيليات التي تطعن في عصمتهم وعدالتهم ﷺ ، والقرشيات التي تطعن في عصمة نبينا وعدالته ﷺ ، ويؤيدونها بمتشابه الآيات !

وقد بسطنا الكلام في رأي الفخر الرازي لأنه إمام معترف به عند الأشعرية. وكذا في رأي ابن تيمية لأنه هاجم الشيعة بسبب قولهم بالعصمة التامة للأنبياء ﷺ وادعى إجماع السنين على ارتكاب الأنبياء ﷺ للمعاصي الصغيرة والكبيرة حتى في تبليغ الرسالة ، غاية الأمر أن الله تعالى ينبههم أو يؤنبهم ويتوب عليهم !!

ولأنه انفرد بالكشف عن السبب الحقيقي لرفضهم عصمة الأنبياء ﷺ وهو أنها تستوجب الطعن في أبي بكر وعمر ، وذلك لأن الارتكاز الذهني يوجب التجانس بين النبي ﷺ وخليفته ، وأبو بكر وعمر قد عبدا الأصنام مدة طويلة ، فلو قبلوا أن النبي ﷺ معصوم لما ناسب أن يكونا خليفته ، وسترى كلامه !

رأي الغزالي

قال في المستصفى ص ٢٧٤: (الفصل الأول في دلالة الفعل ونقدم عليه مقدمة في عصمة الأنبياء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبياء وتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ما يناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، ويناقض مدلول المعجزة جواز الكفر والجهل بالله تعالى وكتمان رسالة الله

والكذب والخطأ والغلط فيما يبلغ ، والتقصير في التبليغ والجهل بتفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه.

أما ما يرجع إلى مقارفة الذنب فيما يخصه ولا يتعلق بالرسالة فلا يدل على عصمتهم عنه ، عندنا دليل العقل ، بل دليل التوقيف والإجماع قد دل على عصمتهم عن الكبائر ، وعصمتهم أيضاً عما يصغر أقدارهم من القاذورات ، كالزنا والسرقة واللواط.

أما الصغائر فقد أنكرها جماعة وقالوا: الذنوب كلها كبائر فأوجبوا عصمتهم عنها ، والصحيح أن من الذنوب صغائر وهي التي تكفرها الصلوات الخمس ، واجتناب الكبائر كما ورد في الخبر ، وكما قررنا حقيقته في كتاب التوبة من كتاب إحياء علوم الدين.

فإن قيل: لم لم تثبت عصمتهم بدليل العقل ، لأنهم لو لم يعصموا لنفرت قلوب الخلق عنهم؟!

قلنا: لا يجب عندنا عصمتهم من جميع ما ينفر ، فقد كانت الحرب سجالاً بينه وبين الكفار ، وكان ذلك ينفر قلوب قوم عن الإيمان ولم يعصم عنه وإن ارتاب المبطلون ، مع أنه حفظ عن الخط والكتابة كي لا يرتاب المبطلون. وقد ارتاب جماعة بسبب النسخ ، كما قال تعالى: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ. (النحل: ١٠١) وجماعة بسبب المتشابهات فقالوا: كان يقدر على كشف الغطاء لو كان نبياً لخلص الخلق من كلمات الجهل والخلاف كما قال تعالى: فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (آل عمران: ٧) وهذا لأن نفي المنفرات ليس بشرط دلالة المعجزة.

هذا حكم الذنوب ، أما النسيان والسهو فلا خلاف في عصمتهم بما يتعلق بتبليغ

الشرع والرسالة ، فإنهم كلفوا تصديقه جزماً ، ولا يمكن التصديق مع تجويز الغلط ، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالإجتهد ، لكن لا يقرُّ عليه ، وهذا على مذهب من يقول المصيب واحد من المجتهدين ، أما من قال: كل مجتهد مصيب فلا يتصور الخطأ عنده في اجتهد غير فكيك في اجتهداه).

وقال في المنحول ص٣٠٩: (وقد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر ، وأما الصغائر ففيه تردد العلماء ، والغالب على الظن وقوعه ، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات).

هذا كلام في وقوعه ، أما جوازه فقد أطبقت المعتزلة على وجوب عصمة النبي ﷺ عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنه يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوة ، وهذا يبطل بكون الحرب سجلاً بينه وبين الكفار وبه اعتصم بعض اليهود في تكذيبه. والمختار ما ذكره القاضي وهو أنه لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظر العقل ، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة فإن مدلولها صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى ، فلا جرم لا يجوز وقوع الكذب فيما يخبر به عن الرب تعالى لاعتماداً ولا سهواً ، ومعنى التنفير باطل ، فإننا نُجَوِّزُ أن ينبي الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة ! والمعتزلة يأبون ذلك أيضاً .

والذين أوجبوا عصمته عن الكبيرة اختلفوا ، فمنهم من قال كل مخالفة كبيرة بالنسبة إلى عظمته ، فلا صغيرة أصلاً وكل مخالفة كبيرة. وهذا كما أن رفع الصوت فوق صوت من يماثل الإنسان ، قد يعدُّ صغيرةً وهو بعينه في مجلس الملوك كبيرة دونه تُحَزُّ الرقاب ، فللنسبة بعد تأثير في تعظيم أثر المخالفة .

والذين أثبتوا الصغيرة اضطربوا ، ومثار الإضطراب في أنه هل يورث التنفير. أما النسيان فلا يجب كونه عندنا معصوماً عنه في أفعاله وأقواله ، إلا فيما يخبر

عن الله تعالى ، لأن تجويزه مناقض مدلول المعجزة). انتهى.

أقول: لك أن تلاحظ فظاعة مذهب أتباع الخلافة في قول الغزالي: (ومعنى التنفير باطل ، فإننا نُجَوِّزُ أن ينبئَ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة) !! ومعناه أن المهم عندهم في العقائد والقيم والشرائع التي يدعو إلى الرسول ، هو إبلاغها للناس ليطبقوها ، وليس أن يطبقها هو !

والمهم في شخصية الأنبياء والرسول ﷺ ليس إيمانهم بما جاؤوا به ولا تطبيقهم له ، بل نقلهم البريدي له ! حتى لو كانوا فسقة فجرة كفرة ، وضربوا بما أوحى اليهم عرض الجدار ، فنفر الناس منهم لتناقضهم وفقدانهم المصدقية ! وهذا يضع يدنا على تأثير علماء السلطة القرشية بتصور اليهود عن أفعال الله تعالى وفقدانها للحكمة ! وتصورهم عن أنبياء الله ﷺ ، وأن النبوة منصب دنيوي كمنصب قضاة بني إسرائيل ، ومنصب الخلافة الأموية والعباسية !

رأي الأمدي

قال في الأحكام في أصول الأحكام: ١٦٩/١:

(المقدمة الأولى: في عصمة الأنبياء ﷺ وشرح الاختلاف في ذلك ، وما وقع الاتفاق من أهل الشرائع على عصمتهم عنه من المعاصي وما فيه الاختلاف. أما قبل النبوة فقد ذهب القاضي أبو بكر وأكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة إلى أنه لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره.

وذهبت الروافض إلى امتناع ذلك كله منهم قبل النبوة ، لأن ذلك مما يوجب هضمهم في النفوس واحتقارهم والنفرة عن اتباعهم ، وهو خلاف مقتضى

الحكمة من بعثة الرسل ، ووافقهم على ذلك أكثر المعتزلة ، إلا في الصغائر .
والحق ما ذكره القاضي لأنه لاسمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك
والعقل دلالة مبنية على التحسين والتقبيح العقلي ، ووجوب رعاية الحكمة في
أفعال الله تعالى ، وذلك كله مما أبطلناه في كتبنا الكلامية.

وأما بعد النبوة فالإتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما
يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه ، من دعوى الرسالة
والتبليغ عن الله تعالى.

واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان ، فمنع منه الأستاذ أبو
إسحاق وكثير من الأئمة ، لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة. وجوزّه
القاضي أبو بكر ، مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفتات اللسان غير داخل
تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، وهو الأشبه.

وأما ما كان من المعاصي القولية والفعلية التي لادلالة للمعجزة على عصمتهم
عنها ، فما كان منها كفراً فلا نعرف خلافاً بين أرباب الشرائع في عصمتهم عنه ،
إلا ما نقل عن الأزارقة من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر
بعد نبوته ، وما نقل عن الفضلية من الخوارج أنهم قضوا بأن كل ذنب يوجد فهو
كفر ، مع تجويزهم صدور الذنوب عن الأنبياء فكانت كفراً.

وأما ما ليس بكفر ، فإما أن يكون من الكبائر أو ليس منها. فإن كان من الكبائر
فقد اتفقت الأمة سوى الحشوية ومن جوز الكفر على الأنبياء ، على عصمتهم عن
تعمد من غير نسيان ولا تأويل ، وإن اختلفوا في أن مدرك العصمة السمع ، كما
ذهب إليه القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا ، أو العقل ، كما ذهب إليه
المعتزلة.

وأما أن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خطأ ، فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة .

وأما ما ليس بكبيرة ، فإما أن يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة ، كسرقة خبزة أو كسرة ، فالحكم فيه كالحكم في الكبيرة. وأما ما لا يكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب، فقد اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعة مطلقاً ، وخلافاً للجبائي والنظام وجعفر بن مبشر في العمد). انتهى .

وتلاحظ في رأي الآمدي تصديق قول العلامة الحلبي رحمته الله في نهج الحق ص ١٥٩ :
(واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط ، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول ، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به ، ولا أرسل إليه رسولاً البتة !....

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي ﷺ وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصي ! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان ، وجواز بعثة من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات. وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب ، قد أنكروا الضروريات). انتهى .

رأي القاضي عياض

قال في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى): ١٧٢/٢:

(فصل: قد استبان لك أيها الناظر مما قررناه ماهو الحق من عصمته(ص) عن الجهل بالله وصفاته ، أو كونه على حالة تنافي العلم شئ من ذلك كله جملة ، بعد النبوة عقلاً وإجماعاً ، وقبلها سماعاً ونقلًا ، ولا بشئ مما قررناه من أمور

الشرع ، وأداه عن ربه من الوحي ، قطعاً وعقلاً وشرعاً .
وعصمته عن الكذب وخلف القول ، منذ نبأه الله وأرسله ، قصداً أو غير قصد ،
واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً ، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً ،
وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً ، وعن الصغائر تحقيقاً ، وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة ، وعصمته في كل حالاته من
رضاً وغضب ، وجد ومزح . انتهى .

أقول: بذل القاضي عياض جهده في كتابه لإظهار النبي ﷺ بمظهر لائق
وتنزيهه عما نسبوه اليه من أخطاء ومعاص ، لكنه اصطدم دائماً بالقرشيات التي
ملأت الصحاح ، فحاول معالجتها وتأويلها بما يحفظ رواياتها ، ويحفظ مكانة
النبي ﷺ فلم يحالفه التوفيق ، كما سترى في قصة الغرائيق !

رأي الفخر الرازي

قال في المحصول: ٢٢٥/٣: (اختلفت الأمة في عصمة الأنبياء ﷺ على قولين:
أحدهما ، قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً ،
لا عمداً ولا سهواً ولا من جهة التأويل ، وهو قول الشيعة .

والآخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم ، ثم اختلفوا فيما يجوز من ذلك وما
لا يجوز. والاختلاف في هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها، ما يقع في باب الإعتقاد وقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يقع منهم الكفر،
وقالت الفضيلية من الخوارج أنه قد وقعت منهم ذنوب وكل ذنب عندهم كفر
وشرك. وأجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية .

فأما الإعتقاد الخطأ الذي لا يبلغ الكفر ، مثل أن يعتقد مثلاً أن الأعراض باقية
ولا يكون كذلك ، فمنهم من أباه لكونه منفراً ، ومنهم من جوزه .

وثانيها، باب التبليغ ، واتفقوا على أنه لا يجوز عليهم التغيير ، وإلا لزال الوثوق بقولهم. وقال قوم يجوز ذلك من جهة السهو.

وثالثها، ما يتعلق بالفتوى ، واتفقوا أيضاً على أنه لا يجوز عليهم الخطأ فيه ، وجوزه قوم على سبيل السهو .

ورابعها، ما يتعلق بأفعالهم ، واختلفت الأمة فيه على أربعة أقوال: أحدها: قول من جَوَّزَ عليهم الكبائر عمداً. وهؤلاء منهم من قال بوقوع هذا الجائر وهم الحشوية ، وقال القاضي أبو بكر: هذا وإن جاز عقلاً ولكن السمع منع من وقوعه.

وثانيها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة ولا صغيرة عمداً ، لكن يجوز أن يأتوا بها على جهة التأويل ، وهو قول الجبائي.

وثالثها: أنه لا يجوز ذلك لا عمداً ولا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو ، وهم مؤاخذون بما يقع منهم على هذه الجهة ، وإن كان موضوعاً عن أمتهم ، لأن معرفتهم أقوى فيقدرون على التحفظ عما لا يتأتى لغيرهم.

ورابعها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة ، وأنه قد وقعت منهم صغائر على جهة العمد والخطأ والتأويل إلا ما ينفر كالكذب والتطيف ، وهو قول أكثر المعتزلة .

والذي نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لا صغيراً ولا كبيراً ، أما السهو فقد يقع منهم لكن بشرط أن يتذكروه في الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً ، وقد سقت هذه المسألة في علم الكلام ، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتابنا في عصمة الأنبياء، والله أعلم . انتهى.

وقال في عصمة الأنبياء ص ٨:

[الرابع] ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم ، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

الأول: الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الفصل السادس - معركة تنزيه الأنبياء ﷺ بين الشيعة ومخالفهم ١٧٣

الثاني: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة ، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً ، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم ، مثل التطفيف بما دون الحبة ، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة ، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل ، وهو قول أبي على الجبائي.

الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة ، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز ، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل ، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

الخامس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة ، لا بالعمد ولا بالتأويل ، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة .

واختلفوا أيضاً في وقت وجوب هذه العصمة ، فقال بعضهم: أنها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة فأما قبلها فهي غير واجبة. وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى والذي نقول: أن الأنبياء ﷺ معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد ، أما على سبيل السهو فهو جائز .

ويدل على وجوب العصمة وجوه خمسة عشرة:

الحجة الأولى ، لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة ، وهذا باطل....

الحجة الثانية ، لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا....

الحجة الثالثة ، لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم ، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز ، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعاً...

الحجة الرابعة ، لو صدر الفسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكننا إما أن نكون مأمورين بالإقتداء به وهذا لا يجوز ، أو لأنكون مأمورين بالإقتداء به وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ....

الحجة الخامسة ، لو صدرت المعصية عن الأنبياء ﷺ لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله بعذاب جهنم ، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ، ولكانوا ملعونين لقوله تعالى: إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ...

الحجة السادسة ، إنهم كانوا يأمرُونَ بالطاعات وترك المعاصي ، ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ .كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. وتحت قوله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...

الحجة السابعة، قال الله تعالى في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، والألف واللام في صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغي وترك كل ما لا ينبغي ، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي .

الحجة الثامنة ، قوله تعالى: إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْإِخْيَارِ.... فدلّت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الإخيار في كل الأمور...

الفصل السادس - معركة تنزيه الأنبياء ﷺ بين الشيعة ومخالفهم ١٧٥

الحجة التاسعة ، قوله تعالى حكاية عن إبليس: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ،
إِلْعَادِكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ. استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله. ثم إنه تعالى
شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﷺ أنهم من المخلصين ، حيث قال: أَنَا
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ. وقال في حق يوسف ﷺ: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ
فلما أقر إبليس أنه لا يغوي المخلصين ، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين ،
ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم...

الحجة العاشرة ، قال الله تعالى: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ، فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال إنهم الأنبياء أو غيرهم فإن
كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم....

الحجة الحادية عشرة ، أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين: حزب الشيطان كما
قال تعالى: أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وحزب الله
كما قال تعالى: أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ولا شك أن حزب
الشيطان هو الذي يفعل ما يريد الشيطان ويأمره به ، فلو صدرت الذنوب عن
الأنبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان ، ولصدق عليهم قوله تعالى: إِلَّا إِنَّ
حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، ولصدق على الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالى: إِلَّا
إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وحينئذ يلزم أن يكون واحد من آحاد الأمة أفضل
بكثير من الأنبياء ، ولا شك في بطلانه..

الحجة الثانية عشرة ، إن أصحابنا بينوا أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، وثابت
بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب ، فلو صدرت الذنوب عن
الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة...

الحجة الثالثة عشرة ، قال الله تعالى في حق إبراهيم ﷺ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا

، والإمام هو الذي يقتدى به ، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل .

الحجة الرابعة عشرة ، قوله تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ. إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذي حكم الله تعالى بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة ، فإن كان الأول فهو المقصود ، وإن كان الثاني فالمقصود أظهر ، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة ، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصي ، فبأن لا يصل عهد النبوة إليه أولى .

الحجة الخامسة عشرة ، روي أن خزيمة بن ثابت الأنصاري(رض)شهد على وفق دعوى النبي(ص)مع أنه ما كان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة: إني أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء ، أفلا أصدقك في هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبي(ص)فيه ولقبه بذي الشهادتين ، ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة....

ثم قال الرازي:(واعلم أن شبهات المخالفين في هذه المسألة كثيرة ، ونحن نذكرها على سبيل الإختصار...). انتهى.

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي

الملاحظة الأولى

أنه تأثر كثيراً بمنهج السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء ﷺ الذي ألفه قبله بأكثر من قرن ونصف ، بل يمكن القول إن كتاب عصمة الأنبياء ﷺ للرازي هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء ﷺ للسيد المرتضى ، مصوغاً بقلم سني !

الملاحظة الثانية

أن الرازي كغيره من علماء الأشعرية ، يجيدون الدفاع عن الأنبياء ﷺ عندما يعتمدون العقل والفطرة الإنسانية ، فيجئ دفاعهم قوياً متماسكاً ، لكنهم عندما يصطدمون بعشرات الأحاديث الصحيحة عندهم في البخاري ومسلم وغيرهما ، ينخث كلامهم ويضطرب ! فترى بعضهم يغمض بصره عن تلك الأحاديث ، أو يشير إليها إشارة ويردها ، وأحياناً أخرى يدافع عنها ، فيقع في التناقض !

فالمشكلة الأساسية التي تواجه الباحث منهم ليست الآيات المتشابهة التي يفهم من ظاهرها معصية الأنبياء ﷺ وتحتاج إلى تفسير أو تأويل ، بل الإسرائيليات التي تثقل كاهل الصحاح في ذم الأنبياء ﷺ ، ولا يمكن تأويلها !

نعم إن العقبة الكأداء هي القرشيات التي روتها مصادرهم في ذم نبينا ﷺ وربطتها بالآيات المتشابهة وفسرتها بها ، أو جعلتها سبباً لنزولها كذباً وزوراً !
وقلما تجد من علمائهم صاحب شجاعة ، يتقرب إلى الله تعالى ويتخطى هذه الموانع دفاعاً عن نبينا ﷺ وأنبياء الله ﷺ !

لاحظ ما قاله الرازي في ص ٧٢ ، في قصة نبي الله داود ﷺ : (فاعلم أن الذي أقطع

به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام. وبيانه من وجوه:
الأول ، أن الذي حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوريا فاحتال
حتى قتل زوجها فتزوجها ، لا يليق بالأنبياء ، بل لو وصف به أفسق الملوك لكان
منكراً.

الثاني ، أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته ، فكيف ترك الله
الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الإخف؟!

الثالث، أن السورة من أولها إلى آخرها في محاجة منكري النبوة ، فكيف
يلائمها القدح في بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح؟!

الرابع، أن الله تعالى وصف داود عليه السلام في ابتداء القصة بأوصاف حميدة ، وذلك
ينافي ما ذكره في الحكاية.....!

فإن قلت: إن كثيراً من المحدثين روى هذه الحكاية !

قلت: هذه الدلائل الباهرة لما أبطلت قولهم وجب القطع بفسادها، فالعجب
اتفاق الناس على أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن ، والظن إنما ينتفع به في
العمليات وهذه المسألة ليست من العمليات ، فصارت روايتهم ساقطة العبرة من
كل الوجوه....وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علياً (رض) قال: من
حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مأتين وستين وهو حد
الفرية على الأنبياء عليهم السلام. وروي أن واحداً ذكر ذلك الخبر عند عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من أهل الحق ، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما
في كتاب الله تعالى فما ينبغي أن نلتمس خلافها ، وإن كان على ما ذكرت
وكفَّ الله عنها سترأ على نبيه فيما ينبغي إظهار ما عليه. فقال عمر: سماعي هذا
الكلام أحب إلى مما طلعت الشمس عليه). انتهى.

فأنت ترى أن الرازي أجاد ، لأنه جرى في كلامه على مقتضى العقل والفطرة ، وردَّ إسرائيليات رواة السلطة ، لأنها تنافي عصمة نبي الله داود ﷺ .

لكنه لا يملك هذه الشجاعة إذا وصل إلى القرشيات التي يستوجب ردها أن يضرب برواية البخاري عرض الجدار ، مع أن البخاري دخل في الرواة الذين هاجمهم ! حيث تبنى اتهام رواة الإسرائيليات لداود ﷺ! قال في: ١٣٤/٤: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ..... إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..... يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ نَعْجَةٌ ، ويقال لها أيضاً شاة...الخ.) ! انتهى.

ومعنى هذا أن البخاري تبنى كل إسرائيليات السلطة ، لأنها كلها مبنية على أن المقصود بتسع وتسعين نعجة: تسع وتسعون امرأة !!

ومن تأثير قداسة البخاري على الرازي أنه قال بتنزيه الأنبياء ﷺ وساق حججه التي رأيت بعضها ، لكنه غض بصره عن أحاديث البخاري وغيره التي تنسبهم إلى المعاصي ، ولم يؤولها ولم يردّها !

لقد أطل في ص ٢٨ وما بعدها في الدفاع عن نبي الله إبراهيم ﷺ ، فقال عن الآيات التي تمسكوا بها في اتهامه بالكفر والكذب: (تمسكوا بها من وجوه تسعة: الأولى: قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم ﷺ: قَالَ هَذَا رَبِّي، فلا يخلو إما أن يقال إنه قال هذا الكلام في النظر والاستدلال أو قبل البلوغ أو بعده....

والأصح من هذه الأقوال أن ذلك على وجه الاعتبار والاستدلال لا على وجه الأخبار ، ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم ﷺ على ذلك ، بل ذكره بالمدح والتعظيم ، وأنه أراه ذلك كي يكون من الموقنين ، هذا هو البحث المشهور في الآية ، وفيها أبحاث آخر من حيث أن بعض الملاحدة قال إن إبراهيم استدل على الشيء بما لا يدل عليه وذكر أشياء لا تصح ، فكان الطعن متوجهاً ، ونحن

نذكر كل واحد من تلك الأسئلة الأربعة عشرة مع جوابه....). انتهى.
وقد تقدم قول الرازي: (الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام:
إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، والإمام هو الذي يقتدى به ، فلو صدر الذنب عن
إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل). انتهى.
فهل فاتته أنه بذلك يطعن فيما رواه البخاري عن الأنبياء عليهم السلام ؟!

رأي ابن تيمية ومشبهة الحنابلة في عصمة الأنبياء عليهم السلام

ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء عليهم السلام!!
قال في منهاج سنته: ١/٤٧٣: (وأما الرافضة فأشبهوا النصارى ، فإن الله تعالى أمر
الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به ، وتصديقهم فيما أخبروا به ، ونهى الخلق عن
الغلو والإشراك بالله تعالى ، فبدلت النصارى دين الله تعالى فغلوا في المسيح
فأشركوا به وبدلوا دينه.....
وكذلك الرافضة غلّوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله
، فتركوا عبادة الله وحده لاشريك له التي أمرهم بها الرسل ، وكذبوا الرسل فيما
أخبروا به من توبة الأنبياء واستغفارهم) ! انتهى.

يقصد بذلك أن الشيعة كذبوا الرسل في أن الأنبياء عليهم السلام قد ارتكبوا المعاصي
وتابوا ، وذلك لأن الشيعة يكذبون الإسرائيليات في مصادر الخلافة القرشية التي
تنسب إلى الأنبياء عليهم السلام المعاصي ، فتكذيبها عنده يعتبر تكذيباً للرسل وكفراً!!

السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة !

كشف ابن تيمية عن سبب حملته على الشيعة لتنزيههم الأنبياء عليهم السلام!

فقد تخيل أن غرضهم من ذلك الطعن بأبي بكر وعمر ، لأن عقيدة العصمة التامة تجعل المعاصي فضيلة وارتكابها منقصة ، وأبو بكر وعمر كانا كافرين قبل الإسلام يرتكبان المعاصي ، فيكون ذلك منقصة فيهما ، فلا يستحقان مقام الخلافة عن النبي المعصوم عصمة تامة !.

لذا رأى ابن تيمية أنه يجب الدفاع عن أبي بكر وعمر ، وذلك برفض عقيدة العصمة التامة للأنبياء ﷺ ، والقول بأنهم كانوا قبل النبوة مثل أبي بكر وعمر كفاراً يرتكبون المعاصي ثم تابوا ، ثم يجعل الكافر ومرتكب المعصية التائب أفضل من غير مرتكبها !!

قال في منهاج سسته: ٤٢٩/٢: (وأما ما تقوله الرافضة من أن النبي قبل النبوة وبعدها لا يقع منه خطأ ، ولا ذنب صغير وكذلك الأئمة ، فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة كلها ، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف ، ومن مقصودهم بذلك القدح في إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لكونهما أسلما بعد الكفر ، ويدعون أن علياً (رض) لم يزل مؤمناً ، وأنه لم يخطئ قط ولم يذنب قط ، وكذلك تمام الإثني عشر. وهذا مما يظهر كذبهم وضلالهم فيه لكل ذي عقل يعرف أحوالهم ! ولهذا كانوا هم أغلى الطوائف في ذلك وأبعدهم عن العقل والسمع....

ونكتة أمرهم أنهم ظنوا وقوع ذلك من الأنبياء والأئمة نقصاً ، وإن ذلك يجب تنزيههم عنه ، وهم مخطئون إما في هذه المقدمة وإما في هذه المقدمة.

أما المقدمة الأولى فليس من تاب إلى الله تعالى وأناب إليه بحيث صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها ، منقوصاً ولا مغضوضاً منه ، بل هذا مفضلٌ عظيمٌ مكرمٌ ، وبهذا ينحل جميع ما يوردونه من الشبه . انتهى !!

ثم أفاض ابن تيمية بذكر فضائل من يعصي ويتوب ، فقال في مناجاه ٣٠/٢: (وفي الصحيحين عن النبي (ص) من غير وجه أنه قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دويّة مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فقال (من القيلولة) تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه ! فكيف تجدون فرحه بها؟ قالوا: عظيماً يا رسول الله. قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته..... فمن يجعل التائب الذي اجتباه الله وهده منقوصاً بما كان من الذنب الذي تاب منه ، وقد صار بعد التوبة خيراً مما كان قبل التوبة ، فهو جاهل بدين الله تعالى وما بعث الله به رسوله) !!.

ثم تنازل ابن تيمية قليلاً ، فقال: (ولسنا نقول إن كل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم يذنب ذلك الذنب ، بل هذا يختلف باختلاف أحوال الناس ! فمن الناس من يكون بعد التوبة أفضل ، ومنهم من يعود إلى ما كان ومنهم من لا يعود إلى مثل حاله. والأصناف الثلاثة فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب ويتب ، وفيهم من هو مثله ، وفيهم من هو دونه). انتهى.

ومعنى كلامه أن الكافر مرتكب المعصية إذا تاب ، قد يكون أحياناً خيراً ممن لم يكفر ولم يرتكب المعصية !

ثم قال: (بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام (بقولهم بالعصمة التامة) وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل ، كما قصدت النصراني تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل ، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله!) ثم ارتكب ابن تيمية مصادرة واضحة فاستدل على معاصي الأنبياء ﷺ بما رووه من الإسرائيليات ، وبظواهر بعض الآيات المتقدمة ! قال في مناجاه ٣٥/٢:

(بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن

الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن (أي ارتكاب الأنبياء للمعاصي!) وليس فيهم من حرّف الآيات كتحرّيف هؤلاء ، ولا من كذب بما في الأحاديث كتكذيب هؤلاء ، ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التنفير ونحو ذلك ، كما قال هؤلاء) !

وقال: (وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم في عصمة الأنبياء فلم يوافقهم عليه أحد أيضاً ، حيث ادعوا أن النبي (ص) لا يسهو ، فإن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت ، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك ، فإن بينهم وبين الرافضة قدراً مشتركاً في الغلو وفي الجهل والإنقياد لما لا يعلم صحته ، والطائفتان تشبهان النصارى في ذلك) !

وقال في: ٣٩٣/٢: (فصل: وأما قوله وإن الأنبياء معصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغیرها وكبیرها من أول العمر إلى آخره ، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة ولزم التنفير عنهم .

فيقال: أولاً، إن الإمامية متنازعون في عصمة الأنبياء.... ثم يقال ثانياً قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه ، وبهذا يحصل المقصود من البعثة ، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب ، فليس في النبوة ما يستلزم هذا).

لاحظ قوله: (لا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه) فهو صريح في أن الأنبياء قد يخطئون حتى بعد البعثة في التبليغ عن الله تعالى ! غاية الأمر أن الله لا يقرهم على الخطأ بل يوبخهم ويصحح لهم ، وذلك لتبرير زعم قريش أن النبي ﷺ زاد في القرآن وكفر ، ومدح الأصنام في سورة النجم بأنهن الغرائق العلى، وشفاعتهن ترجى ، فنزل جبرئيل ووبخه وصح له !

ثم قال في: ٣٩٧/٢ (والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من عهد الرسول (ص) وقبل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث ، كانوا من خيار الخلق ، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام). انتهى.

وبذلك كشف ابن تيمية عن هدفه وغرضه ، وهو أن يثبت أن كفر أبي بكر وعمر ومعاصيها قبل الإسلام ، وكذا معاصي بعض الصحابة بعد الإسلام ، لا تنقص من درجتهم ، ولا تجعل درجة عليّ عليه السلام والنبى ﷺ لعصمتها التي يدعيها الشيعة ، وعدم عبادتهما للأصنام ، أرفع من درجة الصحابة !

ثم تمادى ابن تيمية فاعتبر أن القول بعصمة الأنبياء التامة هو حرمان للأنبياء عليهم السلام من الوقوع في المعاصي والفوز بالتوبة وثوابها العظيم !! قال في نفس الموضع:

(وأيضاً: فوجوب كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك ، ويكون بعد التوبة التي يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها ، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة ، غض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة ، ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه ، فهو مخالف ما علم بالإضطرار من دين الإسلام ! فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله (ص) بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم ، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام !

وهل يُشَبَّهُ بني الأنصار بالأنصار ، أو بني المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له!! وقد قال عمر بن الخطاب (رض) إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية) !! انتهى.

فالنبي عند ابن تيمية إذا ذاق طعم الكفر والجرائم والمعاصي مثل أبي بكر وعمر ، يكون أقرب إلى الله تعالى ! والذين يقولون بعصمة النبي ﷺ وعدم صدور المعاصي منه فقد نقصوه حقه وحرموه من النعمة العظيمة التي لا تتحقق إلا بالكفر أو بالمعاصي وهي فرحة الله بتوبته ، والتي فاز بها أبو بكر وعمر !

وهكذا يظهر لك أن مكانة أبي بكر وعمر عنده هي حجر الزاوية في هندسة عقائده (الإسلامية) ! وأنه لا يخجل في سلب العصمة عن جميع الأنبياء ﷺ ورميهم بالكفر والمعاصي حتى بعد النبوة ، من أجل مساواتهم بأبي بكر وعمر ! والتفضل عليهم بدرجة التوبة العظيمة التي نالها أبو بكر وعمر بتوبتهما من كفرهما ومعاصيها !

وقد واصل ابن تيمية خطبة الجمعة في مقام التائبين من جرائمهم ، وكيف أن الله تعالى يمحوها بل يبدلها حسنات ، ثم قال في: ٤٠٠/٢: (وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقى ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه ، كان بدنه أصبح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق. والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها. فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياء من ذنوبهم واستغفارهم، وزعمهم أنه لم يكن هناك ما يوجب توبة ولا استغفار ولا تفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم. فكيف بسائر تأويلاتهم التي فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله ، ما ليس هذا موضع بسطه !

وقال: (والمقصود هنا أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه ، عمدتهم أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة ، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح ، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته ، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً وأذى الرسول محرم بالنص ، وأنه يجب الإقتداء بهم ولا يجوز الإقتداء بأحد في ذنب. ومعلوم أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة ، وهم معصومون من الإصرار).

ثم ذكر عدداً من أدعية النبي ﷺ مستدلاً بها على أنها دليل على صدور الذنوب الصغيرة والكبيرة منه ﷺ والعياذ بال له، وإن ذلك لم يكن ينفر المسلمين منه !
ثم ختم كلامه بقوله: ٤٠٨/٢: (وهذا عمر بن الخطاب (رض) قد علم تعظيم رعيته له وطاعتهم ، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد في أعينهم وازدادوا له محبة وتعظيماً.... فعلم أن التوبة والإستغفار (من المعاصي) لا توجب تنفيراً ولا تزيلاً وثوقاً) !!

دفاع ابن تيمية عن اليهود وعن أسطورة الغرائيق !

قال في منهاج سنته: ٤٠٩/٢: (وما أعلم أن بني إسرائيل قدحوا في نبي من الأنبياء بتوبته في أمر من الأمور ! وإنما كانوا يقدحون فيهم بالإفتراء عليهم كما كانوا يؤذن موسى ﷺ ، وإلا فموسى قد قتل القبطي قبل النبوة ، وتاب من سؤال الرؤية ، وغير ذلك بعد النبوة ، وما أعلم أحداً من بني إسرائيل قدح فيه بمثل هذا. وما جرى في سورة النجم من قوله: (تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتها لترتجى) على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله ، هو من أعظم (الردود) على قول هؤلاء....

والعصمة المتفق عليها أنه لا يُقَرُّ على خطأ في التبليغ بالإجماع ، ومن هذا فلم يعلم أحد من المشركين نفر برجوعه عن هذا ، وقوله إن هذا مما ألقاه الشيطان. ولكن روى أنهم نفروا لما رجع إلى ذم آلهتهم بعد ظنهم أنه مدحها ، فكان رجوعهم لدوامه على ذمها ، لا لأنه قال شيئاً ثم قال إن الشيطان ألقاه. وإذا كان هذا لم ينفر ، فغيره أولى أن لا ينفر) !!

ابن تيمية يجوز أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريعياً !

وأخيراً صرح ابن تيمية بمذهبه وإن لفه بلفافة ! فقال بعدم عصمة الأنبياء مطلقاً وأن الله تعالى يمكن أن يبعث نبياً كافراً أو فاسقاً قبل النبوة ، أو يصير كافراً فاسقاً بعدها. وهو بذلك يجري مع رواسب أشعريته في إنكار الحسن والقبح العقليين ، وإنكار لزوم الحكمة في أفعال الله تعالى ! قال في منهاجه: ٤١٣/٢:

(ومما يبين الكلام في مسألة العصمة أن تعرف النبوة ولوازمها وشروطها ، فإن الناس تكلموا في ذلك بحسب أصولهم في أفعال الله تعالى ، إذ كان جعل الشخص نبياً رسولاً من أفعال الله تعالى ، فمن نفى الحكم والأسباب في أفعاله وجعلها معلقةً بمحض المشيئة ، وجوز عليه فعل كل ممكن ، ولم ينزهه عن فعل من الأفعال ، كما هو قول الجهم بن صفوان وكثير من الناس كالأشعري ومن وافقه من أهل الكلام من أتباع مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من مثبتة القدر ، فهؤلاء يجوزون بعثة كل مكلف! والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه ! والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه ! والنبوة عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة لصفة يختص بها ، بل هي من الصفات الإضافية كما يقولون ، مثل ذلك في الأحكام الشرعية. وهذا قول طوائف من أهل الكلام كالجهم بن صفوان والأشعري وأتباعهما ، ولهذا من يقول بها كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما يقول إن العقل لا يوجب عصمة النبي إلا في التبليغ خاصة ، فإن هذا هو مدلول المعجزة ! وما سوى ذلك إن دل السمع عليه ، وإلا لم تجب عصمته منه .

وقال محققوا هؤلاء كأبي المعالي وغيره إنه ليس في السمع قاطع يوجب العصمة ، والظواهر تدل على وقوع الذنوب منهم ! وكذلك كالقاضي أبي بكر إنما يثبت ما يثبت من العصمة في غير التبليغ إذا كان من موارد الإجماع ، لأن

الإجماع حجة ، وما سوى ذلك فيقول لم يدل عليه عقل ولا سمع .
 وإذا احتج المعتزلة وموافقوهم من الشيعة عليهم بأن هذا يوجب التنفير ونحو ذلك فيجب من حكمة الله منعهم منه ، قالوا هذا مبني على مسألة التحسين والتقيح العقليين ونحن نقول لا يجب على الله شيء ويحسن منه كل شيء ! وإنما نفى ما نفى بالخبر السمعي ، ونوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعي أيضاً ، كما أوجبنا ثواب المطيعين وعقوبة الكافرين لإخباره أنه يفعل ذلك ، ونفينا أن يغفر لمشرك لإخباره أنه لا يفعل ذلك ، ونحو ذلك. وكثير من القدريّة المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجويز ، وأن الله لا يفضل شخصاً على شخص إلا بعمله ، يقول إن النبوة أو الرسالة جزاءٌ على عمل متقدم فالنبي فَعَلَ من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة ، وهؤلاء القدريّة في شق ، وأؤلئك الجهمية الجبرية في شق). انتهى.

إن اعتراف ابن تيمية هذا ، لا يقف عند تجويزه أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريراً ! بل يصل إلى نفي الحكمة عن الله تعالى في أفعاله وأقواله !
 وهذا هو نفس معبود التوراة الذي قال التلمود في وصفه: (سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرج بيته....وَيْلِي على ما أخرجت من بيتي! وَيْلِي على ما فرقت من بنيّ وبناتي) ! (الفصل لابن حزم: ٢٢٢/١)

الفصل السابع

البخاري ينقض عصمة الأنبياء عليهم السلام ويفتري عليهم

صحيح البخاري مشحون بالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء ﷺ
وأسوأ منها القرشيات التي تطعن في نبينا ﷺ

نبي الله إبراهيم ﷺ يكذب !

مضافاً إلى ما تقدم ، نورد هنا عدداً من افتراءات البخاري على الأنبياء ﷺ !
فقد نسب إلى نبي الله إبراهيم ﷺ في: ١١٢/٤ و ١١٣ ، وكرر ذلك في: ١٢١/٦ ، أنه
كذب ثلاث كذبات ، اثنتان لله ، وواحدة لغير الله ! قال: (لم يكذب إبراهيم ﷺ
إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل ، قوله: إِنِّي سَقِيمٌ ، وقوله: بَلْ
فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ! وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة
فقليل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من
هذه ؟ قال: أختي) !

وروى في: ٢٢٦/٥: أن إبراهيم ﷺ يستحي من ربه يوم القيامة أن يشفع للناس
بسبب كذباته الثلاث ! وكرر ذلك في: ٢٢٥/٥ و ٢٠٣/٧ و ١٧٢/٨ و ١٨٣ ، و ١٩٢ ، و ٢٠١ !!

نبي الله موسى عليه السلام غضوبٌ بطّاش !

وفي: ٩٢/٢ ، روى ما يقوله اليهود حرفياً في نبي الله موسى عليه السلام ووضعه على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم ، مثل أن موسى كان قوي الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله إلى السماء أعور باكياً شاكياً ! فعالجه الله تعالى وأعاد له ليقبض روح موسى عليه السلام ! واحتاج عزرائيل إلى استعمال الحيلة مع موسى فأعطاه تفاحة مسمومة ، فشمها موسى فمات !!

قال البخاري: (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة ، قال: أي رب ثم ماذا ؟ قال: ثم الموت. قال: فالأن. فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) ! وكرر البخاري هذا الحديث المزعوم في: ١٣٠/٤ ، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد... (كذا) ! وحذف منه جملة (فقفاً عينه) ، التي أثبتها مسلم: ٩٩/٧ !!

قال ابن حجر في فتح الباري: ٣١٥/٦: (صكه: أي ضربه على عينه ، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقفاها !

وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري: كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه فقفاً عينه.....وفي رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقفاً عيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه) !!

نبي الله موسى ﷺ يركض عارياً وراء ثيابه !

روى البخاري قصة (ثوبي حجر) التي يزعم فيها اليهود أن نبي الله موسى ﷺ كان يغتسل ووضعه ثيابه على حجر ، فركض الحجر هارباً بثيابه ، وركض موسى وراءه عارياً ، وراه بنو إسرائيل ! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه !

وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكي يبرئ موسى ﷺ من اتهام بني إسرائيل له بأن له أذرة ! وكأن تبرئة الله تعالى لنبيه ﷺ لا تتم إلا بإهانتة ! قال البخاري: ١٢٩/٤: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعضاه ! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً). انتهى.

وكرره البخاري هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه في: ٢٨/٦ و: ٧٣/١ !

نبي الله سليمان ﷺ مفرط في الجنس ، معرض عن ذكر الله !

وروى البخاري في: ٢٠٩/٣ عن سليمان ﷺ: (قال سليمان بن داود ﷺ لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ! فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ! والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في

سبيل الله فرساناً أجمعون)! وكرره البخاري بنحوه: ١٣٦/٤ و: ١٦٠/٦!

البخاري يروي تفضيل نبينا ﷺ على الرسل والبشر

قال في: ٢٢٥/٥: (قال: أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله ! وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى نوح !!

فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟

فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي. نفسي نفسي نفسي ! إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى إبراهيم !!

فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ! وإني قد كنت كذبت ثلاث

كذبات ، فذكرهن أبو حيان في الحديث، نفسي نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري
إذهبوا إلى موسى !! فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله
برسالته وبكلامه على الناس ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟
فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ،
وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ! إذهبوا إلى غيري ،
إذهبوا إلى عيسى ! فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ، ألقاها
إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى
إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله !! ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري
إذهبوا إلى محمد !!

فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟
فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع لربي عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده
وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك
سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب ، فيقال يا
محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك ، من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما
بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة
وبصرى). انتهى.

ونحن نعتقد بتفضيل نبينا وآله ﷺ على الخلق كلهم ، لكننا لانقبل حديث أبي
هريرة المذكور ، لأنه مصوغٌ من جو الإسرائيليات والمسيحيات عن غضب الله

تعالى ، وعن اعترافات أنبيائه بمعاصيهم إلا عيسى عليه السلام !
ونطمئن بأن البخاري أوردته لا لكي يمدح النبي ﷺ فهو لا يتردد في تفضيل
بقية الأنبياء عليه ﷺ حتى يونس عليه السلام ! بل لثبت فضيلة لأمته التي في طليعتها
طلقت قريش ! وحيثما وجدنا مدحاً لأمة النبي ﷺ فينبغي لنا أن نفحصه حتى
لا يكون موضوعاً ، أو يكون كلمة حق أريد بها باطل !

ثم يتراجع البخاري ويفضل نبي الله موسى على نبينا ﷺ

لكنه يفضل قريشاً على اليهود !

روى صحيحه: ٤٨/٨: روى أن نبي الله موسى رغم عيوبه يبقى أفضل من نبينا
ﷺ ، لأنه يفيق قبله من نفخة الصور يوم القيامة ، أو يستثنى منها أصلاً ، لأنه
أصيب بالصعقة في طور سيناء فكفته عن صعقة الصور !

قال البخاري: (قال (ص): لا تخبروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم
القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا
أدري أفاق قبلي ، أم جزي بصعقة الطور) !! انتهى . وكرر ذلك في: ٨٨/٣ ، و: ٤/
١٢٦ و ١٣١ و ١٣٣ ، و: ١٩٦/٥ ، و: ٣٤/٦ ، و: ١٩٣/٧ ، و: ١٧٧/٨ !

كما روى سبباً آخر لتفضيل موسى على نبينا ﷺ هو أن موسى عليه السلام كان أوسع
صدراً ، فقد تحمل من بني إسرائيل أكثر مما تحمل نبينا ﷺ من قريش ! قال
في: ١٣٠/٤: (قسم النبي (ص) قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله
، فأتيت النبي (ص) فأخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ، ثم قال:
يرحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا ، فصبر) ! وكرره في: ١٠٦/٥ و: ٨٧/٧
و: ١٥٣ و ١٤٣ و ٩٦ !

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ١٩٧

وبهذا تكون قريش أفضل من اليهود لأنها لم تؤذ نبيها ﷺ كما آذت اليهود موسى ﷺ! ولهذا يبكي موسى ﷺ يوم القيامة لتفضيل أمة محمد على أمته !

قال البخاري: ٢٤٩/٤ عن لسان النبي ﷺ يصف معراج: (فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالإخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى! قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي) !

وينبغي أن تعرف أن تعبير (غلاماً) عن النبي ﷺ تعبير يهودي فهم يزعمون أن الله تعالى جعل إسماعيل وذريته عبيداً لأبناء إسحاق !!

وهكذا يحرص البخاري على إرضاء ولي نعمته المتوكل العباسي في تبرئة القرشيين وتفضيلهم ، حتى لو استوجب ذلك تنقيص مقام النبي ﷺ !

ويفضل عيسى ﷺ على نبينا ﷺ

رواه البخاري مرة واحدة لأن روايته مسيحية وليست إسرائيلية ! قال في: ٩٤/٤: (قال النبي (ص): كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب) !! انتهى.

ومعنى هذا الحديث المزعوم غريب قد يعرفه البخاري والقساوسة ، فما معنى أن الشيطان يطعن في جنب المولود ، وهل يتسلط عليه بهذه الطعنة بإصبعه ؟ وما معنى أنه أراد أن يطعن في جنبي عيسى ﷺ فذهبت طعنة إصبعه في الحجاب ، ولم تصل إلى أحد جنبه؟ وما هو ذلك الحجاب ، ولماذا خص الله به عيسى من دون الرسل والبشر ، حتى نبينا ﷺ؟!

ويروي النهي عن تفضيل الأنبياء ﷺ على بعضهم !

قال الله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقرة: ٢٥٣)

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ). (آل عمران: ٨١)

فقد نصت الآيات الكريمة على تفاضل الرسل ﷺ ، وأجمع المسلمون على تفضيل نبينا ﷺ على الجميع ، ورواه البخاري كما رأيت.

لكن البخاري نقض ما رواه من تفضيل نبينا ﷺ من جهة !

ثم خالف القرآن فروي قاعدة تحريم تفضيل الأنبياء ﷺ على بعضهم !

ثم نقض هذه القاعدة فروي تفضيل موسى على نبينا ﷺ كما رأيت !!

قال البخاري: ١٣٢/٤: (عن أبي هريرة قال: بينما يهودي يعرض سلعته ، أعطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر ، والنبي بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره ، فغضب النبي (ص) حتى روي في وجهه ! ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث ، فإذا موسى أخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي ! ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!). انتهى.

فهذا الحديث المزعوم صريح في أن النبي ﷺ وقف إلى جانب اليهودي الذي زعم أن الله تعالى اصطفى موسى على البشر ، وأنه ﷺ خطأ المسلم الذي زعم أن الله اصطفى النبي ﷺ على البشر !!

بل زاد في آخره النهي عن تفضيله ﷺ على نبي الله يونس ! وروى بعده مباشرة: (عن النبي (ص) قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) !
وكرر حديث النهي عن تفضيل أحد على يونس بصيغ مختلفة في أكثر من عشرة مواضع في: ٤/١٢٥ و ١٣٢ بروايتين ، و: ٥/١٩٣ و: ٦/٣٠ و: ٨/٢١٣ ، و: ٥/١٨٥ و: ٦/٣١ وفي الإخيرتين: من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ! والمقصود به أن لا يفضل أحد نبينا ﷺ على يونس عليه السلام !

أما السبب فهو تعريض القرشيين بنينا ﷺ وأنه كيونس لم يصبر على قومه بل ذهب مغاضباً منهم ، وهاجر إلى المدينة واستعان عليهم بالأنصار !
وإلا فلا معنى لروايته أصلاً ، أو روايته في سياق تفضيل موسى على نبينا ﷺ !!

الأنبياء ﷺ عند البخاري عصبون كما في التوراة !

روى البخاري أن الأنبياء ﷺ غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم ! في حديثين في نبي قرصته نملة ، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار ، قال في: ٤/٢٢: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله) !! وكرره في: ٤/١٠٠ !!

قرشيات البخاري في الطعن بنينا ﷺ أسوأ من إسرائيلياته !

عندما يصل البخاري إلى نبينا ﷺ تنضم قرشياته إلى إسرائيلياته ، وتتعاونان في طعن قريش المبطن في عصمة نبينا ﷺ وشخصيته !!

تزعم هذه الفري القرشية أن النبي ﷺ من الأساس لم يكن على يقين من بعثته ، بل كان في شك وحيرة ! ثم لما أطمأن بنبوته وتأخر عليه الوحي ، قرر أن ينتحر !! وهو ثانياً ، غير معصوم حتى في تبليغ رسالة ربه ، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغَيَّر القرآن واستبدل ذم أصنام قريش اللات والعزى ومناة بمدحها ، وسجد لها هو والمشركون ، فعبد الأصنام وكفر برب العالمين !

وهو ثالثاً ، ليس أفضل من أنبياء بني إسرائيل ، فموسى على عيوبه ومعاصيه أفضل منه ، ويونس على تركه لقومه ومغاضبته خير منه ، وعيسى خير منه !!

وهو رابعاً ، عصبي المزاج سئ الإخلاق مع المسلمين ، غير مسدد في منطقته ، ولذا ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق ، وهو غير مسدد في عمله فقد يؤذي ويجلد الناس ظلماً وعدواناً !

وهو خامساً ، ساذج ضعيف الشخصية والتدبير ، يقع في أخطاء فظيعة ، فيصححها له عمر وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر !

وهو سادساً ، ظلم قريشاً في بدر وأخذ منهم أسرى بغير حق ، وأخذ من الأسرى فدية حتى أطلقهم ، فعاقبه الله بهزيمته وكسر رباعيته في أحد !

وهو سابعاً ، غير مسدد في حكمه وقضائه بين المسلمين ، فقد يقضي لشخص بالباطل لأنه حاذق في كلامه !

وهو ثامناً ، ينهى عن الأمر ويرتكبه ، فقد نهى المسلمين عن التمني وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات !

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ٢٠١

وهو تاسعاً ، صاحب ذهن عادي ، ينسى كثيراً ، فقد نسي أنه جُنِبَ لم يغتسل وبدأ في صلاته ! وقد نسي عدد ركعات الصلاة ونَقَصَ منها ! وقد أخطأ في قراءة القرآن في صلاته فصحيحها له بدوي !

وهو عاشراً ، غلب عليه المرض في آخر حياته فأخذ يهذي وطلب من المسلمين أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً يؤمّنهم من الاختلاف والضلال إلى يوم القيامة ، فرفض ذلك عمر وقال نبيكم غلب عليه الوجد ، وأيده أكثر الحاضرين ، ومنعوه من كتابة ذلك العهد !

كما كان يغمى عليه في مرضه ويفيق ، فأحس بأنهم يريدون أن يسقوه دواء إذا أغمي عليه (يَلِدُّوهُ) ، فنهاهم عن ذلك فلم تسمع كلامه عائشة وحفصة كلامه ولدّته ، فلما أفاق غضب عليهم وأمرهم أن يشربوا من ذلك الدواء كلهم ، إلا بني هاشم !

وأخيراً تقول عائشة إنه سُحِرَ ففقد ذاكرته ، وبقي لسته أشهر مسحوراً يخيّلُ إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله ، وأنه أتى زوجته ولم يأتها !

روايات البخاري المشينة في سلوك نبينا ﷺ

أما إذا وصّلَ الحديث إلى سلوك النبي الشخصي ﷺ ، فترى في البخاري الأعاجيب ! فهو مفرط في الجنس ، يأتي نساءه التسعة في ليلة واحدة ، ويأشرك زوجته وهي حائض ، ويتبدّل تبذلاً لا يناسب وجيهاً اجتماعياً عادياً ، فيبول وهو واقف ، ويستقبل ضيوفه وهو مضطجع ، ويستمتع الغناء ، ويشرب النبيذ ! أما عمر بن الخطاب فكان محافظاً أكثر منه ، حيث قال له أحجب نساءك فلم يفعل ، فأنزل الله آية الحجاب ، وأمره بما أمره به عمر !

وتجد في البخاري أنه ﷺ كان مغرمًا بزوجة له اسمها عائشة ، يفضلها على كل زوجاته ، فكان يستمع معها الغناء من جارتين تغنيان لهما ، ويحملها على كتفه ويضع خده على خدها لتشاهد من شباك الغرفة رقص الأحباش ، يأخذها معه في غزواته ، وربما ترك جيشه وسابقها ، وقد سبقها مرة وسبقته مرة ، فتعادلا ! وقد روت عنه عائشة مئات الأحاديث ، فيها قصص حياتهما الشخصية ، مما لا يناسب زوجين مسلمين محافظين !!

إلى غير ذلك من مطاعن البخاري في نبينا ﷺ التي لو أفضنا فيها لخرجنا عن قصد هذا الكتاب ، فنكتفي بالتعداد ، وتفصيل بعضها !

البخاري يفتح صحيحه بالطعن في نبوة نبينا ﷺ !

صدر البخاري صحيحه بحديث بدء الوحي وكرره في أجزاء كتابه مرات ، فروى عن عائشة أن النبي ﷺ لم يبعث نبياً في جو واضح ، ولا رأى جبرئيل بالأفق المبين كما قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. (التكوير: ١٧-٢٩)

يقول البخاري كلا ! فقد كان الأفق غائماً وكانت النبوة مشكوكة ! والذي جاء للنبي ﷺ أشبه بكابوس منه بملك ، وكان تعامله معه وحشياً ! فقد أمره أن يقرأ ، ولم يقبل عذره بأنه لا يعرف القراءة ، فغطه غطاءً عنيفاً ثلاث مرات !! أي أمسكه ، وخبزه بالأرض ، وعجنه !!

والأهم من ذلك أن النبي ﷺ لم يعرف جبرئيل ، ولا فهم كلامه ولا ما يريد

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ٢٠٣

منه ! وعاد إلى منزله في مكة مرعوباً فشكى إلى زوجته خديجة ؓ فطمأنته ، لكنها بقيت هي في شك! فأخذت زوجها إلى ورقة بن نوفل ، وهو قسيس عجوز من قبيلتها بني زهرة ، وعرضت عليه مشكلة زوجها ، فسأله ورقة وأجابه ، فطمأنه بأن الذي جاءه هو حبرئيل ، وأنه فعلاً قد بعث نبياً !!

لكن النبي ﷺ لم يطمئن ، خاصة بعد أن انقطع عنه الوحي ! فقرر أن يلقي بنفسه من رأس جبل شاهق وينتحر ! وذهب مراراً إلى رؤوس الجبال ، لكنه كلما ذهب إلى رأس جبل لينتحر ، كان جبرئيل يأتيه ويمنعه من ذلك !!

قال بخاري في صحيحه: ٦٧/٨: (باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ ، فقال له النبي (ص): ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: اقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: اقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك ! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق ، حتى بلغ ما لم يعلم .

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ! فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي ! فقالت له: كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب

الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها ، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: أي ابن عم إسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي (ص) ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مُخرجي هم ؟ فقال ورقة: نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقه أن توفي !

وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (ص) فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ! فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك)!!

نعم لقد افتتح البخاري بهذه الخرافة: ٢/١ وكررها في: ١٢٤/٤ ، و٨٨/٦ !!

غرائق قريش ومحاولات التغطية على البخاري !

الغرائق جمع غرنوق ، وهو طائر أبيض من طيور الماء يشبه الكركي ، يعلو في طيرانه. وقد شبهت به قريش أصنامها الخاصة بها: اللات والعزى ومناة ، ووصفتها بالغرائق العلى ، لأن مقامها عند الله بزعمهم مقامٌ عال كطائر الغرنوق !

(النهاية: ٣/٣٦٤ ، والعين: ٤/٤٥٨ ، ولسان العرب: ١٠/٢٨٧) .

قال الرازي في تفسيره: ١٢/٢٤: (والغرائق تصعد في الجو جداً عند الطيران ، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحب ، أحدثت عن أجنتها حفيفاً مسموعاً يلزم به بعضها بعضاً ، فإذا نامت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنتها ، إلا القائد فإنه ينام مكشوف الرأس ، فيسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح) . انتهى .

وقد كان موقف النبي ﷺ من الأصنام من أول بعثته موقفاً صريحاً حاسماً لا مساومة فيه ، رافضاً لها كلها ، داعياً إلى عبادة رب العالمين وحده لا شريك له ، وكانت سور القرآن تتوالى مهاجمة الأصنام وعبّادها ، مسفهة أحلامهم ، حتى قال القرشيون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا !

في ذلك الجو نزلت سورة النجم بعد أكثر من عشرين سورة من القرآن ، كلها صريحة في رفض الأصنام ، ومنها سورة الكافرون ، وقل هو الله أحد ! لكن سورة النجم تميزت بأنها ذمّت أصنام قريش الثلاثة بأسمائها ، فقال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ. (١٩-٢٣) فكان ذلك إعلاناً بتسفيه أصنام قريش (اللات والعزى ومناة) وإسقاطها إلى الأبد !

ومن الطبيعي أن يكون تأثير ذلك على قريش كبيراً ، وأن يثير كبرياءها وردة فعلها العنيف ، وهذا ما حدث بالفعل حتى وصلت إلى قرار قتل النبي ﷺ ، فأنجاه الله بالهجرة .

في هذا السياق القطعي من السيرة لا يمكننا أن نفسر قصة الغرائق إلا بأنها ردة فعل قرشية ، وأن أصلها أن أحد المشركين القرشيين أجاب على ذم أصنام

قريش في سورة النجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى . فقام بتحريفها إلى مدح للأصنام وقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ تِلْكَ الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ! فأعجبَ ذلك القرشيين وتمنوا لو أن القرآن قال هذا المديح في آلهتهم ، بدل ذمها وذمهم !

ومن المؤكد أن قصة الغرائق وضعها رواة قريش بعد وفاة النبي ﷺ ، ولم يكن لها عين ولا أثر في سيرته ﷺ في مكة ، وإلا لرفعها المشركون علماً ، وطبل بها اليهود وزمروا !

لكن السؤال ما هو غرض طلقاء قريش من ترويح هذه القصة بعد وفاة النبي ﷺ ونسبتها إليه مع أن أصنامهم انتهت وهدمت ، وتبرؤوا منها ودخلوا في الإسلام تحت السيف ثم رضوا به ؟!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبي ﷺ لم يكن معصوماً عصمة مطلقة حتى تكون كل تصرفاته وأقواله حجة ، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي ! وبذلك يمكن تبرير مخالفة الخلفاء والسلطة لأوامره ﷺ !

فالمهم عندهم تبرير مخالفة النبي ﷺ وليكن ثمن ذلك قصة الغرائق التي تزعم أنه ﷺ ارتكب خيانة في نص القرآن والعياذ بالله ، وكفر ومدح أصنام قريش لكي ترضى عنه ، وسجد لها وسجد معه مشايخ قريش وكل من كان في المسجد ، وزاد البخاري أن كل الإنس والجن سجدوا يومها !!

وزادت الرواية المزعومة أن زعماء قريش طاروا فرحاً بخيانة النبي ﷺ في نص القرآن ، وطبيعي أن يطير المستشرقون فرحاً بهذه القصة !!

وأخيراً المرتد سلمان رشدي والحكومات الغربية !!

البخاري يروي فرية الغرائق في ست مواضع !

روى البخاري: ٣٢/٢: (عن عبد الله (رض) قال قرأ النبي (ص) النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفاً من حصى أو تراب ورفعته إلى جبهته وقال يكفيني هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً...

وعن عبد الله (رض) أن النبي (ص) قرأ سورة النجم فسجد بها ، فما بقي أحد من القوم إلا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا ، فلقد رأيته بعد قتل كافراً...

وعن ابن عباس (رض) أن النبي (ص) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون ، والجن والإنس ! ورواه ابن طهمان عن أيوب .

وفي: ٢٣٩/٤: (عن عبد الله (رض) قال: قرأ النبي (ص) النجم فسجد ، فما بقي أحد إلا سجد إلا رجل رأيته أخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني ، فلقد رأيته بعد قتل كافراً بالله .) وفي: ٧/٥: بنحوه.

وفي: ٥٢/٦: (قال فسجد رسول الله (ص) وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ، وهو أمية بن خلف .) انتهى. فهذه ست روايات رواها البخاري على الأقل.

ورواه مسلم بنحوه في: ٨٨/٢ ، ورواه في: ٥٢/٦ ، وسمى الذي سجد بأنه أمية بن خلف .

وقال الحاكم في المستدرک: ٢٢١/١: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله ﷺ على الناس الحج ، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس ، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ، ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي إسحاق عن

الأسود عن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ والنجم ، فذكره بنحوه ، وليس يعلل أحد الحديثين الأخيرين ، فإني لأعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم ، غير قيس بن الربيع. والذي يؤدي إليه الاجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم).

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا السجود في سورة الحج لأنها أصح ، ولكنهما تركاها ورويا السجود في سورة النجم !! وقال البيهقي في سننه: ٣١٤/٢: (عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد فيها يعني والنجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره عن عبد الوارث .

وصححه في مجمع الزوائد: ١١٥/٧ ، قال: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ... عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير ، أن النبي (ص) كان بمكة ، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، فجرى على لسانه: تلك الغرائق العلى الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسرُّوا بذلك فاشتدَّ على رسول الله (ص) فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ. رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح ، إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي (ص) وقد تقدم حديث مرسل في سورة الحج أطول من هذا ، ولكنه ضعيف الإسناد).

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذي يضعفه بابن لهيعة وقد وثقه عدد من علمائهم ، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً ، وهو في مجمع الزوائد: ٧٠/٧ ، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم إذا هوى ، فقال المشركون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرنناه وأصحابه ، فإنه لا يذكر أحداً ممن

خالف دينه من اليهود والنصارى يمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت ، فقال: وإنهم من الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك ، وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها ، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه ، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله (ص) ، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين. وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبي (ص) وحدثهم الشيطان أن النبي (ص) قد قرأها في السجدة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله (ص)، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، أقبلوا سراعاً! فكبر ذلك على رسول الله (ص) فلما أمسى أتاه جبريل ﷺ فشكا إليه ، فأمره فقرأ له ، فلما بلغها تبرأ منها جبريل ! وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك ! فلما رأى ذلك رسول الله (ص) شق عليه وقال: أطعتُ الشيطان وتكلمتُ بكلامه وشركني في أمر الله ! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). الحج: ٥٢-٥٣ هـ فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم. فذكر الحديث وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لهيعة ، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة).

وقد أورد السيوطي قصة الغرائق بعدة طرق بعضها صحيح في الدر المنثور: ١٩٤/٤ وقال في ص ٣٦٦: (وأخرج البزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال: إن رسول الله (ص) قرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ! ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاء جبريل فقال: اقرأ على ما جئتك به ، فقرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال: ما أتيتك بهذا ! هذا من الشيطان فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى..إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، بسند صحيح عن سعيد بن جبير...!!). انتهى.



بهذا يتبين لك أن حديث الغرائق أو الآيات الشيطانية رواها البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد صحيحة ، فكل هؤلاء يتحملون وزرها ! ويتبين لك بطلان دعوى من قال إن الواقدي تفرّد بها وأن الصحاح لم تروها !! ويتبين لك مصيبة أن بعض الحفاظ يكذبون ليغطوا على البخاري !!

قال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائق وما كان من رجوع كثير من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ،

ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها من وجه صحيح .

وقال القسطلاني في شرح البخاري: وقد طعن في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هي من وضع الزنادقة. وقال القاضي عياض: إن هذا حديث لم يخرج به أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون عن الصحف كل صحيح وسقيم) !

ونقل عن أبي بكر بن العربي الإمام المالكي: إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له) !! (هامش عصمة الأنبياء للرازي ص ٩٤).

وذكر عبد الله النعيم في كتابه الإستشراق في السيرة النبوية - نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧ ، أن المصادر التي روت حديث الغرائق هي: طبقات ابن سعد: ٢٠٥/١ ، وتاريخ الطبري: ٢٢٦/٢ ، وتاريخ ابن الأثير: ٧٧/٢ ، وسيرة ابن سيد الناس: ١٥٧/١. وقال في ص ٩٧: (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفرية ، ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم).

ونقل في ص ٩٣ نقد القرضاوي في كتابه كيف نتعامل مع السنة النبوية ، وجاء فيه: (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن ، ولهذا كان حديث الغرائق مردوداً بلا ريب ، لأنه منافٍ للقرآن). انتهى .

وقال في ص ٩٨: (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً. ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو: كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل؟!). انتهى .

ثم نقل نقد القاضي عياض في كتابه الشفا لحديث الغرائق سنداً ومتناً .
وكلامهم يشبه بعضه في تبرئة البخاري من الغرائق!! ولكن عدداً منهم يعرفون

أن البخاري روى فرية الغرائق بأكثر من رواية ، وروتها أصحابهم بطرق متعددة ،
يكثر فيها الإسناد الصحيح !

غاية الأمر أن البخاري ومن شاكلة حذفوا منها إسم الغرائق وأبقوا سجود
النبي ﷺ المزعم بعد مدحه لأصنام قريش وسجود المشركين معه ، وقد سموا
من زعماء المشركين الذين سجدوا أمية بن خلف ، وأبا أحيحة وهو سعيد بن
العاص ! وهم يعرفون أن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله مصدر على
الإطلاق ، في أي قصة على الإطلاق ، إلا قصة الغرائق !

لذلك من حقنا أن نشك في أمانة النافين لرواية البخاري والصحاب لها ، كالذين
تقدم كلامهم ، وكالفخر الرازي عندما قال في تفسيره: ٤٩/٢٣:
(وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي (ص) قرأ سورة النجم وسجد
فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرائق ! وروي
هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق) !!

تناقض الفخر الرازي في حديث الغرائق !

وقد بحث الفخر الرازي هذه الفرية في كتابه عصمة الأنبياء ﷺ وفي
تفسيره: ٤٩/٢٣ ، فدافع عن النبي ﷺ ونفاها عنه ، ودافع عن البخاري وغيره من
صحابهم ! ثم عاد في أواخر تفسيره واتهم بها النبي ﷺ !!
قال في عصمة الأنبياء ﷺ ص ٩٣:

(الشبهة الثانية: تمسكوا بقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّيَ الْكُفْرَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ. قالوا إن ظاهر الآية يدل على أن الشيطان ملقٍ في قراءة الأنبياء ﷺ ما
يؤدي إلى الشبهة ، فإذا جَوَزْنَا ذلك ارتفع الوثوق !

روي أنه (ص) شقَّ عليه ما رأى من مباحدهم عما جاءهم به ، فتمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على إيمانهم ، فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله ، وأحب يومئذ أن لا يأتيه شيء من الله فينفروا عنه ، وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** ، فقرأ رسول الله (ص): **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ، أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ مَا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتَمَنَّا: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعَلَىٰ وَإِنْ شَفَاعَتُهُن لَتَرْتَجَى !** فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله (ص) في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها ، فسجد المسلمون وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة ، وأبو أحيحة سعيد بن العاص ، فإنهما أخذتا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها ، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود ! وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر! فلما أمسى رسول الله (ص) أتاه جبريل ﷺ وقال: ما ذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتكَ به عن الله ، وقلت ما لم أقل لك ؟! فحزن رسول الله (ص) حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً ، فأنزل الله هذه الآية (!!

الجواب الذي يدل على أنه ﷺ ما غير وما بدل وجوه خمسة:

الأول: قوله تعالى: **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. الثاني: وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ. الثالث: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا. وَ لَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. الرابع: كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. الخامس: قوله: سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى .**

وإذا ثبت ما ذكرناه فلنشرع في الجواب عن الشبهة فنقول:
التمني، جاء في اللغة لأمرين: أحدهما تمنى القلب، والثاني التلاوة ، قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ ، أي إلا قراءة...
إذا عرف ذلك فنقول: من المفسرين من حمل الآية على تمنى القلب ، والمعنى أن النبي متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي ، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ، ويأتيه بما يرشده إلى ترك الالتفات إلى وسوسته.

وهذا ضعيف ، لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر بباله فتنة للكفار ، وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.. الآية: فثبت أن المراد بالتمني القراءة ، ثم اختلف الداهبون إلى هذا التأويل على وجوه....

فإن قلت: لعله قد ذكر ذلك استفهاماً على سبيل الإنكار ؟
قلت: هب أنه كذلك لكن قراءته في أثناء قراءة القرآن مع كونه على ذلك الوزن توهم كونه منه ، فيعود المحذور المذكور.

أما السهو فغير جائز أيضاً ، لأنه لو جاز وقوع السهو هاهنا لجاز في غيره وحينئذ ترتفع الثقة بالشرع ! ولأن الساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ مطابقة لوزن هذه السورة وطريقتها ومعناها ، فإننا نعلم بالضرورة أن واحداً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق فيه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها.

الثالث، أن يكون الشيطان أجبر النبي (ص) على التكلم ، وهذا أيضاً فاسدٌ لوجوه ثلاثة.....

الخامس ، أن المتكلم بذلك بعض الكفرة ، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى

من قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته أنه يعيها ، فقال بعض من حضر من الكفار: تلك الغرائق العلا ، فاشتبه على القوم ، لأنهم كانوا يلغون عند قراءته ويكثرون من الكلام طلباً لتغليظه وإخفاء قراءته. وممكن أن يكون أيضاً في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه في حال الصلاة ويسمعون قراءته ويلغون فيها ، وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات ، فألقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في تلك الوقعات فتوهم القوم أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام ، ثم أضاف الله ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته حصل ، أو لأنه جعل ذلك المتكلم شيطانياً.....

ولقائل أن يقول: إذا جوزتم أن يتكلم الشيطان في أثناء كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بما يشبهه على كل السامعين حتى يظنوه كلاماً لرسول الله (ص) بقي هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول (ص) فتفضي إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع !

الجواب: أن ذلك الاحتمال قائم ، ولكنه لو وقع لوجب في حكمة الله تعالى أن يشرح الحال فيه كما في هذه الواقعة إزالة للتلبس.....

السادس، أن المراد بالغرائق الملائكة ، وقد كان ذلك قرآناً منزلاً في وصف الملائكة ، فلما توهم المشركون أنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته (!! انتهى.

والتهافت في دفاع الرازي واضح ، فقد نفى أولاً أن يكون النبي ﷺ غير أو بدّل في قراءته فقال: (الجواب الذي يدل على أنه ﷺ ما غير وما بدّل...)، لكنه عاد وفسر آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، بذلك ! وضعف الاحتمالات التي تنزه النبي ﷺ أو سكت عنها ، كالوجه الخامس الذي استفاده من الشريف المرتضى!

أما في تفسيره الكبير ، فقد بدأ قوياً في استدلاله ، لكنه ضعف في ختام كلامه ، وعاد إلى تبني اتهام قومه القرشيين للنبي ﷺ ، وينبغي أن تعرف أن الفخر الرازي قرئى تيمى ، من عشيرة أبي بكر وقيل من ذريته !

قال في الجزء ٤٩/٢٣: (المسألة الثانية: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول(ص) لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحثتهم عما جاءهم به تمنى....الى آخر ما ذكره في كتاب العصمة ، ثم قال:

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول.

أما القرآن فوجوه...وأورد الآيات المتقدمة وغيرها ، ثم قال:
وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة ، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم .

وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي(ص) قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرائق. وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق. وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن من جوز على الرسول(ص) تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

وثانيها: أنه ﷺ ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلي إذا لم

يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقرؤا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

ورابعها: قوله: **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ** ، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها ، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً ، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً ، أولى .

وخامسها: وهو أقوى الوجوه أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ، فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها ، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة...). انتهى.

أقول: إلى هنا يبدو الرازي منسجماً ، فقد وافق محمد بن إسحاق صاحب السيرة على أن القصة فرية من وضع الزنادقة القرشيين على النبي ﷺ بأنه مدح أصنامهم وسجد لها ، وسجد معه القرشيون ، وكل من في المسجد !

لكن الرازي دخل مدخلاً صعباً في الدفاع عن البخاري وبقيّة مصادرهم التي روتها بطرق متعددة وصححتها ! وادعى أن البخاري لم يرو حديث الغرائق ، مع أنه رواه وحذف منها إسم الغرائق ، كما رأيت !

ثم دخل الرازي مدخلاً أصعب في تفسير قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ، لأنه اقتفى أثر مفسري السلطة القرشية وحبس نفسه بتفسير أُمْنِيَّتِهِ بذهن النبي ﷺ وقراءته للقرآن !

بينما التمني أمر ذهني ، لكن الأُمْنِيَّة قد تكون ذهنية ، وقد تكون خارجية ، وهي في الآية خارجية ، وإلقاء الشيطان إنما هو في الأُمْنِيَّة الخارجية ، وليس في ذهن النبي ﷺ :

ونلاحظ أن كلام الرازي الطويل بلا طائل ، فقد قال:

(ولنشرع الآن في التفصيل فنقول التمني جاء في اللغة لأمرين: أحدهما: تمنى القلب والثاني: القراءة)...

ثم أخذ في تعداد الاحتمالات على تفسير الأُمْنِيَّة بالقراءة ، وردها جميعاً فقال: (فهذه الوجوه المذكورة في قوله تلك الغرائق العلا قد ظهر على القطع كذبها ، فهذا كله إذا فسرنا التمني بالتلاوة. وأما إذا فسرناها بالخاطر وتمنى القلب فالمعنى أن النبي (ص) متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي ، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته ، ثم اختلفوا في كيفية تلك الوسوسة على وجوه.... واختار منها الرابع ، وختم بقوله:

(ورابعها: معنى الآية إذا تمنى إذا أراد فعلاً مقرباً إلى الله تعالى ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله تعالى في ذلك وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وكقوله: وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ .

ومن الناس من قال لا يجوز حمل الأُمْنِيَّة على تمنى القلب لأنه لو كان كذلك

لم يكن ما يخطر ببال رسول الله (ص) فتنة للكفار وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ. والجواب: لا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل خاطر به فحصل السهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار. فهذا آخر القول في هذه المسألة). انتهى.

وبذلك ختم الرازي بتبني الفرية على النبي ﷺ بأنه يتمنى فيلقى الشيطان في ذهنه فينشغل به خاطره ، فيحصل له السهو في أفعاله ، فيكون ذلك فتنة!!
فأين صار استنكاره لفرية الغرائق ، وأنها من وضع الزندقة ؟!

بل صرح في تفسيره: ١٤١/٣٢ ، بنسبة الكفر إلى النبي ﷺ وهو يعدد الفوائد لكلمة "قل" في (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) قال:

(الحادي والثلاثون: كأنه تعالى يقول: يا محمد ألسنت أنت الذي قلت: من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يوقفن مواقف التهم ، وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد أن يفارقه: لاتخاف السلطان قال: ولم ؟ قال: لأنه يوقع الناس في أحد الخطأين ، وأما أن يعتقدوا أن السلطان متدين ، لأنه يخالطه العالم الزاهد ، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله ، وكلاهما خطأ ، فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك ، لاسيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فأزل عن نفسك هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا عِبْدُ مَا تَعْبُدُونَ) ! انتهى.

فأين حملة الفخر الرازي على الزنادقة واضعي فرية الغرائق ، ونصه على أن النبي ﷺ لم يغير في سورة النجم ولم يبدل!!

نعوذ بالله من هذه الفرية على سيد الموحدين ﷺ ، التي بلغ من تأكيد

مصادرهم عليها أنها أوقعت الفخر الرازي وهو العالم المتبحر والفيلسوف المتضلع في هذا التهافت المشين ، فنقض ما كتبه يمينه في الجزء الثالث والعشرين ، وعمي عن أن سورة الكافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم ! قال الزركشي في البرهان: ١٩٣/١: (أول ما نزل من القرآن بمكة إقرأ بإسم ربك، ثم والقلم ، ثم يا أيها المزمل ، ثم المدثر ، ثم تب يدا أبي لهب ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ، ثم والعاديات ، ثم إنا أعطيناك الكوثر ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذي ، ثم قل يا أيها الكافرون ، ثم سورة الفيل ، ثم الفلق ، ثم الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم إذا هوى ، ثم عبس وتولى...). انتهى. (راجع فهرست ابن النديم/ ٢٨، وتفسير الميزان للطباطبائي: ١٣/٢٣٣)

هذا ، وسوف نلقي مزيداً من الضوء عل تفسير آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، في فصل العصمة في القرآن ، إن شاء الله تعالى .

القاضي عياض أكثر علماء السنة اعتدالاً في عصمة نبينا ﷺ

قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢٣/٢:

(فصل: وأما أقواله (ص) فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيها من الأخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به. لا قصداً ولا عمداً ، ولا سهواً ولا غلطاً .

أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال ، اتفاقاً ، وبإطباق أهل الملة إجماعاً .

وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك ، فهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ومن قال بقوله.

ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لامن مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه ، لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة ، لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب .

فلنعمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه ، لا على وجه العمد ولا على غير عمد ، ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض ، وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك ؟ قال: نعم ، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً. ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً: فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني ، وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم ، وأبين لكم ما نزل عليكم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. وَقَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان ، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل !

فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص ، فتبرئة النبي(ص) عن ذلك كله واجب ، برهاناً وإجماعاً ، كما قاله أبو اسحاق .

فصل: وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات:

منها ما روى من أن النبي(ص) لما قرأ سورة والنجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، قال: تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى. ويروى

ترتضي ، وفي رواية إن شفاعتها لترتجي وإنها لمع الغرائق العلى. وفي أخرى والغرائقة العلى تلك الشفاعة ترتجى ، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لمّا سمعوه أثنى على آلهتهم !

وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي (ص) كان يتمنى أن لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه. وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة ، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له: ماجئتك بهاتين ! فحزن لذلك النبي (ص) فأنزل الله تعالى تسلياً له: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا آيَةً وَقَوْلُهُ: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ.. الآية.

فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهين أصله ، والثاني على تسليمه.

أما المأخذ الأول ، فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ! وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول إنه في الصلاة ، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول بل حدث نفسه فيها ، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي (ص) لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتكَ ، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي (ص) قرأها ، فلما بلغ النبي (ص) ذلك قال: والله ما هكذا نزلت..

إلى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ! وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي (ص) كان بمكة وذكر القصة .

قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لانعلمه يروى عن النبي (ص) باسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس. فقد بين لك أبو بكر رحمته الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه ، مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه ، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه .

وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره ، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمته الله .

والذي منه في الصحيح أن النبي (ص) قرأ والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . انتهى .

وينبغي أن نحسن الظن بالقاضي عياض بأنه لم يطلع على الطرق والأسانيد الكثيرة لحديث الغرائيق ، لكن العجب أنه أورد ما رواه البخاري في الصحيح ، وهرب منه ولم يعلق عليه بشئ! فهل غاب عليه أن ما رواه البخاري هو حديث الغرائيق بعينه وذاته ، وأنه لم يُرَوَّ سجود المشركين مع المسلمين في غيره أبداً؟!

ثم تابع القاضي عياض توهين حديث الغرائيق من جهة دلالة فقال:

(هذا توهينه من طريق النقل، فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت

الأمة على عصمته (ص) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر ! أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي (ص) أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه (ص)! أو يقول ذلك النبي (ص) من قبل نفسه عمداً وذلك كفر! أو سهواً وهو معصوم من هذا كله ! وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته (ص) من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً ، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه ، وقد قال الله تعالى: **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، الْآيَة.** وقال تعالى: **إِذَا لَدَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ . الْآيَة .**

ووجه ثان ، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً ، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الإلتزام متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالضم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي (ص) ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك ! وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجع حلمه ، واتسع في باب البيان فصيح الكلام علمه.

ووجه ثالث ، أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضَعْفَ القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي (ص) لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ، ولو كان ذلك لو جَدَّت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرةً في قصة الإسراء ،

حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة، وكذلك ما روي في قصة القضية (صلح الحديبية)، ولافتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت .

فما روي عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلها واجتثاث أصلها ، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين !

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ.. الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رويوه ، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم ، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً ، فكيف كثيراً! وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والإفتراء بمدح آلهتهم وأنه قال (ص): (افتريت على الله وقلت ما لم يُقل) وهذا ضد مفهوم الآية ، وهي تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له !؟). انتهى.

ثم ذكر عياض الوجوه التي ذكرها علماؤهم لتوجيه حديث الغرائق ، وضعف أكثرها ، وبذلك تنزّل وفتح الباب لاحتمال صحته ، وهو أضعف الإيمان !

غرائق قریش يتصيدا بروكلمان ومونتغمري

انتقد الباحث السوداني عبدالله النعيم في كتابه: الإستشراق في السيرة النبوية- (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧) استغلال المستشرقين لرواية الغرائق، ونقل في ص ٥١ افتراء المستشرق بروكلمان وقوله عن النبي ﷺ: (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه

يعتبرونهن بنات الله ، وقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي (!!

ونقل في ص ٩٦ عن المستشرق مونتغمري وات قوله: (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن ، إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين ، وإن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءاً من القرآن ، يدل على أنه تلاها ، وأن عبادة محمد بمكة لا تختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف (محلان لأصنام قريش) ولقد كان توحيد محمد غامضاً ، ولاشك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله). انتهى. ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتمسكوا بها ، فهم يكذبون على نبينا ﷺ وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً ، لكن المؤسف أن تحفل مصادر السنين وفي طليعتها البخاري بالإفتراءات على النبي ﷺ كقصة الغرائق ، وقصة ورقة بن نوفل ، وغيرهما من القرشيات المخالفة للعقل ، فتقدم للمستشرقين مادةً ومستمسكاً للطعن في النبي ﷺ والقرآن والإسلام !

ملاحظات على قصة الغرائق

١- لعل فرية الغرائق أعظم فرية تضمنتها مصادر الحديث السنية على رسول الله ﷺ من بين أكثر من ثلاثين فرية عليه بأنه شك في نبوته ، وأنه خالف أوامر ربه ، وتحيز لأقربائه ، وأنه كان يهتم بالأغنياء ويعبس في وجه الفقراء ، أو اتهمته بسلوك مشين ! وقد تعرضنا لأكثرها في المجلد الرابع من كتاب الانتصار .

٢- من المفارقات الواضحة في رواياتهم أن سورة النجم التي اتهموا النبي ﷺ بأنه تعمد في قراءتها الكفر ومدح الأصنام وسجد لها ، أو أن الشيطان قالها

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ٢٢٧

على لسانه ، أو أنه نسي وأثر عليه الشيطان ففعل ذلك ! هي السورة التي نص الله تعالى في مطلعها على عصمة نبيه ﷺ عصمة مطلقة بمستوى لم يبلغه نبي ولا رسول آخر ﷺ ! قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ.

فكانهم تعمدوا وضع فرية الغرائق في سورة نصت على العصمة الشاملة للنبي ﷺ تكذيباً صريحاً للقرآن ليقولوا: بل نطق عن الهوى وكفر ، وسجد للأصنام تقرباً لقريش ! فوبخه الله وتسامح معه وتاب عليه !!

٣- لا بد على زعمهم أن يكون جبرئيل قد تأخر في توبيخ النبي ﷺ أياماً عديدة حتى انتشر خبر كفر النبي ﷺ وسجوده للأصنام في مكة ، ووصل الخبر إلى الحبشة ففرح المسلمون المهاجرون بالحل السلمي مع قريش ! وعاد قسم منهم إلى مكة ، فوجدوا نبيهم ﷺ عاد إلى التوحيد وكفر بالأصنام بعد أن وبخه جبرئيل ﷺ ، وأن قريشاً عادت إلى عدائها له ، فرجعوا أدراجهم إلى الحبشة !

وقد تنذر الأخ الباحث السيد جعفر مرتضى على ذلك فقال في الصحيح من السيرة: ١٤٦/٣: (وقولهم إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة نقول فيه: إنهم يقولون إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضاً ، فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس ، أو بالتلفون ، وهل جاؤوا بالطائرة ، أم بالصواريخ؟! إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم ، وإن كان هذا بعيداً عن ظاهر اللفظ .

وكذا قولهم إنه لما عرض ﷺ السورة على جبرئيل وقرأ الفقرتين أنكرهما جبرئيل فقال ﷺ: قلت على الله ما لم يقل ! فأنزل الله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ، نقول فيه إن الخطاب في الآية للنبي ﷺ أن الناس كادوا يفتنونه مع أن الرواية تنص

على أن الشيطان هو الذي كاد أن يفتنه.. إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمسها في هذا المجال). انتهى.

٤- ليت الفخر الرازي وعياضاً وابن كثير والقرضاوي ، وغيرهم من الذين ردوا حديث الغرائق لمخالفته للقرآن والعقل ، يتمسكون بهذا الدليل لرد غيره من المكذوبات المخالفة للقرآن مما وضعه منافقوا قريش وروجته الخلافة القرشية ورواتها ، ولم يعدوها من الأحاديث الصحيحة أو الموثقة !!

قال الطباطبائي في تفسير الميزان: ٣٩٦/١٤ ، عن رواية الغرائق:

(الرواية مروية بطرق عديدة عن ابن عباس وجمع من التابعين ، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر ، لكن الأدلة القطعية على عصمته ﷺ تكذب متنها وإن فرضت صحة سندها فمن الواجب تنزيه ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطيئة ، مضافاً إلى أن الرواية تنسب إليه ﷺ أشنع الجهل وأقبحه فقد تلى: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجي، وجهل أنه ليس من كلام الله ولا نزل به جبريل ، وجهل أنه كفر صريح يوجب الإرتداد وداوم على جهله حتى سجد وسجدوا في آخر السورة ، ولم يتنبه ثم داوم على جهله حتى نزل عليه جبريل وأمره أن يعرض عليه السورة فقرأها عليه وأعاد الجملتين ، وهو مصر على جهله حتى أنكره عليه جبريل ، ثم أنزل عليه آية تثبت نظير هذا الجهل الشنيع والخطيئة الفضيحة لجميع الأنبياء والمرسلين ﷺ وهي قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، وبذلك يظهر بطلان ما ربما يعتذر دفاعاً عن الحديث بأن ذلك كان سبقاً من لسان دفعةً بتصرف من الشيطان سهواً منه وغلطاً من غير تفتن ! فلا متن الحديث على ما فيه من تفصيل الواقعة ينطبق على هذه المعذرة ، ولا دليل العصمة يجوز مثل هذا السهو والغلط.

على أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان في لسانه ﷺ بإلقاء آية أو آيتين في القرآن الكريم ، لارتفع الأمن عن الكلام الإلهي فكان من الجائز حينئذ أن يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان ، ثم يلقي نفس هذه الآية وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ، الآية ، فيضعه في لسان النبي وذكره فيحسبها من كلام الله الذي نزل به جبريل كما حسب حديث الغرائيق كذلك ، فيكشف بهذا عن بعض ما ألقاه وهو حديث الغرائيق سترأ على سائر ما ألقاه. أو يكون حديث الغرائيق من كلام الله وآية وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ، الخ ، وجميع ما ينافي الوثنية من كلام الشيطان ، ويستتر بما ألقاه من الآية وأبطل من حديث الغرائيق على كثير من إلقاءاته في خلال الآيات القرآنية ، وبذلك يرتفع الاعتماد والوثوق بكتاب الله من كل جهة ، وتلغو الرسالة والدعوة النبوية بالكلية ، جلت ساحة الحق من ذلك). انتهى.

٥- من الحيل اللفظية التي استعملها رواة قريش ، أنهم حاولوا تغطية طعنهم بالنبي ﷺ ، فقالوا إنه ﷺ سجد بعد أن أكمل قراءة سورة النجم ، وكأنه سجد لله وللأصنام معاً !! وهذه بعض نصوصهم:

(فقال: وإنهن لهن الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى ، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله (ص) آخر النجم ، سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك ، ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك ...) .

وفي بعضها: (ألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرائيق العلى، شفاعتهن ترتجى ،

فلما فرغ من السورة سجد ، وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيجة سعيد بن العاص ، فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت فأرادوا أن يقبلوا ، واشتد على رسول الله (ص) وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه ، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي.. الآية). انتهى.
(راجع أيضاً مجمع الزوائد: ٣٢/٦ و: ٧٠/٧).

لكن غاب عنهم أن المشركين كانوا يرفضون السجود لله تعالى كما قال عنهم: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا. فلا بد أن يكون سجودهم على أثر مدحه لآلهتهم ، وهو في الثلث الأول للسورة بعد الآية العشرين منها. وبما أن السورة اثنتان وستون آية ، وسياقها متتابع ، فلا يمكن أن نجمع بين سجود النبي ﷺ والمشركين معاً ، وبين قولهم إنه صبر حتى أكمل السورة فسجد لله تعالى وحده ، أو لله وللأصنام معاً !!

٦- بناءً على قصتهم المزعومة ، لا بد أن يكون النبي ﷺ ترك آيات ذم اللات والعزى ومناة في سورة النجم ولم يقرأها يومئذ ، وهي قبل آيات الغرانيق المزعومة وبعدها ، فكانت جريمته حذف آيات كثيرة واستبدالها بآيات الغرانيق الشيطانية ! فلا يعقل أن يكون زعماء قريش فرحوا وسجدوا عند مدح أصنامهم ، ثم سمعوه يقرأ بقية السورة ، وكلها هجوم كاسح عليهم !؟



٧- ينبغي الإلفات هنا إلى أن اللات والعزى ومناة أسماء مؤنثة ، زعمت قريش أنها ملائكة وأن الملائكة إناث ! وقد ردهم الله تعالى في نفس الآيات:
(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ٢٣١

إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ
يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً
الْأُنثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً.
فَأَعْرَضَ عَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (النجم: ١٩-٢٩)



أما مكان هذه الأصنام الثلاثة ، فقد جاء في لسان العرب: ١١٢/٢: (تقول العرب:
اللات والعزى وأشباهها من الآلهة المؤنثة) ، وفي: ٣٧٨/٥: (اللات صنم كان
لثقيف ، والعزى صنم كان لقريش وبني كنانة).

وفي مجمع البحرين: ١٥١/٤: (اللات والعزى ومناة ، إسم أصنام من حجارة ،
كانت في جوف الكعبة يعبدونها ، فاللات لثقيف وقيل لقريش ، والعزى لغطفان
ومناة لهذيل وخزاعة).

وفي التبيان: ٤٢٧/٩: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَى ، أسماء أصنام
كانت العرب تعبدها ، والعزى كانت تعبدها غطفان ، وهي شجرة سمررة عظيمة ،
واللات صنم كانت ثقيف تعبدها ، ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة
كانو يعبدونها). انتهى.



ويظهر أن هذه الثلاثة كانت مفضلة عند قريش ومعها غيرها من قبائل العرب ،
وأن بعض هذه الأصنام كان خارج مكة ، لكن لها ثلاثة تماثيل عند الكعبة أو
داخلها ، وروي أن الأصنام حول الكعبة وعلى سطحها كانت أكثر من ثلاث مئة ،
وكانت قريش أكثر تمسكاً بالعزى من بينها ! ففي أمالي الطوسي: ٣١٦/١ ، عن ابن
عباس قال: وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شرراً !

لقد كذَّبتموني صادقاً ، وخَوَّتموني أميناً. ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَدَّ الله ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى) !! (ومثله في مجمع الزوائد: ٩١/٦) .

وفي مجمع الزوائد: ٢١/٦: (وعن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، قال وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى ، وما يلتفت إليه رسول الله ! قلت: إنعت لنا رسول الله (ص)، قال: بين بردين أحمرين ، مربوع ، كثير اللحم ، حسن الوجه شديد سواد الشعر ، أبيض شديد البياض ، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). انتهى.

٨- نزلت سورة الإسراء في مكة ، ودلت على أن النبي ﷺ كان يتعرض لضغط المشركين ، وأن الله تعالى ثبته وعصمه من الوقوع تحت تأثيرهم ، ولم تشر إلى أنه كان يتعرض لضغط الشيطان وتأثيره ، قال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَا ذِفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا). (الإسراء: ٧٣-٧٥)

كما أنها تضمنت تهديداً للنبي ﷺ إن هو غير في القرآن وتقول على ربه. وفي المقابل ، تقول قصة الغرائق إن الله لم يثبت نبيه ﷺ وإنه خضع لضغوط قريش ولتأثير الشيطان ، فكفر بعد إيمانه ، ومدح الأصنام ، وافترى على ربه ! فالسؤال: لماذا لم يعاقبه ربه ، ولا أذاقه ضعف الحياة وضعف الممات؟! وهل هذا إلا نقض لمصادقية القرآن واتهام الله تعالى بأنه تراجع عن تهديده؟!

٩- نزلت سورة الحاقة في المدينة المنورة ، وفيها قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ). (الحاقة: ٤٠-٤٧)

فمن حق المسلم في المدينة أن يسأل أين مصداقية هذا الكلام وقد كفر النبي ﷺ وتقول على ربه وافترى عليه أعظم فرية ، وغير في القرآن ومدح الأصنام ، فلم يأخذ منه باليمين ولا قطع منه الوتين ، بل اكتفى بتوبيخه وسامحه وتاب عليه ! بل أعطاه الأجر العظيم الذي يستحقه الأنبياء ﷺ لتوبتهم من كفرهم ومعاصيهم كما يزعم ابن تيمية !!

وهكذا تستوجب قصة الغرانيق مضافاً إلى طعنها بالنبي ﷺ الطعن بالله تعالى وتكذيب العديد من الآيات ، وليس ما ذكرناه إلا نموذجين منها .

١٠- في السيرة والتاريخ عدة مفردات حول اللات والعزى تضيء لنا خلفية الفرية القرشية على النبي ﷺ ، وتكشف أن قبائل قريش تبنت عبادة اللات والعزى في مقابل خط الأحناف من بني إسماعيل ، وحتى في مقابل الكعبة ! وأن عبد المطلب جد النبي ﷺ كان متشدداً في رفض أصنامهم والتمسك بحنيفية إبراهيم عليه السلام . ففي معجم البلدان: ٢٢٦/٣: (وقال أبو المنذر: وكانت قريش قد حمت للعزى شعباً من وادي حراض يقال له سُقام يضاھون به حرم الكعبة) !!

وفي: ١٨٥/٤: (وقيل: الغَبَب: هو الموضع الذي كان يُنحر فيه للات والعزى بالطائف ، وخزانة ما يهدى إليهما بها.... قال أبو المنذر: وكان للعزى منحَر ينحرون فيه هداياهم ، يقال له الغبغب) .

وفي تاريخ دمشق: ٢٣٢/١٦: من حديث خالد بن سعيد بن العاص ، عن أبيه الذي

هو من كبار زعماء قريش ، قالت رواية الغرائق إنه أخذ كفاً من حصي وسجد عليه ، قال خالد للنبي ﷺ: (أي رسول الله ، الحمد لله الذي أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكة ، ولقد كنت أرى أبي يأتي إلى العزى بحترة مائة من الإبل والغنم فيذبحها للعزى ، ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً ! فنظرت إلى ما مات عليه أبي ، وذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ! فقال رسول الله (ص): إن هذا الأمر إلى الله ، فمن يسره للهدى تيسر ، ومن يسره للضلالة كان فيها) .

وذكر الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي ص ٤١ (دارالمعارف المصرية) أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة المعاصر لعبد المطلب ، وهو أعظم ملك وثنى في العرب ، أسر ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنة النصراني في حرب ضروس بين المناذرة والغساسنة ، فذبحه قرباناً للعزى !!

وهو يعطينا ضوءاً على نذر عبد المطلب (رض) إن رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً للكعبة ، أي لرب الكعبة عز وجل ، تعزيزاً لدين جده إبراهيم ﷺ ، ورداً على قريش وعلى عمل المنذر في تعزيزهم مكانة صنم العزى !



ومما يدل على مكانة اللات والعزى عند القرشيين غير بني هاشم ، أن شعارهم في الحرب ، وتعاقدهم ، وقسمهم الرسمي ، كان باسمها:

ففي طبقات ابن سعد: ٤٢/٢: (ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ! وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً ، وولى من ولى منهم يومئذ وثبت رسول الله (ص) ما يزول ، يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا) . انتهى .



كما تعاقدت قريش على قتل النبي ﷺ باسم اللات والعزى ، ففي مستدرک الحاكم ١: ١٦٣ ، وصححه: (عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ

الفصل السابع - البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم ٢٣٥

وهي تبكي فقال: يابنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالي لا أبكي وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك ، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك...الخ).
(ورواه أحمد وصححه الهيثمي في الزوائد: ٢٢٨/ ٨)

○ ○

وقد بقيت عادة القسم باللات والعزى على ألسنة القرشيين حتى بعد إسلامهم! فقد روى ابن ماجه: ٦٧٨/١، أن سعد بن أبي وقاص قال للنبي ﷺ: حلفت باللات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً ، وتعوذ ولا تعد). انتهى. (ورواه أبو داود في: ٩٠/٢ ، والترمذي: ٤٦/٣ وص ٥١ ، والنسائي: ٧/٧ ، وأحمد: ١/١٨٣ و ١٨٦ و ١٨٧/٢ : ٣٠٩ ، والبيهقي: ١/ ١٤٩ و: ٣٠/١٠ ، ومالك في المدونة: ١٠٨/٢ ونحوه البخاري: ٥١/٦ و: ٩٧/٧ وص ١٤٤ وص ٢٢٢ و ٢٢٣ ومسلم: ٨١/٥ وص ٨٢).

○ ○

وبهذا نفهم كره النبي ﷺ لللات والعزى بأنه مضافاً إلى كونه عصمة إلهية ، فهو موروث من أسرته الحنيفية ، وقد انفردت مصادرنا برواية بغض النبي ﷺ لأصنام قريش ، دون مصادرهم ! ففي كمال الدين وتمام النعمة: ١/١٨٤، في خبر بحيرى الراهب: (قال بحيرى: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنها. فغضب رسول الله ﷺ عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومي! فقال بحيرى: هذه واحدة ، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتني ، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثله شئ ، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك ، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه ، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده ، فانكب عليه بحيرى فقبل رجله وقال: يا بني ما أطيب وأطيب ريحك ، يا أكثر النبيين أتباعاً...). انتهى.

○ ○

الفصل الثامن

عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ !

النبي ﷺ معصوم نظرياً ، وأبو بكر وعمر معصومان عملياً !

يقول أتباع المذاهب السنية إن النبي ﷺ معصوم في تبليغ الرسالة فقط ، دون بقية سلوكه العام ، وسلوكه الشخصي ! لكن هذا الكلام نظري فقط ! لأن مصادرهم الصحيحة تزعم أن النبي ﷺ ارتكب أخطاء عديدة في سلوكه الشخصي والعام ، وحتى في تبليغ الرسالة ! وأن بعض أخطائه كان يصححها له جبرئيل عليه السلام ، وبعضها كان يصححها له عمر بن الخطاب فيؤيده الوحي !

أما أهل بيت النبي وعترته ﷺ ، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فهم لا يروون عصمتهم ، ويقولون إن لهم فضائل كما لهم أخطاء ، ولا يعترفون بأنهم معيّنون من الله تعالى أوصياء للنبي ﷺ وأئمة للأمة ، بل يؤولون الآيات والأحاديث التي تدل على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام ، ويجعلون درجة علي عليه السلام رابع الصحابة ، لأنه كان الخليفة الرابع ! وأكثرهم يفضل عليه أبا بكر وعمر وعثمان ، وقد يفضلون عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام... الخ.

فالصحابة عندهم هم الأصل بعد النبي ﷺ والأفضل من جميع أجيال الأمة ، وعنهم يتلقون دينهم ، ولا يهتمون بالرأي المخالف لهم ، بل يعتبرونه خطأً أو انحرافاً عن الإسلام ، حتى لو كان صادراً من أهل بيت النبي ﷺ!

وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم يقرنون الصحابة بالنبي في الصلاة عليه ﷺ، وقد يحذفون منها الصلاة على آل النبي ﷺ، مع أنهم رووا في أصح صحاحهم أن النبي ﷺ علّمهم الصلاة عليه ، وأمرهم أن يقرنوا به آله ﷺ فقط !

مقولة عدالة الصحابة سياجٌ لعصمة أبي بكر وعمر !

وعندما تراهم أو تسمعهم يقولون (الصحابة) ، فلا تتصور أنهم يقصدون المئة ألف شخص وأكثر ، الذين رأوا النبي ﷺ وأطلقوا عليهم إسم (الصحابة) ! بل عليك أن تعرف باطن كلامهم وأنهم لا يقصدون إلا أربعة رجال منهم فقط: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ومن وافقهم ، ومعهم امرأتان: عائشة وحفصة ، ومن وافقهما ! ولا يُدخلون معهم حتى أهل بيت النبوة علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ، مع أنهم أهل بيت وصحابة !

فباقي الصحابة إنما يقبلونهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة ، ولا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا الستة ، بل لا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا عمر وحده !



ولا يقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة. لكن ما قيمة الكلام النظري وهم عملياً يقولون بعصمتهم كمجموع ، بل بعصمة عمر وأبي بكر خاصة ، والدليل البسيط على ذلك أنهم لا يقبلون أن يوجه اليهما أي نقد ! ويصححون أفعالهما وأقوالهما بكل وسيلة حتى في مقابل النبي ﷺ !

بل يغالون فيحكمون بضلال من يتتقدّهما ، أو بكفره !



يشعر أتباع الخلافة القرشية بأنهم مجبورون على القول بعصمة الشيخين ! لأن عدالة الصحابة لا تكفيهم لإثبات قداستهما ، لأنها سيف ذو حدين !

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٤١

كما أن حديث (أصحابي كالنجوم) الذي يحتج به علماؤهم في علومهم المختلفة ، رغم تضعيفهم له ، سيف ذو حدين ! إذ يكفي بموجبه أن يقتدي المسلم بأي صحابي ويأخذ منه دينه وخطه السياسي ، لأنه نجم رباني جعله الله دليلاً لعباده ! فيحق للمسلم أن يرفض خلافة قريش وخلفائها ، ويقتدي بالذين رفضوا سقيفتها واتهموا أبا بكر وعمر بالخيانة ، ولم يبايعوهما إلا مجبرين ، كسعد بن عباد ، فهو صحابي وزعيم أنصار الله ورسوله ﷺ ، وأهل بيت النبي ﷺ فهم صحابة وعتره ! لكن هذا نقض لغرضهم في تربية الناس على تقديس الشيخين أبي بكر وعمر !

إنهم لا يريدون عدالة الصحابة من أجل ذاتها ، ولا من أجل الصحابة ، بل من أجل عصمة أبي بكر وعمر بالخصوص ، ولا كرامة لمن خالفهما ! فكل ما تراه من تأكيدهم على عدالة الصحابة ، إنما هو تمهيد وسياج لعقيدة عصمة عمر وأبي بكر ليس إلا !

اضطراهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر وبيعة الرضوان !

بعد أن أعطوا كل الصحابة صفة العدالة ، وهم أكثر من مئة ألف ، وهو أمر غير معقول ، قاموا بخطوة في تحديد السياج الذي أرادوه لأبي بكر وعمر ، فضيقوا الدائرة وقالوا إن مقصودنا بالصحابة العدول المشهود لهم بالجنة ، وهم أهل بدر وأهل بيعة الشجرة ، وعددهم ألف وأربع مئة كما في البخاري !

قال البخاري في: ٦٢/٥: (عن البراء.... كنا مع النبي (ص) أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فترحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي (ص) فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ، ثم مضمض ودعا ، ثم صبه فيها ،

فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). انتهى.

وروى في: ٦٣/٥ ، عن ابن أبي أوفى أنهم ألف وثلاث مئة. وروى في: ١٩/٤ ، أن النبي ﷺ قال في قصة حاطب بن بلتعة ، الذي خان المسلمين وكتب إلى المشركين بأنهم ينوون غزو مكة: (إنه شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ! وكرره في: ٣٨/٤ ، و٣٩ ، وفي: ٨٩/٥ ، وفي: ٦٠/٦ ، و: ١٣٤/٧ ، و: ٥٥/٨ .

وروى في: ١٠/٥ : (فقال أليس من أهل بدر ؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) ، ونحوه في: ٩٧/٧ .
وصححو حديث مسلم: ١٦٩/٧ ، في قصة حاطب أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها). وروى مسلم أن حفصة اعترضت فنهرها النبي ﷺ ، و(أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ! فقال رسول الله (ص): كذبت لا يدخلها ، فإنه شهد بدرًا والحديبية). انتهى.

وبهذا ضيقوا دائرة الصحابة إلى نحو ألف وخمس مئة ، لأن أهل بدر ضمن أهل الحديبية ، ورفعوا علمًا لذلك آية: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ١٨) وجعلوها شعارًا ودثارًا في الدفاع عنهم ، لكنه دفاع بالمحال ، لأن هذه الآية كغيرها من الآيات متحفظة جدًا ، ولا إطلاق فيها ، لا في الأشخاص ، ولا في الزمان ! فلو كان مقصوده عز وجل الإطلاق لما قيدها بقيدتين فاستعمل كلمة (المؤمنين) وكلمة (إذ) ولقال: لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة ! فلما لم يقل ذلك وقال: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ.. فمعناه وجود غير مؤمنين

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٤٣

فيهم ، وأن رضاه عن المؤمنين منهم محدود بظرف (إذ) وهو زمن البيعة !
لكنهم اتخذوا قراراً بالدفاع عن هذا السياج ، لأن النيل من أهل بدر والحديبية
يعني انهيار آخر خطوط الدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان !
كما تراهم عندما يحتاج الأمر يوسعون السياج ، كما فعلوا في مواجهة حملة
المسلمين على يزيد بن معاوية: قال التفتازاني في شرح المقاصد: ٣١٠/٥:
(فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد ، مع علمهم بأنه
يستحق ما يربو على ذلك ويزيد .

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى ، كما هو شعار الروافض ، على
ما يروى في أدعيتهم ، ويجري في أنديتهم ، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع
العوام بالكلية ، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد . انتهى .
فهذا التوسيع قانون من السلطة وعلمائها له قوة الدين ! (فرأى المعتنون بأمر الدين
إجماع العوام بالكلية) !

عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء ﷺ

قال البخاري في صحيحه: ٩٦/٤: (استأذن عمر على رسول الله (ص) وعنده نساء
من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يتدرن
الحجاب ، فأذن له رسول الله (ص) ورسول الله يضحك ، فقال عمر: أضحك الله
سنة يا رسول الله؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي فلما سمعن صوتك
ابتدرن الحجاب ! قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبنَ ، ثم قال: أي
عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من
رسول الله (ص) ! قال رسول الله (ص): والذي نفسي بيده مالميك الشيطان قط
سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك). (وكرره البخاري في: ١٩٩/٤ و: ٩٣/٧) .

وما دام النبي ﷺ أخبر عن ربه بفرار الشيطان من عمر وعدم تأثيره عليه ، فهو معصومٌ من كل أنواع الذنوب ! بل هو أفضل من النبي ﷺ ! لأنهم رَووا أن شيطان النبي ﷺ معه لا يهرب منه ، وأنه خاض معه صراعاً فأعانه الله عليه !!

قال النووي في شرح مسلم: ١٦٥/١٥: (الفج الطريق الواسع، ويطلق أيضاً على المكان المنخرق بين الجبلين. وهذا الحديث محمولٌ على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجاً هرب هيبة من عمر ، وفارق ذلك الفج وذهب في فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً ! قال القاضي: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشيطان وإغوائه منه ، وأن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد ، خلاف ما يأمر به الشيطان. والصحيح الأول). (والديباج: ٣٨٠/٥).

وقال ابن حجر في فتح الباري: ٣٨/٧: (قوله: إلا سلك فجاً غير فجك. فيه فضيلة عظيمة لعمر ، تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه ، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة ، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته .

فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة ، لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له ، فيمكن أن يكون حُفَظَ من الشيطان ، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له ، لأنها في حق النبي واجبة ، وفي حق غيره ممكنة .

ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ أن الشيطان لا يلقي عمر منذ أسلم إلا خراً لوجهه ، وهذا دل على صلابته في الدين ، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض). ثم نقل كلام النووي ، وفي آخره: (والأول أولى ، بدل: والصحيح الأول)! انتهى. وهو تحريف من أجل التخفيف !

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٤٥

لقد رأى ابن حجر أن حديث البخاري يجعل عمر معصوماً بدرجة فوق درجة عصمة النبي ﷺ! فأراد أن يخفف من وقعه فزعم أن ذلك لا يستلزم العصمة ، وأن فرار الشيطان منه لا يمنع أنه يحاول الوسوسة له من بعيد بعيد وهو هارب منه! ثم اعترف بأن فراره منه ينفي إمكانية وسوسته أصلاً ، وقد روى هو وقبله أن الشيطان يخرُّ لوجهه إذا لقي عمر! ومع ذلك تحايل في التأويل وقال هي عصمة جائزة وعصمة النبي ﷺ واجبة !

وليس ذلك إلا تلاعباً بالألفاظ من أجل عمر ، فالعصمة الجائزة أو المستحبة التي اخترعوها عصمةً أكمل وأفضل من عصمة النبي ﷺ لأن الشيطان يفر من صاحبها ويخر لوجهه من رؤيته ، بينما لا يفر من النبي ﷺ ولا يخر على وجهه !! فهل رأيت كيف عَصَرَ علماء الخلافة القرشية أدمغتهم من أجل عمر ، فجعلوا النبوة قسمين: نبوة واجبة على الله تعالى للنبي ﷺ ، ونبوة ممكنة قررها الله تعالى لعمر فوصل اليه مضمونها ، وكادت تصل رسمياً: (لو كان بعدي نبي لكان عمر) ! وجعلوا العصمة قسمين: عصمة واجبة على الله للنبي ﷺ ، وعصمة ممكنة أو مستحبة لله لعمر ، وقالوا إن الله تعالى أتقن عمله المستحب أكثر من عمله الواجب فتدخل لمصلحة عمر وخصه بأن الشيطان يهرب منه ويخرُّ لوجهه إذا لقيه ، ولم يتدخل لمصلحة خاتم انبيائه وسيد رسله ﷺ بل تركه يغالب شيطان وسلطه عليه حتى في صلاته !

قال ابن القيم في زاد المعاد: ٢٦٨/١: (والصحيح عن النبي (ص) أنه كان يشير في صلاته ، رواه أنس وجابر وغيرهما. وكان (ص) يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فإذا سجد غمزها بيده فقبضت رجلها وإذا قام بسطتها . وكان (ص) يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته ، فأخذه فخنقه حتى سال

لعابه على يده). انتهى.

وأفتى به سيد سابق في فقه السنة وهو كتاب موجه لأهل المذاهب الأربعة: ٢٦٥/١ وصححه محمد ناصر الألباني في تمام المنة ص ٣٠٤ ، فقال: (وقد صح أن الشيطان أراد أن يفسد على النبي (ص) صلاته ، فمكنه الله منه وخنقه ، حتى وجد برد لعابه بين إصبعيه ، وقال: والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به أهل المدينة. والقصة في مسلم: ٧٣/٢ ، وعبد الرزاق: ٢٤/٢ (٢٣٣٨) ، وأحمد: ٤١٣/١ و ٨٢/٣ و ١٠٤/٥ و ١٠٥ ، والطبراني في الكبير: ٢٢٤/٢ و ٢٢٧ و ٢٥١ ، عن غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة. أنظر صفة الصلاة (٧٤). انتهى .

وفي هذه الأحاديث المزعومة فضيلة لسليمان عليه السلام وأن الله تعالى جعل الشيطان طليقاً بدعوته ، فمنع نبيه ﷺ من القبض عليه وتحويله إلى لعبة لصبيان المدينة ! ولعل هذه الكرامة لسليمان عليه السلام لأنه نبي اليهود !



ومن محاولاتهم في تهدئة خواطر المسلمين لتفضيل عمر على النبي ﷺ ، ما نقله الصالحى وارتضاه ، قال في سبل الهدى: ٢٧٥/١١: (قال الكرمانى: إن قلت: يلزم أن يكون أفضل من أيوب ونحوه ، إذ قال: مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ؟ قلت: لا ، إذ التركيب لا يدل إلا على الزمن الماضي ، وذلك أيضاً مخصوص بحال الإسلام فليس على ظاهره ، وأيضاً هو مقيد بحال سلوك الطريق ، فجاز أن يلقاه على غير تلك الحالة. وقال القاضي عياض: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشيطان وأعوانه من عمر ، وأنه لا سبيل له عليه ، أي إنك إذا سلكت في أمر بمعروف أو نهى عن منكر تنفذ فيه ولا تتركه ، فليس للشيطان أن يوسوس فيه فيتركه ، ويسلك غيره ، وليس المراد بالطريق على الحقيقة، لأنه تعالى قال: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٤٧

لَا تَرَوْهُمْ فَلَا يَخَافُهُ إِذَا لَقِيَهِ فِي فِجْ ، لَأَنَّهُ لَا يَرَاهُ. انتهى .

يقصد الكرمانى وعياض أن حديث فرار الشيطان من عمر لا يجعله أفضل من نبي الله أيوب عليه السلام الذي مسه الشيطان ! لأن الحديث لا يشمل مرحلة عبادة عمر للأصنام وهي أكثر من أربعين سنة ! ولا يشمل عمر إذا لم يسلك طريقاً ، ففرار الشيطان منه محدود في الزمان وفي الحالة ! ففيه فتحة لأن يكون أيوب أفضل منه ! وهو جواب هزيل كما ترى ، لأن عصمة عمر قبل الإسلام ليست محل بحث ، وحديثهم المدعى ليس فيه حصر فرار الشيطان منه في حالة سلوكه فجاً ، بل فيه إطلاق لكل حالات عمر ، بل هو يخرّ على وجهه بزعمهم بمجرد رؤيته ! وهذا كله لعب بالألفاظ ، فلو قلنا لمن يريد حصر فرار الشيطان منهم بسلوك عمر فجاً: هل تقبل بأن الشيطان يمس عمر إذا لم يسلك فجاً ؟ لقامت قيامته!



من ناحية أخرى فإن عياضاً أو غيره عندما يقولون إن فرار الشيطان من عمر محصور بما إذا سلك فجاً بأمر بمعروف أو نهى عن منكر ، فماذا يقولون من سلوكه لم تشمله العصمة ؟! بل ماذا يقولون للأنبياء عليهم السلام من سلوك يتميزون به على عمر ، وجل سلوكهم أو كُله عبارة عن أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وفي كله لا يهرب منهم الشيطان كما يهرب من عمر !

إنها محاولات تهدئة وتغطية ، عن عمد ، وأحياناً عن سذاجة وبلادة ، حتى لا يصرخ المسلم: ماذا فعلتم بهذا الحديث؟! لقد طعنتم في أنبياء الله جميعاً عليهم السلام وصادرتم نبوتهم ، ورفعتم درجة عمر فوق درجتهم عليهم السلام !!



المشكلة أنهم اخترعوا حديثاً يفضل عمر على نبي الله ﷺ وجميع الأنبياء عليهم السلام ورأوا أنهم تورطوا فيه ! فأخذوا يتكلفون لغرض تحديده وتقليصه بقدر يريدونه

باللعب بالألفاظ ، ليجعلوا عمر بعد الأنبياء ﷺ مباشرة !

وكيف يمكنهم ذلك وقد فسروا قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ). (الحج: ٥٢)

فسروه بالأمنية في القلب لا في تحققها في الخارج كما نفسره نحن؟!!

قالوا إن الشيطان يمس جميع الأنبياء ﷺ ويتسلط عليهم جزئياً حتى في تبليغهم لرسالة ربهم ! ولا شك أن الذي يهرب منه الشيطان ويخرُّ على وجهه إذا شاهده ،

أفضل من جميع الأنبياء ﷺ الذين يمسهم ويلقي في قلوبهم الكفر والمعصية !

أما نحن فنقول حاشا لله أن يسلم الشيطان على قلوب أنبيائه وأذهانهم ﷺ ،

وليس معنى (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أنه يلقي في قلب النبي وتفكيره ،

بل يلقي في أذهان الناس في الأمر الذي تتحقق به أمنية النبي ﷺ ! فالأمنية هنا

بمعناها الخارجي العملي وليس الذهني !

النبي ﷺ عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه !

روى القرشيون عن النبي المصطفى المظلوم ﷺ أن شيطانه قويٌّ لا يهرب منه

إذا رآه ، بل يرافقه دائماً ولا يخاف منه ، بل يأتيه بصورة جبرئيل ويؤثر عليه !

وقد رأيت اختراعهم فرية الغرائيق عليه ﷺ وأن الشيطان تسلطَ عليه حتى كفرَ

معاذ الله ، وغيرَ نصِّ القرآن المنزل عليه ، ومدح أصنام قريش بأنها الغرائيق العلى

أي الطيور المحلقة في السماء ، وسجد لها !

قال العلامة مرتضى في الصحيح من السيرة: ٣٠٥/٢: (ومن الطعن في النبوة أيضاً....

قولهم: إنه قد كان للنبي (ص) عدو من شياطين الجن يسمى الأبيض، كان يأتيه

في صورة جبرئيل ، ولعله هو الشيطان الذي أعانه الله عليه فأسلم كما يقولون.

(السيرة الحلبية: ٢٥٣/١ ، راجع: إحياء علوم الدين: ١٧١/٣ وفي هامشه عن مسلم ، والغدير: ٩١/١١ عنه ،

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٤٩

والمواهب اللدنية: ٢٠٢/١ ، ومشكل الآثار: ٣٠/١ ، وحياة الصحابة: ٧١٢ / ٢ عن مسلم وعن المشكاة ص ٢٨٠
والمحجة البيضاء: ٣٠٣/٣٠٢/ ٥.

وشيطانه هذا الذي أسلم ، كان يجري منه مجرى الدم. (مشكل الآثار: ٣٠/١).

وكان يدعو الله بأن يُخسئَ شيطانه ، فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك !
ورووا أنه عرض للنبي ﷺ في صلاته قال: فأخذتُ بحلقه فخنقته ، فإني لأجد
برَدَ لسانه على ظهر كفي ! (مسند أبي يعلى: ٥٠٦/١ و ٣٦٠ و مسند أبي عوانة: ١٤٣/٢ والسنن
الكبرى: ٢٦٤/٢ و مسند أحمد: ٢٩٨/٢ وأخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ، وثمة مصادر كثيرة
أخرى وراجع الغدير: ٩٥/٨).

ويروون أيضاً أنه ﷺ قد صلى بهم الفجر فجعل يهوي بيديه قدامه ، وهو في
الصلاة ، وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار ليفتنه عن الصلاة ! (
المصنف: ٢٤/٢ ، وراجع: البخاري ط. سنة ١٣٧/١٣٠٩ ، و: ١٤٣/٢).

ونقول: ونحن لانشك في أن هذا كله من وضع أعداء الدين ، بهدف فسخ
المجال أمام التشكيك في النبوة وفي الدين الحق....

وقد أخذه بعض المسلمين لربما بسلامة نية وحسن طوية ، وبلا تدبر أو تأمل ،
سامحهم الله وعفا عنهم. والغريب في الأمر أننا نجدهم في مقابل ذلك يروون
عنه ﷺ قوله لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك
فجاً غير فجك!....!). انتهى. وقد تقدم تصحيح ابن القيم والألباني لذلك !



ومن تخط علمائهم في ترقيع تفضيلهم عمر على النبي ﷺ! ما قاله الصالحي في
سبل الهدى والرشاد: ٥٠٧/١:

(المحفوظ: إسم مفعول من الحفظ ، وسمي به لأنه محفوظٌ من الشيطان. روى
البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لي فشد
عليّ ليقطع الصلاة عليّ فأمكنني الله منه. وفيه دليل على حفظه منه.

فإن قيل: لم سُلِّطَ عليه الشيطان أولاً، وهلاً كان إذا سلك طريقاً هربَ الشيطان منه كما وقع لعمر بن الخطاب ، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن النبي قال لعمر: مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره.

الجواب: أنه لما كان رسول الله (ص) معصوماً من الشيطان ومكره ، ومحفوظاً من كيدِه وغدره ، آمناً من وسواسه وشره ، كان اجتماعه به وهربه منه سيان في حقه (ص). ولما لم يبلغ عمر هذه الرتبة العلية والمنزلة السنية ، كان هرب الشيطان منه أولى في حقه ، وأيقن لزيادة حفظه ، وأمكن لدفع شره ! على أنه يجوز أن يحمل الشيطان الذي كان يهرب من عمر غير قرينه ، أما قرينه فكان لا يهرب منه ، بل لا يفارقه لأنه وكل به . انتهى.

وقد وصفناه بالتخبط ، لأن النبي ﷺ عندهم غير محفوظ من الشيطان ، ويكفي أن تقرأ تفسيرهم لقوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) وإصرارهم على أن الأمانة هي قلب النبي ﷺ ، وليست ما تحقق في الخارج كما نفسرها نحن ! ثانياً ، إنهم بهذا اللعب بالألفاظ لم يفعلوا شيئاً ، فما داموا يقبلون أن الشيطان يهرب من عمر دون النبي ﷺ فلن يستطيعوا أن يرتقوا ما فتقوه ! بل هم بذلك ينفون الحكمة والعصمة عن الله تعالى ، حيث عصم عمر التابع ، بأفضل وأقوى مما عصم به النبي المتبوع ﷺ !

ثالثاً ، لعل الصالحي رأى أنه لا يستطيع أن يجعل مقام النبي ﷺ أعلى قليلاً من مقام عمر أو مساوياً له ، فطرح احتمال أن يكون الشيطان الذي يهرب من عمر غير الشيطان العام الذي هو القرين ! وهو احتمال هوائي كثيراً ما يلجأ اليه علماء الحكومة القرشية في ورطاتهم ، فإن لفظ الشيطان المستعمل في حديثهم المزعوم ، والذي يهرب من عمر ، هو نفس لفظه المستعمل في أنه تسلط على

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٥١

النبي ﷺ ، فالمتبادر منهما واحد! ولا قرينة ولا دليل على أن الشيطان الذي يهرب منه شيطان فرعي! وأن الأصلي لا يهرب منه بل يمسه!
والنتيجة: أنه لا طريق لهم إلا أن يعترفوا بكذب (حديثهم) المزعوم ويفروا ويفروا منه كفرار الشيطان المزعوم من عمر! ولكنهم لا يفعلون لأنه منقبة لعمر ، رواها الشيخان ، ومن أوجب الواجبات على الأمة أن تعتقد بمناقب عمر العظيمة حتى لو كانت تفضله على أنبياء الله تعالى جميعاً ﷺ!
ولك الله يا رسول الله! فقد بخلوا عليك حتى بأن يساووك بعمر!

وزعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر!

ولم يكتفوا بمقولة إن الشيطان يهرب من عمر ويخر لوجهه خوفاً منه!
بل وضعوا حديث إن (الحق) ينطق على لسان عمر ، أي إن الله تعالى ينطق على لسانه! وذلك في مقابل قوله تعالى عن نبيه ﷺ: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ!
(قال في فتح الباري: ٣٩٧/٩: ولقد كان الحق ينطق على لسان عمر)!
ولما رأوا ذلك غلواً واضحاً خففوه فقالوا: إن الله جعل الحق على لسانه! ولكنه بنفس المعنى ، لأن قصدهم منه ومن الذي قبله: الإستمرار والشمول!
ومن سوء توفيقهم أنهم عندما يتحدثون عن النبي ﷺ يميّعون الآية الصريحة في عصمته ﷺ وهي قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) فيكابدون أمام صراحتها في عصمته منطقة الشاملة ، واستلزامها عصمة فعله الشاملة ﷺ ، ويردونها بادعاء عشرات الأخطاء للنبي ﷺ في سلوكه الشخصي والعام ، وحتى في التبليغ!

فإذا وصل الحديث إلى عمر وضعوا له مقابل آية عصمة النبي ﷺ حديثاً فزعموا أن الحق ينطق على لسانه! وتفاخروا به ولم يثبتوا له أخطاء ومعاصي ،

بل تراهم يهاجمون من يذكر له أخطاء ومعاصي ، وقد يكفرونه !
واعجب إن شئت من حجتهم في ذلك بأن عمر والصحابة أمناء النبي ﷺ على
تبليغ الدين للأجيال ، فالطعن فيهم طعن في الدين ! فيجعلون حصانة الوكيل
أعظم من حصانة الأصيل ﷺ؟ هذا لو صحت وكالة الصحابة التي زعموها !
ويجعلون القول بخطأ المبلغ الوكيل حراماً وطعناً في الدين ، بينما القول بخطأ
الأصيل ﷺ حلالاً وليس طعناً في الدين ؟!

وزعموا أن الملائكة ﷺ تحدث عمر !

كما وضعوا في مقابل تحديث الملائكة للنبي وآله ﷺ الأطهار ، أن الملائكة
تحدث عمر ! وقد تقدم ذلك في كلام الغزالي ، ورواه البخاري وغيره !
قال السيوطي في الخصائص: ٢/٢١٩: (باب إخباره بأن عمر من المحدثين. أخرج
الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله: كان في الأمم محدثون فإن يكن في
أمتي أحد فعمر. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: قال
رسول الله: إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته محدثون ، وإن يكن في أمتي
أحد فهو عمر قالوا: يا رسول الله كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه).
وقال ابن حجر في شرحه للبخاري: ٧/٤٠: (قوله: محدثون ، بفتح الدال جمع
محدث ، واختلف في تأويله فقليل: ملهم ، قاله الأكثر ، قالوا: المحدث بالفتح هو
الرجل الصادق الظن وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى ، فيكون
كالذي حدثه غيره به ، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري.

وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلم أي تكلمه
الملائكة بغير نبوة. وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ولفظه: قيل
يا رسول الله وكيف يحدث قال تتكلم الملائكة على لسانه. رويناه في فوائد

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٥٣

الجوهري ، وحكاة القابسي وآخرون. ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الأول أي تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلماً في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام).

وقال ابن تيمية في الرد على المنطقيين ص ٥١٣: (فأما درجة السابقين الأولين كأبي بكر وعمر فتلك لا يبلغها أحد! وقد ثبت في الصحيحين عن النبي (ص) أنه قال: قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر ، وفي حديث آخر: إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه. وقال علي: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وفي الترمذي وغيره: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر ، ولو كان بعدي نبي ينتظر لكان عمر).

وقال في منهاجه: ٧٥/٦ (وكلام عمر رضي الله عنه من أجمع الكلام وأكمله ، فإنه ملهم محدث! كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً!) انتهى .

فقد وصلوا في كلام عمر إلى درجة كلام النبي ﷺ ، وصار عمر لا ينطق عن الهوى إن هو إلا حديث الملائكة! والفرق بينهما أن النبي ﷺ مع ذلك قد يخطئ فيصح له عمر ، أما عمر فلا يخطئ!

ألفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية!

افتروا على النبي ﷺ أنه كان يخطئ وكان عمر يصحح له أخطاءه ويسدده وأنه كان يختلف مع النبي ﷺ في الأمر فيوافقه الله تعالى وينزل الوحي طبق رأي عمر! وسموا ذلك موافقات عمر ، وقد بحثناها في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال: ٢/مسألة ١٤٤) ، وقلنا هناك ما مضمونه: إن الوضع الطبيعي للعلاقة بين النبي ﷺ وعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبي متبوع مُطاع ، لكن الثابت أن عمر كان كثير الاعتراض على النبي ﷺ! والتفسير الصحيح لذلك أنه

خطأ من عمر ، وأن الإعتراض على رسول الله ﷺ معصية أو رد عليه وكلاهما أمر كبير لأنه ﷺ كما قال الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

لكن عمر ومجبيه خرجوا عن المألوف ، وفسروا اعتراضات عمر بأنه كان دائماً مصيباً ، بينما كان النبي ﷺ يقع في الخطأ ! وأن الوحي كان ينزل مؤيداً لرأي عمر منتقداً لرأي النبي ﷺ ، بل كان أحياناً يوبّخ النبي ﷺ ، معاذ الله !!

فكان النبي ﷺ عندهم رجلاً ساذجاً ، يقع في أخطاء فيصححها له عمر ! وكان المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل ، ولو بالطعن في شخصية النبي ﷺ ! وقد ألفوا في هذا الطعن المغطى به ﷺ كتباً ونظموا أراجيز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأي عمر ، ولو بتخطئة رأي النبي ﷺ !!

ففي الأعلام: ٦٣/٢: (أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسني الجراعي الدمشقي... له.... نفائس الدرر في موافقات عمر) .

وفي: ٣٠١/٣: (الجلال السيوطي) (٨٤٩-٩١١) ، وعدّ من مؤلفاته: قطف الثمر في موافقات عمر) . وكذا في كشف الظنون: ١٣٥٣/٢ .

وفي: ٣٠٢/٥: (....٩٣٧هـ) محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البليسي ... صنّف: شرح نظم الدرر في موافقات عمر للبدر الغزي) .

وفي: ٤٤/٧: (محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبي حفص سراج الدين عمر ، من علماء حلب ، ولي قضاءها مرات ، واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها... الموافقات العمرية للقرآن الشريف) .

وفي معجم المؤلفين: ٢٢/٢: (أحمد بن النقيب) (٧٧١-٨١٦ هـ) أحمد بن علي بن محمد المقدسي... له الموافقات التي وقعت في القرآن لعمر بن الخطاب) .

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٥٥

وفي إيضاح المكنون: ٤٤٧/١: (الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب ، لحامد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحيم العمادي ، المفتي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١١٧١).

وفي: ٦٥٨/٢: (نظم الدرر في موافقات عمر ، أعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبدر الدين محمد بن محمد الغزي) .

وفي هدية العارفين: ٤٩٧/١: (ابن البدر الخطيب عبد الباقي بن عبدا لباقي بن عبد القادر بن عبدا لباقي بن إبراهيم بن عمر البعلي الدمشقي.... ولد سنة ١٠٠٥ وتوفي في ذي الحجة من سنة ١٠٧١. من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للبخاري لم يكمل. اقتطاف الثمر في موافقات عمر) .

وفي: ٢٣٣/٢: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزي... توفي سنة ٩٣٥.... من تصانيفه... شرح نظم الدرر في موافقات عمر... نظم الدرر في موافقات عمر). انتهى.

قال ابن حجر في فتح الباري: ٢٠٠/١: (وروى البزار باسناد حسن ، من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة أن النبي (ص) أذن لمعاذ في التبشير ، فلقه عمر فقال: لا تعجل ، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأياً ، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها ! قال: فَرَدَّه ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر ، وفيه جواز الإجتهاـد بحضرته (ص) !!

وقال في فتح الباري: ٤٢/٧: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ، ولا محدث. والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها) !! وفي تحفة الأحوذى: ١٢٥/١٠: (فإن يك في أمتي أحد) أي من المحدثين (فعمر بن

الخطاب) وفي بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب ، والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ، ووقع له بعد النبي (ص) عدة إصابات . انتهى.

وقال الصالحى في سبل الهدى والرشاد: ١٩٧/٣: (عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض علينا الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا ننزى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بيهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف...

وقوله: على بيعة النساء ، يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة ، وليس هذا بعجيب ، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب . انتهى .

وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ٨٥٩/٣: (موافقاته رضي الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر) ! (ورواه أحمد: ٩٥/٢ ، والترمذي: ٢٨٠/٥ ، وروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) !

ثم ذكر ابن شبة عدداً من موافقات الله تعالى لعمر ، بعضها واضح الكذب ، وبعضها محرف ، وفي بعضها تخطئة صريحة للنبي ﷺ !

الى آخر إفراطهم وغلوهم في عمر ، الذي هو طعن في النبي ﷺ لا محالة ! في مأساة حقيقية للإسلام ، صنعتها قريش من أجل عمر ، وربت عليها الأجيال !

واخترع الذهبي قاعدة خاصة لعصمة عمر وأبي بكر !

شمس الدين الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسي) من كبار أئمتهم ، معروف بكثرة مؤلفاته ، وبتشدده في النقد الرجالي والحديثي ، لكنه لم

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٥٧

يملك نفسه في حب عمر وأبي بكر ، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء ﷺ بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبي ﷺ وعمر الفاروق ، لأنه حاكم عادل !

قال في كتابه (الموقظة في علم مصطلح الحديث) ص ٨٤ ، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد ، والمعتدل ، والمتساهل ، قال ما نصه: (والعصمة للأنبياء ﷺ ، والصديقين ، وحكام القسط) !! انتهى.

وبذلك أضاف الذهبي من جيبه إلى الأنبياء ﷺ نوعين: الأول ، الصديقين ليثبت العصمة لأبي بكر. والثاني، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل !

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة ، لأنهم لا يقولون بعصمة كل صديق ، ولا كل حاكم عادل ، وإلا لزم أن يقولوا بعصمة كسرى الذي روى أن النبي ﷺ قال فيه (ولدت في زمن الملك العادل) ! والذهبي نفسه أعطى وصف الملك العادل لمجموعة سلاطين تراكمة وشراكسة مع أنه لا يثبت لهم العصمة ، وفيهم رافضي قوي الرفض على حد قوله، هو رزيك بن طلائع بن رزيك سلطان مصر! قال في أعلام النبلاء: ٢٠٨/١٥: (وولي مكانه (طلائع) ولده الملك العادل رزيك وكان مليح النظم ، قوي الرفض ، جواداً شجاعاً ، يناظر على الإمامة والقدر)!

كما وصف: تُقَاق بن سلجوق التركماني بأنه الملك العادل (أعلام النبلاء: ٢٤٣/١٨) وكذلك وصف ألب أرسلان (٤١٤/١٨)، ونور الدين حاكم الموصل (١٩٠/٢٠)، وعلي بن السلار الكردي (٢٨١/٢٠) ، وأبا بكر بن أيوب الأيوبي (١٨٤/٢٣) ، وطومباي الأول (تذكرة الحفاظ ص ٧) ، وغيرهم ممن لا يراهم معصومين ! فهو إذن يقصد بحكام القسط والعدل عمر وحده !

وغيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر وأبي بكر !

اخترعوا للعصمة اسم (الحفظ من الذنوب) ليخففوا على المسلمين تنقيصهم لمقام نبيهم ﷺ ويستعملوها لأبي بكر وعمر ، كما رأيت أنهم اخترعوا تقسيمها إلى عصمة واجبة للأنبياء ﷺ وجائزة مستحبة لأبي بكر وعمر !

قال ابن نجيم المصري في البحر الرائق: ٨٠/١: (ثبت عن رسول الله (ص) رسالةً ومسنداً: بينما رسول الله (ص) يصلي بالناس إذ دخل رجل فتردى في حفرة وكان في بصره ضرر، فضحك كثير من القوم وهو في الصلاة ، فأمر رسول الله (ص) من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة. وتمامه في فتح القدير. وما قيل بأنه لا يظن الضحك بالصحابة خلفه قهقهة ، أجيب عنه بأنه كان يصلي خلفه الصحابيون والمنافقون والأعراب الجهال ، فالضاحك لعله كان بعض الأحداث أو المنافقين ، أو بعض الأعراب لغلبة الجهل عليهم ، كما بال أعرابي في مسجد النبي (ص). وهو نظير قوله تعالى: (وتركوك قائماً) فإنه لم يتركه كبار الصحابة باللهو. قال في العناية: وهذا من باب حسن الظن بهم رضي الله عنهم ، وإلا فليس الضحك كبيرة ، وهم ليسوا من الصغائر بمعصومين ولا عن الكبائر ، على تقدير كونه كبيرة. اهـ والمنقول في الأصول أن الصحابة عدول فهم محفوظون من المعاصي) !! انتهى.

وقال ابن حجر في فتح الباري: ٢٤٤/١: (قال ابن بن المنذر... وتمسكوا بحديث لا يصح ، وحاشا أصحاب رسول الله (ص) الذين هم خير القرون أن يضحكوا بين يدي الله تعالى خلف رسول الله (ص)). انتهى .

فاعجب لهم كيف تجاهلوا قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وتجاهلوا الأحاديث المستفيضة التي تقول إن الصحابة قطعوا صلاتهم وتركوا الصلاة وأبا

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٥٩

الصلاة ، ولم يبق مع النبي ﷺ في المسجد إلا بضع عشرة ، أوبضعة نفر !
ومع ذلك تراهم يقولون: حاشا أصحاب رسول الله (ص) خير القرون أن
يضحكوا بين يدي الله تعالى ، فهم محفوظون من المعاصي !!

ومن لعبهم بالألفاظ وادعائهم الأدب مع النبي ﷺ!

قولهم في تحفة الأحوزي في شرح الترمذي: ٤٨١/٢ ، في شرح دعاء النبي ﷺ
بالسلامة من كل إثم: (قال العراقي: فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب ، وقد
أنكر بعضهم جواز ذلك ، إذ العصمة إنما هي للأنبياء والملائكة ﷺ).
قال والجواب: أنها في حق الأنبياء والملائكة واجبة ، وفي حق غيرهم جائزة ،
وسؤال الجائر جائز ، إلا أن الأدب سؤال الحفظ في حقنا لا العصمة ، وقد يكون
هذا هو المراد هنا). انتهى.

يقصد بذلك أنه ينبغي للمسلم لزوم الأدب مع رسول الله ﷺ وحفظ مقام
العصمة الخاص به ﷺ ، فلا يدعو لنفسه بالعصمة من الذنوب بل بالحفظ منها.
وظاهره حسن أدب مع النبي ﷺ ، لكنهم يتنازلون عنه إذا جاء الحديث عن
عمر ويطلقون لهوهم العنان في عصمته فيجعلونه معصوماً بدرجة أعلى من
عصمة النبي ﷺ! فإذا ناقشتهم قالوا لا بأس بذلك فنحن نراعي الأدب مع النبي
ﷺ ونحفظ حرمة ومقامه ، ونقول إن عمر محفوظ من الذنوب والمعاصي ،
وإن الشيطان كلما رآه صرخ وهرب !!

ومنهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب وحفظ الأولياء !

قال الشعراني في العهود المحمدية ص ٨: (ولذلك لم يقع الإحتلام إلا من المريدين والعوام دون الأكابر! فإن الأكابر إما معصومون كالأنبياء، أو محفوظون كالأولياء ! ثم إن وقع أن أحداً من أكابر الأولياء احتلام ، فإنما يكون ذلك في حليلته من زوجة أو جارية لا فيما لا يحل له ، وسببه غفلته عن تدبير جسده ، لما هو عليه من الإشتغال بالله عز وجل ، أو أمر المسلمين، كما بلغنا أن عمر بن الخطاب(رض)احتلم في جاريته ، وقال: قد ابتلينا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمين) ! انتهى.

يقصد الشعراني بذلك أن الأكابر مثل عمر وأبي بكر والأقطاب ، يصح أن نستعمل فيهم لفظ العصمة ، لأنهم معصومون كالأنبياء ﷺ ، أما الأولياء فنقول عنهم إنهم محفوظون من الذنوب ، ولا نقول إنهم معصومون . ويقول الشعراني إن أكابر الأولياء لا يرون أحلاماً جنسية لأنهم مستغرقون في الله تعالى ، أو في التفكير أمر المسلمين وقضاياهم ! وإذا حدث ذلك فإنهم يحتلمون بزوجاتهم ، كما حدث لعمر فقد كان كل عمره مستغرقاً في الله تعالى لا يحتلم ، ثم استغرق بأمور المسلمين السياسية ، فحدث أن احتلم ذات مرة ، لكن بجاريته وليس بامرأة أجنبية !

وقال المقرئ في فضل آل البيت ص ٩٢: (وما تجد في القرآن عبادة مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة ، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد ، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم ، القائمين بحقوق سيدهم ، الواقفين عند مراسمه وحدوده ، فشرفهم أعلى ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام) . انتهى.

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٦١

وقال البيهقي في كتابه السيدة فاطمة الزهراء ص ٨٢: (وقد ذهب البعض إلى أن آل البيت (يقصد كل ذرية علي وفاطمة ﷺ) محفوظون من الكبائر بعناية الله، فقد فطرهم على حبه وحب طاعته، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام. وذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر، لابد وأن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، وإن رأى أبو العباس كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن القطب قد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطاب لا يكون إلا منهم، لأنهم أزكى الناس أصلاً وأوفرهم فضلاً، غير أن القطب من شأنه غالباً الخفاء وعدم الظهور، فإذا لم يوجد في الظاهر من أهل البيت من يصلح للإتصاف بالقطبية، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم في الباطن، وأما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه في الأفاق، وينتشر في الأقطار). انتهى.



رأي التفتازاني: في عصمة أبي بكر وعمر وعدالة باقي الصحابة !

سعد الدين التفتازاني من كبار العلماء المنظرين لمذهب الحكومات القرشية، جاء في معجم المطبوعات العربية: ٦٣٥/١: (التفتازاني، سعد الدين (٧٢٢-٧٩٣هجرية) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني التفتازاني، نسبة إلى تفتازان بلدة بخراسان ولد فيها، كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان. وهو الأستاذ على الإطلاق، والمشار إليه بالإتفاق. اشتهرت تصانيفه في الأرض وأتت بالطول والعرض). انتهى.

وكتابه شرح المقاصد من أهم كتبهم الكلامية المعتمدة، وقد سجل فيه رأيه في الصحابة فقال في: ٣١٠/٥: (ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات

على الوجه المسطور في كتب التواريخ ، والمذكور على ألسنة الثقات ، يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق ، وبلغ حد الظلم والفسق ، وكان الباعث عليه الحقد والعناد ، والحسد واللداد ، وطلب الملك والرياسات والميل إلى اللذات والشهوات ، إذ ليس كل صحابي معصوماً ، ولا كل من لقي النبي (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق ، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق ، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة ، سيما المهاجرين منهم والأنصار ، المبشرين بالثواب في دار القرار.

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي (ص) ، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء ، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء ، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء ، ويبكي له من في الأرض والسماء ، وتنهد منه الجبال ، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور ، فلعنة الله على من باشر ، أو رضي ، أو سعى ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد ، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد .

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى ، كما هو شعار الروافض ، على ما يروى في أدعيتهم ، ويجري في أنديتهم ، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية ، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد ، بحيث لاتزل الأقدام عن السواء ، ولا تضل الأفهام بالأهواء !! وإلا فمن خفي عليه الجواز والاستحقاق ، وكيف لا يقع عليهما الإتفاق؟! وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانية أهل الضلال ، وسد طريق لا يؤمن أن يجر إلى الغواية في المآل ، مع علمهم

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٦٣

بحقيقة الحال وجلية المقال)!! انتهى.

وفي هامش الإصابة: ٢٥/١: (وقال السعد التفتازاني: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم ، وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات ، سيما المهاجرين والأنصار ، وأهل بيعة الرضوان ، ومن شهد بدرأً وأحداً والحديبية ، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع ، وشهد بذلك الآيات الصراح ، والأخبار الصراح. وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغات في بغض البعض من الصحابة رضي الله عنهم والطعن فيهم ، بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث ! فإياك والإصغاء إليها فإنها تضل الأحداث، وتحير الأوساط وإن كانت لا تؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم ، وكفاك شاهداً على ما ذكرنا أنها لم تكن في القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة ، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة ، والمهدين من خلفاء الدين ، مشهور في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم). انتهى.

نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل:

المسألة الأولى

اعترف التفتازاني بأن بعض الصحابة قد انحرف بعد النبي ﷺ عالمًا عامداً وكان دافعه إلى ذلك على حد تعبيره: (الحقد والعناد ، والحسد واللداد ، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات) ! وأن صحبة النبي ﷺ لا توجب العصمة ولا العدالة ، فقد صدرت منهم المعاصي والظلم والفسق ! وما داموا لا يعرفون من هم المنحرفون من الصحابة ، ولا مقياس عندهم مثلنا

حيث نقول بأن العترة هم المقياس لجميع الصحابة ، فوجب عليهم أن يجروا فيهم حكم الشبهة المحصورة ، ويحرّموا على المسلمين أن يتلقّوا منهم دينهم بعد النبي ﷺ ! فقد أفتى فقهاؤهم وفقهاؤنا بأنه إذا اشتبه إناء نجس بآنية طاهرة ولم يتميز ، وجب اجتناب الجميع ولا يصح الوضوء بأي منها !

قال العلامة الحلبي في نهاية الأحكام: ٢٥٣/١: (فلو اشتبه إناء طاهر بماء الغالب في مثله النجاسة كان كما لو اشتبه بمتيقن النجاسة ، فيحتاج إلى الاجتهاد). انتهى.

فإن قلت: أفتى بعضهم في هذه الحالة بجواز العمل بما غلب الظن على أنه طاهر فيصح الوضوء به ، قال النووي في المجموع: ١٨٠/١: (إذا اشتبه ماء ان طاهر ونجس ، ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور وتظاهرت عليه نصوص الشافعي أنه لا تجوز الطهارة بواحد منهما إلا إذا اجتهد وغلب على ظنه طهارته بعلامة تظهر ، فإن ظنه بغير علامة تظهر لم تجز الطهارة به... وسواء عندنا كان عدد الطاهر أكثر أو أقل حتى لو اشتبه إناء طاهر بمائة إناء نجسة تحرى فيها ، وكذلك الأطعمة والثياب ، هذا مذهبنا ، ومثله قال بعض أصحاب مالك. كذا قال بمثله أبو حنيفة في القبلة والطعمة والثياب ، وأما الماء فقال لا يتحري إلا بشرط أن يكون عدد الطاهر أكثر من عدد النجس. وقال أحمد وأبو ثور والمزني: لا يجوز التحرى في المياه بل يتيّم ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب مالك). (راجع أيضاً إعانة الطالبين: ٤٥/١).

فالجواب: أولاً، أن الأصل في الظن عدم الحجية كما قال الله تعالى: وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. (يونس: ٣٦) فلا حجية للظن إلا بدليل شرعي من كتاب أو سنة ، ولو سلمنا أن الله تعالى أجاز الاعتماد على غلبة الظن في الأواني والأطعمة المشتبهة كعدد الركعات تسهياً على العباد ، فلا يدل ذلك

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٦٥

على جواز الإعتماد على الظن في تلقي الدين بعد النبي ﷺ من صحابته ، ونحن نعلم كما اعترف التفتازاني بأن فيهم أهل دنيا كذابين !

إن مجرد وجود هؤلاء فيهم مع عدم إمكانية تمييزهم ، يرفع الإطمئنان بأن ما رواه هذا الصحابي من الدين فيجب التوقف !

ثم لو سلمنا أن وثاقة الصحابي وعدالته تابعة لغلبة ظن المسلم ، فمعناه فتح باب الاجتهاد فيهم ، وهذا ما يقفون ضده بشدة .

وثانياً ، إن دليلهم على حجية الظن في الإناء المشتبه هو عمل الصحابة واتفاقهم عليه ، فلو أردنا أن نثبت به حجية قول الصحابة ، لزم الدور !

قال الغزالي في المستصفى ص ٢٥٣: (لو اشتبه إناء نجس بعشر أوان طاهرة فلا ترجيح للأكثر ، بل لا بد من الاجتهاد والدليل ، ولا يجوز أن يأخذ واحداً ويقدر حله أو طهارته ، لأن جنسه أكثر .

لكننا نقول: الظن عبارة عن أغلب الاحتمالين ، ولكن لا يجوز اتباعه إلا بدليل ، فخير الواحد لا يورث إلا غلبة الظن من حيث أن صدق العدل أكثر وأغلب من كذبه ، وصيغة العموم تتبع ، لأن إرادة ما يدل عليه الظاهر أغلب وأكثر من وقوع غيره . والفرق بين الفرع والأصل ممكن غير مقطوع ببطلانه في الأقيسة الظنية ، لكن الجمع أغلب على الظن ، واتباع الظن في هذه الأصول لا لكونه ظناً ، لكن لعمل الصحابة به واتفاقاتهم عليه .) انتهى .

فقد تشدد الغزالي حتى في الظن الحاصل من خبر الواحد الثقة ، وحكم بأنه ليس حجة في ذاته ، بل لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه ! فهو يرجع بالحقيقة إلى حجية إجماع الصحابة ، وستعرف ما فيه .

وثالثاً ، إن إجماع الصحابة بدون القول بعصمة بعضهم لا يفيد العلم .

ولو سلمنا حجتيه نظرياً ، فكيف نطبقه عملياً ونحن لا نكاد نجد مسألة عقيدية أو فقهية أو سياسية ، إلا وقد روي فيها عنهم الرأي وخلافه !
 فيعنة أبي بكر التي يضربونها مثلاً لإجماعهم ، يعترفون بأن الإجماع فيها انتقض بمخالفة سعد بن عباد و فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وعديدين من المهاجرين والأنصار !

المسألة الثانية

لا يغرك أن التفتازاني بدأ كلامه بالإعتراف بأن ما وقع بين الصحابة كان صراعاً على السلطة ، حسداً وطمعاً في الدنيا والرئاسة والشهوات ، فقد عاد وبرر كل ذلك بقوله إنه: (يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق) فظاهر قولهم وفعلهم عنده الظلم والفسق ، أما باطنه فهو الحق والعدالة من بعضهم ، والعدل والعصمة من كبارهم ! وبذلك تعرف كيف أتقن هذا الإيراني أسلوب المحامين المعاصرين في صياغة كلامه ، للدفاع عن نظرية الصحابة القرشية !
 وتعرف أن أتباع الحكومات القرشية يقعون في التناقض الذي يعيونه على الإسماعيلية الباطنية ، فقد قلنا لبعض أتباع الإسماعيلية إن إمامهم يشرب الخمر علناً ، فأجاب إن عمله في الظاهر شرب خمر ، أما في الباطن فإنه بمجرد أن يلمس زجاجة الويسكي بيده الشريفة تتحول إلى شراب طهور من الجنة !
 فما الفرق بين مقولتهم ومقولة التفتازاني في ظاهر عمل الصحابة وباطنه ؟!

وقد بلغت براعة التفتازاني ذروتها في قراءته التعزية على ظلم أهل البيت النبوي صلوات الله عليهم ، لكنه برأ الصحابة من ذلك بمن فيهم معاوية ، وهاجم يزيد بن معاوية وأدانه بجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام ، ثم تراجع وأثبت له حق الحصانة ، حتى لاتصعد الإدانة إلى من فوقه من الصحابة !

فهل رأيت محامياً محترفاً أبرع منه في الدفاع عن جرائم أئمتة؟!

المسألة الثالثة

يظهر أن التفتازاني يقول بعصمة أبي بكر وعمر من بين الصحابة ! فقد قال: (إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق ، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق ، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة) !

فقلوه: (إذ ليس كل صحابي معصوماً) يشعر بأن بعضهم قد يكون معصوماً ! وكلامه بعده يدل على أنه ارتضى قول (العلماء) أي علماء مذاهب السلطة القرشية في تبرير جميع أقوالهما وأفعالهما وإنهما محفوظان من الضلال والمعصية! وهذه هي العصمة بعينها ! فهو يقول بها لمن سماهم (كبار الصحابة) ويقصد بهم أبا بكر وعمر فقط ، وربما قصد معهما عثمان وعلياً عليه السلام

المسألة الرابعة

إن دليل (العلماء) الذي ارتضاه التفتازاني على مقام العصمة لأبي بكر وعمر، ومقام العدالة لبقية الصحابة ، مع الاعتراف بجرائم بعضهم ، أجمله في قوله: (إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق ، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق ، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار).

وترجمته بالعربية: أن عقيدة المسلمين فيهم يجب أن تحفظ ، لأنهم مبشرون بالجنة ! وهو مصادرة واضحة ، لأن البحث فيما يجب أن تكون عقيدة المسلمين فيهم،

هل هي العدالة أو العصمة ، أو أن الأصل عدم أي منهما حتى تثبت قطعياً ؟
 وكان ينبغي للفتازاني المنطقي أن يقول: يجب التوقف في الصحابة ، لأن الله مدح بعضهم وبشرهم بالجنة، وذم بعضهم وأخبر أنهم سينقلبون بعد النبي ﷺ فقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٤). ولأن النبي ﷺ مدح بعضهم ووعدهم الجنة ، وذم أكثرهم وأخبر أنهم في النار كما في صحيح البخاري: ٢٠٩/٧، عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ! فقلت أين ! قال إلى النار والله ! قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ! قلت أين ؟ قال إلى النار والله ! قلت: ما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) !!

وهمل النعم كما في مقدمة فتح الباري: ص ١٩٧: الإبل بغير راع وكذا غيرها ، أي الصحابة الخارجون على السلطة ، وهم الشاكرون في الآية .

كان ينبغي للفتازاني أن يقول مادامت النتيجة المنطقية تتبع أحسن المقدمات ، فليس بوسعنا إلا التوقف في أمر الصحابي حتى تثبت عدالته أو عصمته !

لكنه كرر دليله الواهي بقوله: (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعهم ، وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات ، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان ، ومن شهد بداراً وأحداً والحديبية ، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح ، والأخبار الصراح) .

وكلامه هذا دعوة إلى تعطيل العقل والشرع ، وإلغاء ما قرره عامة عقلاء المجتمعات البشرية ، وعلماء البيان والفقه والأصول ، من حجية ظواهر الكتاب

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٦٩

والسنة، وظواهر أقوال الناس وأفعالهم! فإن فتواه بوجوب (حمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات) دعوة صريحة إلى القول بعصمة الصحابة ، وإلغاء الظاهر ، واتباع المذهب الباطني بأسوأ أنواع الباطنية !

أما قوله إن الآيات الصريحة تدل على علو شأنهم فهو كلام تعتمد إبهامه ، فإن قصد أنها تدل على عصمتهم جميعاً ، ووجوب تأويل ظاهر معاصيهم وانحرافهم فهو ممنوع. وإن قصد أنها تدل على أن بعضهم من أهل الجنة ، فهو صحيح ، لكن لما لم يدل دليلٌ عندهم على تمييزهم ، كان حكمهم حكم الشبهة المحصورة وهو وجوب اجتناب كل أطرافها حتى يتميز الطاهر فيها من النجس ، والحلال من الحرام ، والمتهم من البرئ ، وأهل الجنة من أهل النار !

وأما دعواه إجماع المسلمين على علو شأنهم ، ونسبته إلى أهل البيت ﷺ مديحهم ، فهو ممنوع ، بل الثابت بشهادة علمائهم نقض هذا الإجماع ، وطعن أهل البيت ﷺ وغيرهم في أهل السقيفة ، ومن ذلك اعتراف عمر بأن علياً والعباس شهدا عليه وعلى أبي بكر بأنهم غادران خائنان آثمان! (صحيح مسلم: ١٥٢/٥)

ولو لم يكن إلا خطية علي عليه السلام الشقشقية لكفت ، ولا يتسع المجال للإفاضة !

فظهر أن التفتازاني يقول بعصمة الصحابة بعضاً أو كلاً ، ويقول بعدالتهم كلاً ، لكنه لم يقدم دليلاً واحداً على ذلك ، إلا التقليد للسلطة وعلمائها !



أبو بكر وعمر معصومان عند الغزالي ، لكن لا يجب تقليدهما !

عندما يبحث علماءؤهم حجية قول الصحابي ، يصرّحون بعدم عصمة الصحابة ، لكنهم عملياً يعصمون الشيخين ! قال الغزالي في المستصفى: ص ١٧٠:

(إن قال قائل: إن لم يجب تقليدهم ، فهل يجوز تقليدهم ؟

قلنا: أما العامي فيقلدهم، وأما العالم فإنه إن جاز له تقليد العالم جاز له تقليدهم وإن حرمانا تقليد العالم للعالم فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في تقليد الصحابة، فقال في القديم: يجوز تقليد الصحابي إذا قال قولاً وانتشر قوله ولم يخالف. وقال في موضع آخر: يقلد وإن لم ينتشر، ورجع في الجديد إلى أنه لا يقلد العالم صحابياً، كما لا يقلد عالماً آخر.

ونقل المزي عن ذلك وأن العمل على الأدلة التي بها يجوز للصحابة الفتوى، وهو الصحيح المختار عندنا إذ كل مادل على تحريم تقليد العالم للعالم كما سيأتي في كتاب الإجتهد لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره.

فإن قيل: كيف لا يفرق بينهم مع ثناء الله تعالى وثناء رسول الله (ص) قال تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ... وقال رسول الله (ص): خير الناس قرني. وقال (ص): أصحابي كالنجوم إلى غير ذلك؟

قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الاعتقاد في علمهم ودينهم ومحلهم عند الله تعالى، ولا يوجب تقليدهم لأجوازاً ولا وجوباً، فإنه (ص) أثنى أيضاً على آحاد الصحابة، ولا يميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه، كقوله (ص): لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح. وقال (ص): إن الله قد ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، يقول الحق وإن كان مرأً. وقال لعمر: والله ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك. وقال (ص) في قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر. وقال صلوات الله عليه: إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم. وكان علي (رض) وغيره من الصحابة يقولون: ما كنا نظن إلا أن ملكاً بين عينيه يسدده

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٧١

وأن ملكاً ينطق على لسانه ! وقال (ص) في حق علي: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار ، وقال(ص): أقضاكم علي ، وأفرضكم زيد ، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). انتهى.

وقد ناقض الغزالي نفسه ، فقد شهد بعصمة أبي بكر وعمر وعلي ، ثم قال: (ولا يميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه) ! وقال: (إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم...لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره). انتهى.

فإن الدرجة التي أثبتها لهم هي درجة العصمة ، وهي توجب على الأمة اتباعهم، وهي فوق درجة التقليد ورجوع الجاهل إلى العالم، أو إلى أهل الخبرة .

بل ما دام الغزالي يعتقد بأن النبي ﷺ شهد بأن إيمان أبي بكر يرجح على إيمان العالمين بمن فيهم الأنبياء أو باستثناء الأنبياء ﷺ ، فالواجب على العالمين أن يقتدوا به في قوله وفعله ، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال !

ومادام عمر كالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، بل ينطق على لسانه ملك معصوم ، وتحذره الملائكة ، ويهرب منه الشيطان الذي لا يهرب من الأنبياء ﷺ! فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله ، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

وما دام النبي ﷺ دعا لعلي عليه السلام أن يجعل الله معه الحق أينما دار، ودعاؤه ﷺ مستجاب ، فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله ، وإلا لم يؤمن عليهم أن يتركوا الحق ويتبعوا الباطل !

لكن لا يغرك قول الغزالي وغيره بعدم وجوب إطاعة أبي بكر وعمر وعدم عصمتهم ، فإنما يقولونه بألسنتهم ، و وسترى أنهم عندما يصلون إلى عملهم وسيرتهم ، يتبنون عصمتهم بالكامل ، ويدافعون عن أفعالهم ليشبوا أنها كلها

صحيحة ، وأنهم لم يرتكبوا معصية أبداً ، لاصغيرة ولا كبيرة ، حتى فيما خالفوا فيه النبي ﷺ ! أما إذا وصلوا إلى حكم من يرفض شرعية خلافتهم ، فيحكمون بكفره ويهدرون دمه ، ويوجبون قتله ! فيثبتون لهما درجة فوق العصمة ، ويجعلون ولايتهما ركناً قام عليه الإسلام ، إلى صف التوحيد والنبوة أو قبلهما !! بل يصل بهم الأمر أنهم يجعلون ولايتهما أعظم من ولاية الله تعالى ورسوله ﷺ لأنهم لا يحكمون دائماً بالكفر والقتل على من عصى الله ورسوله ﷺ !!

ليس من المبالغة أن نقول إن غيرتهم على أبي بكر وعمر ، وشدتهم على من رفضهم ، أعظم من غيرتهم على الله تعالى ورسوله ﷺ ! وبعضهم يضيف اليهم عائشة وحفصة وعثمان ومعاوية .

وهذا التاريخ يشهد بأنه لم تضطهد أمة من الأمم من أجل شخصين ، كما اضطهد ملايين المسلمين من أجل عمر وأبي بكر ، ولم تُرق دماءً بذنب رفض ولاية أحد ، كما أريق بذنب رفض ولاية أبي بكر وعمر !

لقد أقاموا كل عقيدتهم وفقهم ودولهم وتاريخهم وتربية أبنائهم وبناتهم ، على تقديسهما واضطهاد من لا يقبلهما ، حتى كان أجيال الشيعة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، يتمنون أن تعاملهم دولة الخلافة القرشية معاملة المنكرين لله ورسوله ﷺ ، ليخف جرمهم ، واضطهادهم ، وتقتيلهم !!



هل تشيع الغزالي في آخر عمره ؟

للغزالي كتاب اسمه (سر العالمين وكشف مافي الدارين) نقل الدكتور الخليلي في كتابه (السقيفة أم الفتن) ص ١١٤ ، عن مخطوطته في دار الكتب المصرية رقم : ٣١٦/١ . وقد طبع الكتاب في الهند ومصر والعراق وبيروت وإيران ، وهو مرتب على

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٧٣

مقالات ، وقد أظهر فيه تشيُّعه بصراحة ، ولذا شكك بعضهم في نسبته إليه !

قال المرحوم الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٦٨/١٢:

(١٢٠: سر العالمين) المنسوب إلى الغزالي. كتاب شيعي نسبته إليه في تذكرة

خواص الأمة ، وتاج العروس ، والإتحاف في شرح الإحياء. فراجعه).

وتابعه إيلان سركيس في معجم المطبوعات العربية: ١٤١٢/٢، فقال: (سر العالمين

وكشف ما في الدارين، وهو منسوب للغزالي والصواب أنه لأحد الباطنية- هند

١٣١٤ مصر ١٣٢٤). كما وافقه الباحث السيد جعفر مرتضى فشكك بنسبة الكتاب

إلى الغزالي. (مجلة تراثنا: ٩٧/٢ و: ١٧٣/٤)

بينما خالفهم عديدون ونسبوا الكتاب إلى الغزالي كالبغدادي في إيضاح

المكنون: ١١/٢، قال: (سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي

محمد بن محمد). ونحوه في هدية العارفين: ٨٠/٢ ، وكذا القاضي نورالله

التستري في كتابه مجالس المؤمنين ، والفيض الكاشاني في الوافي ، والطريحي

في مجمع البحرين ، والأميني في الغدير: ٣٩١/١ ، والمرعشي في شرح إحقاق

الحق: ٢٤٤/٣٣ ، كما نقلوا ذلك عن المحقق الكركي.

وقال الماحوزي في الأربعين ص ١٥١: (ذكر مولانا محسن الكاشي في المحجة

البيضاء أن ابن الجوزي الحنبلي ذكر في بعض تصانيفه أن الغزالي ترفض في

آخر عمره ، وأظهر رفضه في كتاب سر العالمين).

ووافقهم السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ١٠٢/١ و: ١٨٤ /٩ ، مؤيداً ما استدلوا به

من نسبة ابن الجوزي الكتاب إلى الغزالي في تذكرة الخواص ص ٦٢ ، والذهبي

في ميزان الاعتدال: ٥٠٠/١ ، وفي طبعتنا: ٢١٥/٢ ، حيث اعتمد عليه فقال: (قال أبو

حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين): شهدت قصة الحسن بن الصباح لما ترهّد

تحت حصن أَلْمُوت فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم ، ويمتنع ويقول: أما ترون المنكر قد فشا وفسد الناس! فتبعه خلق ، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن !) انتهى.

أقول: وهذا هو الصحيح ، والعبارة موجودة في سر العالمين ، ولا توجد في غيره. وقد نقل عنه الذهبي أيضاً في: ٤٠٣/١٩ ، نفس عبارته في ميزان الاعتدال وقال قبلها في ترجمة الغزالي: ٣٢٧/١٩: (ومن معجم أبي علي الصديقي ، تأليف القاضي عياض له ، قال: والشيخ أبو حامد ، ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمة ! والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامثّل ذلك. مولده سنة خمسين وأربع مئة.

قلتُ(الذهبي): ما زال العلماء يختلفون ويتكلم العالم في العالم باجتهاده ، وكل منهم معذور مأجور ، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور ، وإلى الله ترجع الأمور. ولأبي المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في كتاب رياض الأفهام في مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد في كتابه سر العالمين وكشف ما في الدارين فقال في حديث: من كنت مولاة فعلي مولاة ، إن عمر قال لعلي: بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى ، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى ، حباً للرياسة وعقْد البنود ، وأمر الخلافة ونهيهما ، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ! وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسل الذي تزعمه الإمامية ، وما أدري ما عذره في هذا ! والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق فإن الرجل من بحور العلم ، والله أعلم.

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٧٥

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك بعيد ، ففي هذا التأليف بلايا لا تتطبب!
وقال في أوله: إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي سراً بالنظامية ، قال:
وتوسمت فيه الملك). انتهى.

أقول: لم يعين الذهبي من اتهمه باحتمال وضع الكتاب ، بقوله (هذا إن لم يكن
هذا وضع هذا وما ذاك بعيد)! فهل يقصد الصدفي ، أم القاضي عياضاً ! مع أنه
ترجم لهما ووصف كلاهما بالإمام ومدحهما كثيراً ، قال في سير أعلام
النبلأ: ٢٠/٢١٢: (القاضي عياض: الإمام العلامة الحافظ الأوحأ ، شيخ الإسلام
القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض
اليحصبي الأندلسي ، ثم السبتي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربع مئة...
الخ).

وقال في تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٥٣: (الإمام الحافظ البارع أبو علي الحسين بن
محمد بن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي الأندلسي...الخ). انتهى.

فتشكك الذهبي في الكتاب بدون حجة بعد ما اعتمد عليه كبار علمائهم !
أما البلية التي لا تتطبب عند الذهبي فهي قول الغزالي في سر العالمين ص ٢١:
(المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة والمملكة: اختلف العلماء في ترتيب الخلافة
وتحصيلها لمن آل أمرها إليه ، منهم من زعم أنها بالنص ودليلهم قوله تعالى: قُلْ
لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِنْ
تَطِيعُوا يُوَفِّكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)
(الفتح: ١٦) وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد رسول الله (ص) فأجابوا.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ

هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. (التحریم: ٣) ، قال في الحديث: إن أبا بكر هو الخليفة من بعدي يا حميراء ، وقالت امرأة: إذا فقدناك فإلى من نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر ، ولأنه أمّ بالمسلمين على بقاء رسول الله (ص) والإمامة عماد الخلافة. هذه جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص.

ثم تأولوا وقالوا: إذ لو كان عليّ أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء ، ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب ، ولا يقدر في كونه رابعاً للخلفاء ، كما لا يقدر في نبوة رسول الله ﷺ إذ كان آخراً.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم ، وقد وقع الميراث في الأحكام والخلافة ، مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى ، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فبهذا تعلقوا. وهذا باطل ، إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى.

لكن أسفرت الحجة وجهها ، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت م ولأي ومولى كل مولى ، فهذا تسليمٌ ورضاً وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى بحب الرئاسة ، وحملُ عمود الخلافة ، وعقود البنود ، وخفقان الهوى ، في قعقة الرايات ، واشتباك ازدحام الخيول ، وفتح الأمصار ، سقاها كأس الهوى ، فعادوا إلى الخلاف الأول ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ولما مات رسول الله ﷺ قال وقت وفاته: إيتوني بدواة وياض لا زيل عنكم إشكال لأمر ، وأذكر لكم من المستحق لها بعدي ! قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل ليهذر. فإذن بطل تعلقكم بتأويل النصوص ، فعدتم إلى الإجماع ، وهذا

الفصل الثامن - عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ! ٢٧٧

منقوض أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً ﷺ وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي... الخ). انتهى.

والظاهر أن استبصار الغزالي كان في آخر أيامه في طوس ، ولم يمهل العمر حتى ينشر ذلك ، ويبرئ ذمته بإعلان رجوعه عن كتبه ومؤلفاته العديدة ، وما غصت به من عداائه لأهل البيت الطاهرين ﷺ وتأصيله لمذاهب مخالفينهم !

وقد رأيت قبره قرب بيته أو مسجده في بلدة طوس ، حيث أمضى آخر حياته ، وهي في ضاحية مشهد الإمام الرضا ﷺ ، وقد اهتمت به الحكومة الإيرانية .



النقد الذاتي قليل نادر في علمائهم

مضافاً إلى كتاب سر العالمين للغزالي ، فقد أعجبني هذا النقد الذاتي للحافظ محمد بن عقيل في كتابه القيم: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/١٧٤ ، قال:

(إننا أهل السنة قد أنكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثني عشر ، وجاهرناهم بصيحات النكير ، وسفهننا بذلك أحلامهم ، ورددنا أدلتهم بما رددنا ، أبعد ذلك يجمل بنا أن ندعي أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم وباديهم وعلمهم وجاهلهم وذكرهم وأنثاهم ، كلهم معصومون أو كما نقول محفوظون من الكذب والفسق ، ونجزم بعدالتهم أجمعين فنأخذ رواية كل فرد منهم قضية مسلمة نضل من نازع في صحتها ونفسقه ، ونتصامم عن كل ما ثبت وصح عندنا ، بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها ، من البغي ، والكذب ، والقتل بغير حق ، وشرب الخمر ، وغير ذلك مع الإصرار عليه ؟!! لا أدري كيف تحل هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة.

إليك فإني لست ممن إذا اتقى عضاضُ الأفاعي نام فوق العقارب

أما الأمر بحسن الظن فحسن ، ولكنه ليس في مقام بيان الحق وإبطال الباطل ، والكلام على جرح أو تعديل ، ولو سوغنا هذا لتعطلت الأحكام ، وبطلت الحدود والشهادات ، وكُتبك الشرع على أم رأسه ، إذ لا وجه لتخصيص أشخاص دون آخرين بحسن الظن بهم في كل ما يفعلونه ، إذا ترتب على فعله حكم شرعي إلا بمخصص شرعي ، وأئى بذلك .

ولو عممنا القول بذلك لكان حسن الظن حسناً بكل فرد من أفراد المسلمين في كل ما يفعله كما يقول به بعض الصوفية ، فيتأول حينئذ لكل منهم ما ارتكبه من القبائح والبدع المضلة والكبائر ، ويحمل كل ذلك على محمل حسن وقصد صالح ، ويدخل في ذلك الخوارج وغلاة الرافضة فيما يرتكبونه من البدع والتفكير والسب ، وهلم جراً .

اللهم غفرانك ، إنه بهذا يتعطل الشرع وتلتبس الأمور ويختلط الحابل بالنابل ، بل الواجب إجراء كل شئ في مجراه عند إرادة إيضاح الحقائق وبيان المشروعات. وبهذا عمل الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم ، وهكذا عمل جهابذة أصحاب الحديث في الجرح والتعديل ، في رواية الحديث إلا فيمن له صحبة على حسب اصطلاحهم في تعريف صاحب ، وهي نقطة الإنتقاد عليهم ومحل الإشكال ، إذ كيف يمكن طالب الحق أن يعتمد ما قالوه ويجري على ماجروا عليه من التسوية ، صحة واحتجاجاً ، بين روايات الحكم والوليد ومعاوية وعمرو وأشباههم ؟! سبحان الله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ؟! لا والله ، ثم لا والله إن الإذعان للحق شأن المنصفين ، ولكن أكثركم للحق كارهون).

الفصل التاسع

السلطة القرشية تتبع اليهود حَذُّو القُدَّة بالقُدَّة والنعل بالنعل !

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى..ترك الصلاة !

شهدت عامة المصادر كالبخاري ومسلم أن النبي ﷺ حذر المسلمين من الانحراف بعده ، وفي نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون ، فقال: لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحَرَ ضَبٍّ تبعتموهم ! قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن !؟

وفي مناسبة أخرى قال لهم: والذي نفسي بيده لتبتعن سنن الذين من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً فباعاً ، حتى لو دخلوا جُحَرَ ضَبٍّ لدخلتموه ! قالوا ومن هم يا رسول الله ، أهل الكتاب ؟ قال: فمه !؟

وفي مناسبة أخرى قال لهم: لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم ؟ قال: وهل الناس إلا أولئك !؟

(روت ذلك عامة المصادر كالبخاري: ١٢٦/٩ و: ١٥١/٨ ، ومسلم: ٤/ ٢٠٥٤ و٢٦٦٩ عن أبي سعيد الخدري ، ونحوه: ٢٠٥٥ ، وأحمد: ٣٢٧/٢ و٣٢٥ و٤٥٠ ، ونحوه ص ٣٣٦ و٣٦٧ و٥٢٧ و: ٨٤/٣ و٨٩ و٩٤ و: ١٢٥/٤ ، والرويانى: ح ١٠٨٥ عن سهل بن سعد ، والبغوي في المصابيح: ٣/ ٤٥٨ ، من صحاحه ، عن أبي سعيد ، كما في رواية البخاري الثانية ، وجامع الأصول: ١٠/ ٤٠٩ ح ٧٤٧٢ ، و٧٤٧٣ ، وجمع الجوامع: ١/ ٩٠٢ ، والجامع الصغير: ٢/ ٤٠١ ح ٧٢٢٤ ، ومجمع الزوائد: ٧/ ٢٦١ ، وفيض القدير: ٥/ ٢٦١ ، ومسنند ابن الجعد ص ٤٩١ ، والديباج على مسلم: ٣٣/٦ و٣٤ ، ومصنف عبد الرزاق: ١١/ ٣٦٩ ، وكنز العمال: ١٤/ ٢٠٧ ، والكنى

والأسماء: ٣٠/٢، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: ولتركن سنن من كان قبلكم شبراً حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلت، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم. والحاكم: ٣٧/١ و ٤/٤٥٥ وصححه وفيه: "حتى لو أن أحدهم جامع إمرأته بالطريق لفعلتموه. ومصنف ابن أبي شيبة: ٦٣٤/٨، وفيه:

(أنتم أشبه الناس سماً وهدياً بيني إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل). قال عبد الله: إن من البيان سحراً. وقال في هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشيثيين يستويان ولا يتفاوتان).

وفي شرح مسلم للنووي: ٢١٩/١٦: (السَّيْنُ بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب كل التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفي فتح الباري: ٢٥٥/١٣: (في رواية الكشميهني شبراً بشبر وذراعاً بذراع، عكس الذي قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيلٌ للإقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.....

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه: لا ترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتبه..... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها.....

عن أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفحش في شراركم، والملك في صغاركم، والفق في رذالكم). انتهى.

وفي مناسبة أخرى قال النبي ﷺ: (لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرها: الطوسي وغيره، قال في الأمالي ص ١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد العطش قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام الإسكافي قال: حدثنا حمزة بن أبي جمة الجرجاني الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ.

الفصل التاسع - السلطة القرشية تتبع اليهود حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة والنعل بالنعل ! ٢٨٣

ورواه من مصادرهم: أحمد: ٢٥١/٥ ، والبخاري في تاريخه: ٣٣٣/٨ > ٣٢١٤ ، وابن حبان: ٢٥٣/٨ > ٦٦٨٠ ، عن أبي أمامة. والطبراني الكبير: ١١٦/٨ > ٧٤٨٦ ، والجامع الصغير: ٤٠٣/٢ > ٧٢٣٢ ، وص: ٤٧٣ ، والحاكم: ٩٢/٤ ، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد: ٢٨١/٧ ، وقال: رواه أحمد ، والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح). انتهى .

أمام هذه الأحاديث النبوية تواجهنا عدة أسئلة:

السؤال الأول ، معنى هذه الأحاديث أن النبي ﷺ قد نعى الأمة إلى نفسها ، وأنها من بعده ستتحرف ، فهل هذا حقيقة قطعية ؟!

والجواب: نعم إنها حقيقة قطعية وإن كانت مُرَّة ، بدليل أن هذه الأحاديث صحيحة مجمع عليها عند كافة الأمة ، والمجمع عليه من الأمة لاشك فيه.

والسؤال الثاني ، هل المقصود بهذا الكلام النبوي انحراف غالبية الأمة ، أو انحراف فئة صغيرة منها ؟

والجواب: أن الخطاب في هذه الأحاديث موجه إلى جميع الأمة ، فلا بد أن يشمل الانحراف غالبيتها حتى يصح نسبة الانحراف إلى الأمة ، فقد قال ﷺ: لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً... والذي نفسي بيده لتبتعن سنن الذين من قبلكم... ولتركبن سنن من كان قبلكم... ولو كان الانحراف محصوراً بفئة قليلة من الأمة لقال: لتبتعن فئة من أمتي ، أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلهم .

والسؤال الثالث ، هل أن الانحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة ، كما حدث في بني إسرائيل ؟!

والجواب: نعم لا بد من القول بشمول الانحراف لكل معالم الإسلام ، بدليل الإطلاقات في ألفاظ اتباع سنن اليهود والنصارى ، وبدليل السعة في انحراف اليهود بعد أنبيائهم ﷺ ، حيث شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى ، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم ﷺ ، واتباعهم غيرهم !

وقد نصّت صيغ الأحاديث على الشمول بكوله ﷺ: لتنقض عرى الإسلام عروة عروة ، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة ، أو القضاء ، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة .

والسؤال الرابع ، ما علاقة هذه الأحاديث النبوية بآية الانقلاب على الأعقاب؟: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤)

والجواب: هذه الأحاديث النبوية المتفق عليها تفسر الانقلاب المقصود في الآية ، وتدل على أن الله تعالى لم يتحدث فيها وفي أمثالها عن فرضية لن تحدث وأن الشرطية والاستفهام فيها إخبار إلهي ، قبل أن يكون إنذاراً واستنكاراً !

والسؤال الخامس ، أين هذا الانحراف في الأمة ، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟ والجواب: نعم هذه هي الحقيقة ، ولذلك يدور أمر الذين ينكرون وقوع الانحراف في جمهور الأمة ، بين أن يكذبوا إخبارات النبي ﷺ عن وقوعه ، ويكذبوا آية الانقلاب.. وبين أن يعترفوا بعدم شرعية السلطة القرشية التي بدأت في السقيفة يوم وفاة النبي ﷺ من غير مشورة المسلمين ، ولا استناد على نص من النبي ﷺ ، وأجبرت الناس على بيعتها ، ثم تواصلت سياسة الإجبار في بني أمية وبني العباس بنفس طريقة الغلبة والجبر ، التي أسستها السقيفة !

فلو سألت عالماً سنياً: هل تحقق ما أخبر به النبي ﷺ فاتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى أم لا ؟! لحاول أن ينفي ذلك ، ويثبت لك أن الأمة بعد نبينا ﷺ مشت على طريق الهدى ، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر ، وأن الذين انحرفوا فئة قليلة هم أهل الأهواء والبدع ، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبي

الفصل التاسع - السلطة القرشية تتبع اليهود حَذَوُ القُذَّة بالقذة والنعل بالنعل ! ٢٨٥

بكر وعمر ، وزعموا أن النبي ﷺ أوصى الأمة باتباع علي والعتره عليه السلام !
ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم في
كلام النبي ﷺ ، ولكان اللازم أن يقول مثلاً: لتبعن فئة من أمتي أو مارقة من
أمتي سنن من كان قبلها.. لما استطاع أن يجيب !

والسؤال السادس ، من أين يبدأ هذا الانحراف الخطير في الأمة ؟
الجواب: صحت الأحاديث أن النبي ﷺ حدد مصدر الانحراف في أمته
وأساس فتنها ، بالحكام والأئمة القرشيين المضلين !
ففي مجمع الزوائد: ٢٣٩/٥: (وعن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على
أمتي الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة
المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنهم إلى يوم القيامة. رواه أحمد
ورجاله رجال الصحيح .

وعن عمير بن سعد وكان عمر ولاء حمص قال قال عمر لكعب: إني سائلك
عن أمر فلا تكتمني. قال: والله ما أكتملك شيئاً أعلمه ، قال: ما أخوف ما تخاف
على أمة محمد (ص)؟ قال: أئمة مضلين ، قال عمر: صدقت قد أسرَّ إليّ وأعلمنيه
رسول الله (ص). رواه أحمد ورجاله ثقات .

وروى أحمد: ١٤٥/٥ ، عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال: لغير
الدجال أخوفني على أمتي قالها ثلاثاً ! قال قلت يا رسول الله ، ما هذا الذي غير
الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون !! (ورواه أبو يعلى: ٣٥٩/١ > ٤٦٦ ،
والفردوس: ١٣١/٣ > ٤١٦٣ عن علي).

وفي سنن الترمذي: ٣٤٢/٣: (٢٣٣٠- عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما

أخاف على أمتي الأئمة المضلين .

قال وقال رسول الله (ص): لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله. هذا حديث صحيح). انتهى.

وفي تحفة الأحوذى: ٤٠١/٦: (باب ما جاء في الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين ، أي داعين إلى البيع والفسق والفجور.... قوله (هذا حديث صحيح) ، وأخرجه مسلم وابن ماجة بدون ذكر إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً).

وروى ابن أبي شيبة في المصنف: ١٤٢/١٥ - ١٩٣٣٢: (عن علي قال: كنا عند النبي (ص) جلوساً وهو نائم ، فذكرنا الدجال ، فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون).

وفي الطبراني الكبير: ١٧٦/٨ عن أبي أمامة يحدث أنه سمع رسول الله (ص) يقول: لست أخاف على أمتي جوعاً يقتلهم ولا عدواً يجتاحهم ، ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين ، إن أطاعوهم فتنوهم ، وإن عصوهم قتلوهم).

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسي في أماليه: ١٢٦/٢: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه في حجره ، فتذكرنا الدجال ، فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، الأئمة المضلون ، وسفك دماء عترتي من بعدي ، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم). انتهى.

والسؤال السابع: ما دام الإنحراف وقع قطعاً بحكم أن الصادق الأمين عليه السلام أخبر به عن ربه ، فلا بد أن يكون له ثقافة تحريفية واسعة في العقائد والتفسير

الفصل التاسع - السلطة القرشية تتبع اليهود حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة والنعل بالنعل ! ٢٨٧

والأحاديث والأحكام والسيرة والمذاهب والمشارب ! فأين هذه الآثار الثقافية في مصادر المسلمين ، إن لم تكن ما يقوله الشيعة ؟!

والسؤال الثامن: كتبنا في كتاب تدوين القرآن: الفصل العاشر موقف إخواننا السنة من الثقافة اليهودية ، تحت عنوان:

مذهب أهل البيت أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

إذا كان عند الباحث معرفة بالثقافة اليهودية وحساسية منها ، ومشى بهذا النور في مصادر الإسلام متبعاً احتمالات التسرب والتأثير ، فلن يجد معيناً صافياً لا شائبة فيه إلا الثروة المروية عن أهل البيت عليهم السلام .

ولا يهمنا أن يستكثر الآخرون هذه الدعوى ، ولكن يهمنا أن يبحثوا في مفردات ما أنزل الله تعالى على رسوله برواية أهل بيته عليهم السلام ثم يقارنوا بينها وبين مثيلاتها من رواية غير أهل البيت ، من زاوية القرب والبعد عن الثقافة اليهودية ، ومن زاوية احتمال التسرب والتأثر ، وزاوية التعبير عن استقلال الشخصية الفكرية للوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. ثم يحكموا !...

حدثني الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا ، وهو من كبار فقهاء السنة في عصرنا ، ومن أبرز عقولهم العلمية المحترمة ، عن جلسة من جلسات مؤتمر البحوث الإسلامية في القاهرة في أواخر الستينات فقال: تحدث أحد المحاضرين عن مشكلة الإسرائيليات في مصادر المسلمين فحمل على الشيعة الذين جلبوا على المسلمين هذا البلاء ، وأطال في ذلك. فطلبت الكلام بعده وقلت: لا يصح أن نظلم الشيعة ، لأنهم طائفة إسلامية لها عراقتها وأصالتها العلمية ، وقد اطلعت على مصادر من فقههم فرأيتهم فقهاً قوي المنطق والحجة مستنداً إلى القرآن والسنة.. والإسرائيليات بلاء عام ابتليت به مصادرنا كما ابتليت به مصادر الشيعة ، فلا يصح أن نقول إنه جاءنا منهم..

إن هذا الموقف شبه المنصف لهذا الفقيه يدل على اطلاعه على مصادر السنة وشئ

من مصادر الشيعة.. ولكنني مطمئن بأنه لو اطلع أكثر لقال: إن بلاء الإسرائيليات في مصادر المسلمين وإن كان مشتركاً بين السنة والشيعة ، إلا أن منبعه عند السنة وبعض ترشحاته عند الشيعة ، والسبب في ذلك أن السلطة كانت بيد خلفاء السنة وأئمتهم ، وكان علماء اليهود وحملة ثقافتهم يتقربون إليهم فقربوهم وأجازوا لهم بث ثقافتهم في المسلمين ! أما الشيعة فكانوا أقلية محكومين ، وكان اليهود يتعدون عنهم خوفاً من غضب السلطة .

ولو اطلع أكثر لقال: أما علي والأئمة من أهل بيت النبي فلم يكونوا بحاجة لأن تكون لهم علاقات ثقافية مع اليهود والنصارى ، بل كانوا يأنفون من الإستماع إلى علومهم المحرفة.. ولم يعهد عنهم أنهم مدحوا شخصيات أهل الكتاب أو ثقافتهم بكلمة واحدة ، بل كانوا أقوى المناظرين لهم ، وكان المسلمون إذا أخرجوا في مسألة من أهل الكتاب هرعوا إلى أهل بيت نبيهم ﷺ ليأخذوا جوابها..

ومن المعروف عن علي عليه السلام أن حاكماً يهودياً قال له: سرعان ما اختلفتم في نبيكم. يقصد في أمر الخلافة. فأجابه عليه السلام: نحن لم نختلف في نبينا بل اختلفنا عنه ، وأما أنتم

فما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء !!

إننا على يقين بأن الباحثين المنصفين في سلوك أهل البيت وفقههم والعلوم التي أثرت عنهم ، سوف يصلون إلى نتيجة تقول: إن أصفى المذاهب وأبعدها عن التأثير بثقافة أهل الكتاب: هو مذهب أهل البيت عليه السلام .

الفصل العاشر

أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر!

بدأ نشاطهم بعد النبي ﷺ واستمر إلى يومنا هذا !

رأى أتباع الخلافة القرشية أن كل أمرهم يتوقف على تصحيح عمل السقيفة ، فأشاعوا نشر تقديس شخصية عمر وأبي بكر ، وبقية زعماء قريش ، مقابل قداسة عترة النبي الطاهرين ﷺ الذين تعلم المسلمون الآيات والأحاديث فيهم ، وشاهدوا فيهم مناقبية الأوصياء في القول والعمل !

ولا نتكلم هنا عن أعمال أتباع الخلافة في تبرير عزل زعماء قريش لأهل البيت واضطهادهم وتنقيص مقامهم ! ولا عن أعمالهم في آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ في عترته أهل بيته ﷺ . وإنما عن أعمالهم لرفع مقام الصحابة من أجل عمر وأبي بكر ، فقد جعلوا لعمر مقام النبي بلا نبوة ، ومقام العصمة بدرجة أعلى من عصمة النبي ﷺ ، وقد أوردنا عدداً من مسائل هذا الموضوع في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين) في الفصل ٢١ و٢٢ ، ونكتفي هنا ببضعة أعمال يتسع لها هذا الكتاب:

الأول: حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

في القرآن عدد من الآيات في مدح الصحابة ، وأضعافها في انتقادهم ! وهذا طبيعي لأن القرآن تنزل في ثلاث وعشرين سنة ، ليثبت الله به قلب نبيه ﷺ في تبليغه الرسالة وبناء الأمة ، قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. (الفرقان: ٣٢-٣٣).

وليوجه أمة النبي ﷺ وأصحابه ، فيمدحهم عندما يحسنون ، ويشجعهم عندما يضعفون ، ويؤنبهم عندما يقصرون ! واذكروا نعمة الله عليكم وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. (البقرة: ٢٣١). وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (آل عمران: ١).

وقد ضخمت السلطة بعد النبي ﷺ آيات مدح الصحابة ، وتناست آيات نقدهم وذمهم ! وبالغت في ذلك حتى جعلت صاحبها معصومين عملياً ، لتثبت أنهم الورثة الشرعيون للنبي ﷺ مع أن أهل البيت النبوي ﷺ أهل بيت وصحابة! ومن الحقائق الملفتة أن احتجاج أتباع الخلافة بهذه الآيات ، ظهرت في عهد معاوية ولم يكن لهما وجود في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ! فغاية ما تجده عن عمر أنه فضل أهل بدر بالعطاء على غيرهم ، وحكم بأن الخلافة يجب أن تكون فيهم وأنها حرام على الطلقاء! قال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، ثم في كذا وكذا وليس فيها لطيق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء. أخرجه الثلاثة). (أسد الغابة: ٣٨٧/٤ ، وفتح الباري: ١٣/١٧٨ ، والطبقات: ٣/٣٤٢ ، وابن عساكر: ١٤٥/٥٩ ، وكنز العمال: ١٢/٦٨١).

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٢٩٣

بل إن شهادتهم لأهل بدر بالجنة ، التي رواها بخاري في: ٤/ ١٩ ، وعدة مواضع أخرى ، والتي تقول إن النبي ﷺ قال: (وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). لم يروها أحد عن أبي بكر ولا عمر ! مع أنها لو كانت صحيحةً لاحتجاً بها فيما احتجاً !

إن هذا يدل على أن أتباع الخلافة اتخذوا فيما بعد قرارهم بتعظيم الصحابة بآيات وأحاديث ، وإشاعتها في المسلمين ، فملأوا بها مصادرهم ، وربوا عليها أولادهم ، وأنسوهم آيات توبيخ الصحابة ، وأحاديث دخول أكثرهم النار ! وحرموا على المسلمين انتقادهم ، بل أفتوا بكفر من ارتكب ذلك وقتله !

قال الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية ص ٦٣: (باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة ، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم ، وإنما يجب فيمن دونهم . كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم ، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله (ص) لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن .

فمن ذلك قوله تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل وهو وارد في الصحابة دون غيرهم .

وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

وقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وقوله تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فِي آيَاتٍ يَكْثُرُ إيرادها ويطول تعدادها...). انتهى.

ولو سألتهم أولاً: أين الآيات الأخرى في الصحابة ، لنقارنها بآيات مدحهم ونجمع بينها وبينها ، كقوله تعالى عن النبي ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفاً فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (الأنفال: ١٥-١٦)

لما كان عندهم جواب ، لأن الصحابة جميعاً ، ما عدا بني هاشم ، فروا في أحد وخير وحنين ، وغيرها ، واستحقوا بنص الآية نار جهنم ، إلا من ثبتت توبته !

وثانياً ، لو قلنا لهم: ما هي أقوى آية عندكم في مدح الصحابة؟ لقالوا: إنها قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ، فقد نصت على رضا الله عن أهل بيعة الرضوان ، وكانوا ألفاً وأربع مئة ، ولذا حكمنا بأنهم من أهل الجنة .

نقول لهم: إن أهل بيعة الرضوان أو الشجرة ، فيهم مؤمنون وفيهم دون ذلك ، والرضا ورد في الآية عن المؤمنين فقط ، واستمراره عن هؤلاء المؤمنين مشروط بأن لا يحدثوا ما يغضب الله عليهم ويحبط عملهم !

فلو كان كل المبايعين مؤمنين والرضا عنهم مطلق ، لقال عز وجل: لقد رضي

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٢٩٥

الله عن الذين يُبايعونك ، وما قيده بالمؤمنين ، وبظرف (إِذْ يُبَايِعُونَكَ) ! فاختياره لهذين القيدين ، تحفظُ إلهي كبير ، يدل على أن رضاه محدود في الأشخاص ، وفي الظرف !

وثالثاً ، لماذا نسيتم العقد الذي بايعوا عليه النبي ﷺ ، فكان سبب رضا الله عنهم ، والذي جعلتموه رضاً مستمراً وعصمة شاملة؟ فقد صرحتم بأنهم بايعوه على أن يقاتلوا معه ولا يفروا ! قال بخاري: ٨/٤: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ، وقال بعضهم على الموت ، لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ... فسألت نافعاً على أي شيء بايعهم على الموت؟ قال: لا بايعهم على الصبر). انتهى .

فكيف يستمر رضا الله عليهم وقد نكثوا بيعتهم وفروا في خيبر وحنين ، وكاننا بعد بيعة الشجرة؟ والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ! (الفتح: ١٠) .

قال ابن طاوس في الطرائف ص ٥٨: (رواه علماء التاريخ مثل محمد بن يحيى الأزدي ، وابن جرير الطبري (١) والواقدي ، ومحمد بن إسحاق ، وأبي بكر البيهقي في دلائل النبوة (٢) وأبي نعيم في كتاب حلية الأولياء (٣) والأبشهي في الاعتقاد ، عن عبد الله بن عمر ، وسهل بن سعد ، وسلمة بن الأكوع ، وأبي سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، أن النبي ﷺ بعث أبا بكر برايته مع المهاجرين وهي راية بيضاء ، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه ، ثم بعث عمر بعده فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه ، حتى ساء ذلك النبي ﷺ فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاهما علياً ففتح على يديه (٤) .

(وفي هامشه: (١) تاريخ الطبري: ٩٣/٣ ط بيروت. (٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى: ١٠٦/٩ ، وكذا في الإعتقاد: ١٥١. (٣) حلية الأولياء: ٦٢/١ و: ٣٥٦/٤ ، والحاكم النيسابوري في المستدرک: ٣٨/٣. (٤) محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٨٢ ، وابن حجر في الصواعق المحرقة: (٧٢). انتهى .

وقال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. (التوبة: ٢٥).

وفي صحيح بخاري: ١٠١/٥: (عن أبي قتادة قال: وانهزم المسلمون يوم حنين وانهزمت معهم فإذا عمر بن الخطاب في الناس فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله (!! ونحوه: ٥٨/٤ .

فكيف يجوز التمسك بآية: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، وترك قوله عن الفار: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وقوله عن الناكث: فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ؟!

ورابعاً ، سواء كان المدح في الآية لكل من بايع كما تقولون ، أو لبعضهم كما نقول ، فإن أهل البيت عليهم السلام في طليعتهم ، فهم شركاء للصحابة فيها ، مضافاً إلى ما اختصوا به من آيات وأحاديث ، فكيف يصح رفع الصحابة إلى مرتبتهم لأنهم شاركوهم في مديح ؟!

وخامساً ، ما ذا يعني عندكم نص القرآن على رضا الله عز وجل عن أناس ؟ هل يعني عصمتهم ، وأنهم حجة على المسلمين يجب عليهم الاقتداء بهم ؟ فتكون سنتهم وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة شرعية كالنبي صلى الله عليه وآله ؟

وإذا اختلفوا واقتتلوا ، فهل يكون إجماعهم فقط هو الحجة ؟ أم يجوز للمسلم أن يقتدي بأي واحد منهم كما روitem: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ؟!

فيصح الاقتداء بسعد بن عباد وأهل البيت عليهم السلام في رفضهم لخلافة السقيفة ؟

وسادساً ، كيف تقولون إن الرضا الإلهي شمل كل أهل بيعة الشجرة فكلهم

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٢٩٧

في الجنة ، وفيهم رأس المنافقين ابن سلول ، وفيهم ابن عديس البلوي قاتل عثمان ، وفيهم أبو الغادية قاتل عمار الذي شهد النبي ﷺ بأنه من أهل النار؟!

هذه مناقشة عابرة في أهم آية عندهم في مدح الصحابة ، التي حاولوا بها رفعهم إلى صف أهل البيت ﷺ. ولا يتسع المجال لبسط القول فيها وفي غيرها.

الثاني: غيبوا الآيات الصريحة في نقد الصحابة وذمهم !

فمنها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ (النساء: ١٣٦) ، وهو خطاب يشمل الصحابة ويأمرهم أن يؤمنوا ، ويدل على أنهم كغيرهم ، فيهم كامل الإيمان وناقصه !

وتدل الآية التالية على أنهم كغيرهم من الناس ، فأكثرهم موحد في الظاهر ، مشرك في الواقع: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ... وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ. (يوسف: ١٠٣ و١٠٦).

كما أن منهم من لبس إيمانه بظلم: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. الأنعام: ٨٢

ومنهم من يؤذي النبي ﷺ: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ (التوبة: ٦١).

ومنهم يفتری على النبي ﷺ ويتهم عرضه: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. (النور: ١١).

ومنهم منافقون لا يعلمهم حتى النبي ﷺ: وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ. التوبة: ١٠١

ومنهم من يريد الحياة الدنيا فيهرب من المعركة: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ. آل عمران: ١٥٢

ويتهم الله ورسوله لتغطية جبهه: وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا. الأحزاب: ١٠ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. الأحزاب: ١٢

ومنهم من يتسلل هرباً من أمر النبي ﷺ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. النور: ٦٣

ومنهم من يتناقل عن الجهاد مع النبي ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ! التوبة: ٣٨

ومنهم من يثبط المؤمنين عن الجهاد مع النبي ﷺ: وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شُهَدَاءَ. النساء: ٧٢

ومنهم بخيلٌ بماله فكيف بدمه: هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ. محمد: ٣٨

ومنهم من يخون الله ورسوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الأنفال: ٢٧

ومن يتبع خطوات الشيطان: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. النور: ٢١

ومنهم من يسقط في الفتنة: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ. العنكبوت: ١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ. العنكبوت: ١١

ومنهم صاحب أضغان وعقد: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَهُ اللَّهُ

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٢٩٩

أَضْغَانَهُمْ. مُحَمَّدٌ: ٢٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَارَيْنَا كَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ. مُحَمَّدٌ: ٣٠

ومنه في معرض الردة والكفر: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا. النساء: ١٣٧

ولم ينته امتحانهم بوفاة النبي ﷺ: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ. مُحَمَّدٌ: ٣١

ومنهم من سيرتد وينقلب على عقبيه بعد النبي ﷺ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. (آل عمران: ١٤٤)

ومنهم الخائن العميل للكافرين: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة: ١٦

ومنهم من هو من اليهود أو النصارى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. المائدة: ٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. المائدة: ٥٢

وهم مثل أتباع الأنبياء السابقين منهم الصالح ومنهم الطالح: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ٦٢

ولا نريد بذلك أن ننقص من حق صحابة النبي ﷺ، ففيهم أبرار أخيار ومجاهدون أئمة ، نزلت فيهم آيات مديح فريدة ، وصدرت بحقهم شهادات

نبوية خالدة ، لكنها تخص الصالحين منهم ، دون المنافقين ، ومرضى القلوب وضعفاء العقيدة. فلا بد من ميزان لمعرفةهم .

لا بد من ميزان لتقييم الصحابة

كان الميزان رسول الله ﷺ ، أما بعده فالميزان عترته الطاهرون عليهم السلام الذين قال فيهم في حديثه المتواتر عند الجميع: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. وقال في أولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام): (علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي. حبه إيمان وبغضه نفاق ، والنظر إليه رافة ومودة وعبادة . (فردوس الأخبار: ٦٤/٣) وروى الحاكم: ١٢٩/٣: عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله ، والتخلف عن الصلوات ، والبغض لعلي بن أبي طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه. (ورواه أحمد في فضائل الصحابة: ٦٣٩/٢).

وفي صحيح مسلم: ٦٠/١ ، تحت عنوان: باب حب علي من الإيمان: عن زر بن حبیش قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي (ص) إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق. (ورواه ابن ماجه: ٤٢/١ ، والنسائي في سننه: ١١٥/٨ و١١٧ وفي خصائص علي: ١٣٧٥ ، وأحمد: ٨٤/١ و٩٥ و١٢٨ وفضائل الصحابة: ٢٦٤/٢ ، وابن أبي شيبه في مصنفه: ٥٦/١٢ ، وعبد الرزاق في مصنفه: ٥٥/١١ ، وابن أبي عاصم في السنة: ٥٨٤٢ ، وابن حبان في صحيحه: ٤٠/٩ ، والخطيب في تاريخ بغداد: ٢٥٥/٢ و٤٢٦/١٤ ، وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣٧/٣ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١٨٥/٨ ، وابن حجر في الإصابة: ٥٠٣/٢ ، والحاكم في المستدرک: ٣/١٣٩ ، والبيهقي في سننه: ٤٧/٥ ، وابن حجر في فتح الباري: ٥٧/٧).

وفي فتح الباري: ٧٢/٧: وفي كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبني ما أحبني ! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٠١
منافق). انتهى .

ويطول الكلام لو أردنا استعراض ما دل على أن علياً والعتره الطاهرة عليهما السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق ، فبهم فقط نستطيع أن نعرف المرضيين وغير المرضيين من الصحابة ، من أهل السقيفة وغيرهم.

الثالث: وضعوا أحاديث في مدح الصحابة وعصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العتره عليهما السلام

قال الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٦٤: (ووصف رسول الله (ص) الصحابة مثل ذلك (مثل الآيات) وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم. فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى: ما أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس... عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ص) قال: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق إيمانهم شهادتهم ويشهدون قبل أن يستشهدوا... ثم رواه الخطيب عن أبي هريرة وعمران بن حصين ، وروى بعده:

عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مدّ أحدكم ولا نصيفه...

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): مهما أوتيت من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه ، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية ، فإن لم تكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأياها أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة...

عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص): سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي ، فأوحى الله إليّ يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء ، بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من

اختلافهم فهم عندي على هدى....

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهاري وجعلهم أنصاري ، وإنه سيجئ في آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحهم ، ألا فلا تنكحوا إليهم ، ألا فلا تصلوا معهم ، ألا فلا تصلوا عليهم ، عليهم حلت اللعنة.

وتابع الخطيب: الأخبار في هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن ! وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم ، إلى تعديل أحد من الخلق له ، فهو على هذه الصفة ، إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل ، فيحكم بسقوط العدالة ، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه .

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصرة في الدين وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم والإعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين ، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين ! هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء .

وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم وسفك بعضهم دماء بعض ، فصار أهل تلك الحروب ساقطي العدالة ، ولما اختلطوا بأهل النزاهة ، وجب البحث عن أمور الرواة منهم . وليس في أهل الدين والمتحققين بالعلم من يصرف إليهم خبر ما لا يحتمل نوعاً من التأويل ، وضرباً من الاجتهاد ، فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء ، المجتهدين في تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه .

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٠٣

ويجب ان يكونوا على الأصل الذي قدمناه من حال العدالة والرضا ، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم .

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمداني ، ثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول: سمعت أحمد بن محمد بن سليمان التستري يقول: سمعت أبا زرعة يقول: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق ! وذلك أن الرسول (ص) عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله (ص) ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة . انتهى .

وكلام أبي زرعة الذي رواه الخطيب البغدادي في سياق الأحاديث كأنه حديث شريف ! يدل على تصعيد محاولتهم في الدفاع عن أبي بكر وعمر وأتباعهما ، بحصر سند الإسلام والقرآن بهم ، وجعل التشكيك فيهم تشكيكاً في سند الإسلام ! وكأن كل أمة الإسلام ماتت بعد النبي ﷺ وضاع الإسلام ، ولا يوجد سند لإثباته إلا رواية هؤلاء !!

أما الأحاديث التي ذكرها الخطيب في فضلهم ، فكلها ضعيفة أو موضوعة ، بدون استثناء ، بشهادة النقاد من علمائهم ! ولا يتسع المجال لبيان ذلك .

وقال القاضي الجرجاني في شرح المواقف: ٣٧٣/٨ ، وهو من كبار متكلمي المذاهب السنية: (المقصد السابع: إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم ، والكف عن القدح فيهم لأن الله سبحانه وتعالى عظمهم وأثنى عليهم ، في غير موضع من كتابه ، كقوله: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وقوله: يوم لا يخزي الله

النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم. وقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقوله: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم قدرهم وكرامتهم عند الله .
والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم في أحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومنها قوله: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ومنها قوله: الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه. إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة في الكتب الصحاح .

ثم إن من تأمل سيرتهم ، ووقف على ما أثرهم ، وجدهم في الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم في نصره الله ورسوله ، لم يتخالجه شك في عظم شأنهم ، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن ، ومنعه ذلك أي يقينه بحالهم عن الطعن فيهم ، فرأى ذلك مجانباً للإيمان.

ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك ، وهي مذكورة في المطولات مع التفصي عنها ، فارجع إليها إن أردت الوقوف عليها .

وأما الفتن والحروب الواقعة بين الصحابة ، فالهشامية من المعتزلة أنكروا وقوعها ! ولا شك أنه مكابرة للتواتر في قتل عثمان ووقعة الجمل وصفين .

والمعتزلة بوقوعها ، منهم من سكت عن الكلام فيها بتخبط أو تصويب ، وهم طائفة من أهل السنة. فإن أرادوا إنه اشتغال بما لا يعني فلا بأس به ، إذ قال الشافعي وغيره من السلف: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنظهر عنها ألسنتنا. وإن

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٠٥

أرادوا إنا لا نعلم أوقعت أم لا؟ فباطل ، لوقوعها قطعاً ، وأنت خير بأن الشق الثاني من التردد ينافي بالإعتراف بوقوعها .

واتفق العمرية أصحاب عمرو بن عبيد ، والواصلية أصحاب واصل بن عطاء على رد شهادة الفريقين ، قالوا لو شهد الجميع بباقة بقلة لم نقبلها ، أما العمرية فلأنهم يرون فسق الجميع من الفريقين .

وأما الواصلية فلأنهم يفسقون أحد الفريقين لا بعينه ، فلا يعلم عدالة شئ منهما . والذي عليه الجمهور من الأمة هو: أن المخطئ قتلة عثمان ومحاربوا علي لأنهما إمامان فيحرم القتل والمخالفة قطعاً ، إلا أن بعضهم كالقاضي أبي بكر ذهب إلى أن هذه التخطئة لا تبلغ إلى حد التفسيق . ومنهم ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا . انتهى .

وقد كشف الجرجاني وجود آراء مختلفة تدين أكثر الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، لكنه مرَّ عليها مروراً وركَّز على بضعة أحاديثهم الموضوعة المتقدمة ! ونكتفي هنا بمناقشة واحد منها:

نقد حديث: خير القرون قرني

روى البخاري: ١٧٣/٧ ، عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم ، وأيمانهم شهادتهم . ورواه أيضاً بصيغة: خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم - قال عمران فما أدري قال النبي بعد قوله مرتين أو ثلاثاً - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السَّمنُ . انتهى . ومعنى السَّمنُ: البدنة من الترف وكثرة الأكل . (وكرر روايته في: ٢٢٤/٧ ، و ٢٣٣)

ومعناه أن التاريخ الإسلامي يسير إلى الإنحدار ، والأمة إلى الزوال !

وأصل الحديث هو تصور عمر لمستقبل الإسلام وأمته ، وأنه كالبعير سيهرم ويموت! ففي مسند أحمد: ٤٦٣/٣: (قال كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله (ص) ينعت الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الإسلام بدأ جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سدسياً ثم بازلاً! قال فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان!! (ورواه في: ٥٢/٥ ، وقال في لسان العرب إن الذي سأله عمر هو العلاء بن الحضرمي).

وقال الزبيدي في تاج العروس: ٢٤٥/٩: (وأدنى الأسنان الإثناء ، وهو أن تنبت ثنياتها ، وأفصاها في الإبل البزول ، وفي البقر والغنم السلوغ).



وأصل الفكرة من كعب الأخبار الذي أقنع عمر بأن الإسلام سوف ينتهي ، وأن الكعبة سوف تهدم ، ومكة ستخرب ! فقد عقد البخاري باباً في: ١٥٩/٢ ، بعنوان: (باب هدم الكعبة!) روى فيه (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة!) (ورواه مسلم: ١٨٣/٨) ثم روى البخاري حديثين آخرين ، أحدهما عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً! ومن الثابت أن أبا هريرة كان يروي عن كعب ويسنده إلى النبي ﷺ مع أن كعباً لم ير النبي ﷺ! ويبدو أن عمر يفعل ذلك أيضاً لشدة ثقته بكعب!

ففي مسند أحمد: ٢٣/١: عن عمر أنه سمع رسول الله (ص) يقول: سيخرج أهل مكة ثم لا يعبر بها أولاً يعبر بها إلا قليل ، ثم تمتلئ وتبنى ، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً!) (وقال عنه في مجمع الزوائد: ٢٩٨/٣: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفي مسند أحمد: ٢٢٠/٢: (عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٠٧

كسوتها! ولكأنني أنظر إليه أصيلع أُقْدِع ، يضرب عليها بمسحاته ومعوله)! انتهى.

الخط البياني للأمة.. نزول ثم صعود !

كل من قرأ القرآن يعرف أن الله تعالى وعد أن يظهر دينه على الدين كله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) . وكل من قرأ الحديث يعرف أن النبي ﷺ أخبر أمته عن مستقبلها ومسارها وأنها ستصاب بالإنحراف والضعف ، ثم يبعث الله فيها المهدي من عترته ﷺ فيظهر به دينه على الدين كله ، وينزل فيها عيسى ﷺ من السماء ليساعده.

فهي أحاديث متواترة روتها مصادر السنين ومصادر أهل البيت ﷺ، منها ما رواه الإمام الصادق ﷺ عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أبشروا ثم أبشروا- ثلاث مرات- إنما مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره ، إنما مثل أمتي كمثل حديقة أطعم منها فوج عاماً ، ثم أطعم منها فوج عاماً ، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعماقها طولاً وفرعاً ، وأحسنها جنياً ! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنان عشر من بعدي من السعداء وأولي الألباب ، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟! ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج ، ليسوا مني ولست منهم). (الخصال ص ٤٧٥، وكمال الدين ص ٢٦٩، وعيون أخبار الرضا ﷺ: ٥٦/٢).

لكنك ترى علماء السلطة القرشية يتعمدون الإعراض عن هذه الأحاديث ويرجحون عليها حديث خير القرون المزعوم ، لأنه بتصورهم يُفَضِّلُ الصحابة الذين يحبونهم ، أي أبا بكر وعمر ، على كل البشر ، وهذا مطلوبهم حتى لو خربت الدنيا ، وهدمت الكعبة ، وانتهى الإسلام !!

وقد تمحلوا في تأويل الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تفضل جيلاً أو أشخاصاً آتين من الأمة على جيل الصحابة ، مثل حديث: (تأتي أيام للعامل فيهن

أجر خمسين، قيل: منهم أو من أيا رسول الله؟ قال: بل منكم).
فهاجموا كل نوع من هذه الأحاديث تأويلاً وتمييعاً وتضعيفاً، لتسلم لهم مقولة
أن الصحابة أفضل من الجميع! (راجع الفصل السادس عشر من المجلد الأول،
لترى تأثير اليهود في نشر عقيدة أن الأمة الإسلامية تسير في خط نزول مستمر
إلى فنائها! وأن القرآن سيرفع من الأرض، والكعبة ستهدم، ومكة ستخرب فلا
تسكن بعدها أبداً).

تخبط الشراح في حديث خير القرون قرني!

قال النووي في مقدمة شرح مسلم: ٣/١: (المُكْرَمُ بتفضيل أمته زادها الله شرفاً على
الأمم السابقين، ويكون أصحابه خير القرون الكائنين، وبأنهم كلهم مقطوع
بعد التهم عند من يعتد به من علماء المسلمين). وقال في: ٨٤/١٦: (اتفق العلماء
على أن خير القرون قرنه (ص)، والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحيح الذي
عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي (ص) ولو ساعة فهو من أصحابه. ورواية
خير الناس على عمومها والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي
على الأنبياء (ص) ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة
القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملة... الخ). ثم ذكر النووي اختلافهم في القرن،
من عشر سنوات إلى مئة وعشرين سنة!

فانظر كيف فسر القرن بالمجموع الكلي للأصحاب، وفضلهم على المجموع
الكلي لأناس كل قرن! وهذا معنى قوله (جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملة)
ولكنه يقول لا يلزم منه ذلك!

ولو أنصف لقال: يلزم منه أنهم أفضل من المجموع الكلي لأناس القرون
الماضية والآتية مجتمعين، لأن تفضيلهم جاء مطلقاً!

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٠٩

ويبدو أن البخاري لم يرو: خير القرون قرني ، فراراً من التعميم الذي فيه ، ولكنه روى: خير الناس قرني ، فوقع فيما فرّ منه !

قال الشوكاني في نيل الأوطار: ٢٢٨/٩: (وحديث أبي هريرة أن خير القرون قرنه (ص) ، وفي ذلك دليل على أنهم الخيار من هذه الأمة ، وأنه لا أكثر خيراً منهم. وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك باعتبار كل فرد فرد. وقال ابن عبد البر: إن التفضيل إنما هو بالنسبة إلى مجموع الصحابة ، فإنهم أفضل ممن بعدهم ، لا كل فرد منهم. وقد أخرج الترمذي بإسناد قوي ، من حديث أنس مرفوعاً: مَثَلُ أُمِّي مَثَلُ الْمَطَرِ ، لا يدرى أوله خير أم آخره.....

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير بإسناد حسن قال رسول الله (ص): ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً.....

وأخرج أحمد ، والدارمي ، والطبراني بإسناد حسن ، من حديث أبي جمعة قال: قال أبو عبيدة: يارسول الله أحد خير منا ، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم ، يؤمنون بي ولم يروني. وقد صححه الحاكم.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رفعه: بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ ، فطوبى للغرباء.

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث ثعلبة رفعه: تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل: منهم أو منا يا رسول الله ؟ قال: بل منكم

وجمع الجمهور ، بأن الصحابة لها فضيلة ومزية لا يوازيها شئ من الأعمال ، فلمن صحب النبي (ص) فضيلة الصحبة وإن قصر في الأعمال ، وفضيلة من بعد الصحابة باعتبار كثرة الأعمال المستلزمة لكثرة الأجور ، فحاصل هذا الجمع أن التنصيب على فضيلة الصحابة باعتبار فضيلة الصحبة ، وأما باعتبار أعمال الخير فهم كغيرهم...فتقرر بما ذكرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور...

والذي يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لا يشاركونهم فيها من بعدهم ، وهي صحبته (ص) ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه ، ولمن بعدهم مزية لا يشاركونهم الصحابة فيها وهي إيمانهم بالغيب في زمان لا يرون فيه الذات الشريفة ، التي جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان ، لإمن حقت عليه الشقاوة....). انتهى.

فتكون النتيجة عند الشوكاني قريبة من التساوي !!

ثم تابع الشوكاني: (فإن قلت: ظاهر الحديث المتقدم عن أبي عبيدة قال: يارسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولا يروني ، يقتضي تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة. قلت: ليس في هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع ، وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع، ولاشك أن حديث خير القرون قرني أرجح من هذا الحديث بمسافات ، لو لم يكن إلا كونه في الصحيحين وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول.... فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم)!

أما ابن حجر فقد بحث في أول المجلد السابع من فتح الباري حديث خير القرون وأفضلية الصحابة ، بحثاً مطولاً كغيره ، فقوّى رأي البخاري في أن الصحابي من رأى النبي ﷺ ! وأفتى بأن من قاتل منهم أو أنفق فهم خير البشر على الإطلاق ! ثم قال: (لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث ، وإلى الثاني نحا الجمهور ، والأول قول ابن عبد البر. والذي يظهر أن من قاتل مع النبي (ص) أو في زمانه بأمره ، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه ، لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان ! وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث ، والأصل في ذلك قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣١١

أَوْلَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا.. الآية

واحتج بن عبد البر بحديث: مثلُ أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ، وهو حديث حسن ، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة .

وقد روى بن أبي شعبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله(ص): ليدركنَّ المسيح أقواماً ، إنهم لمثلكم أو خير. ثلاثاً ، ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها .

وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه: تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين. قيل: منهم أو منا يا رسول الله ؟ قال: بل منكم ، وهو شاهد لحديث مثل أمتي مثل المطر .

واحتج بن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه: أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني..الحديث ، أخرجه الطيالسي وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

وروى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال قال أبو عبيدة: يا رسول الله أحدٌ خير منا ، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني ، وإسناده حسن وقد صححه الحاكم .

واحتج أيضاً بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ ، وصبرهم على أذاهم ، وتمسكهم بدينهم ، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن ، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء ، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

وقد تعقب كلام بن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد

الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة ، وبذلك صرح القرطبي ، لكن كلام بن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة ، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية ، نعم ، والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله (ص). انتهى.

ثم واصل ابن حجر محاولته لترجيح هذا حديث خير القرون على ما يعارضه بكلام طويل ، ومما قاله: (وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه ، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم ، ورواه بعضهم بلفظ: قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً.. الحديث...). انتهى.

وتلاحظ أنه أسقط حديث أبي جمعة عن الصلاحية لمعارضة حديث القرون لتفاوت ألفاظه ، وهو يعرف أن ألفاظ حديث القرون متفاوتة ومتعارضة ، وأن صيغته تزيد على العشرة ، وقد تضمن بعضها شتماً لكل أجيال المسلمين الآتية ! كالذي في فيض القدير: ٦٣٨/٣: (خير الناس قرني الذين أنا فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، والآخرين أراذل) ! انتهى. يقصد الذين من بعدهم !!

ثم ختم ابن حجر بقوله: (واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل ، وهذا محمول على الغالب والأكثرية) ! انتهى. وبذلك حصر أمر التفضيل على العالمين في أبي بكر وعمر ومن تبعهما ! وهو بيت قصيدهم ، في هذه المسألة وغيرها !

قال المناوي في فيض القدير: ٢٣٣/٢: (وأما خبر خير الناس قرني فخاص بقوم منهم ، والمراد في قرني كالعشرة وأضرابهم ، وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أواخر هذه الأمة). انتهى.

فاتجاههم إلى تضيق المقصود بالحديث ، ثابتٌ مستمر ، حتى يصل الأمر إلى

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣١٣

العشرة المبشرة ، ثم يصل منهم إلى عمر وأبي بكر خاصة !

الرابع: ردهم شهادات النبي ﷺ في انحراف الصحابة بعده

يحمد الله الشوكاني على أنه لم يبق إشكال على حديث القرون (خير القرون قرني) وأنه ثبت به تفضيل أبي بكر وعمر ، على أهل القرون !
أما ابن حجر فتخيل أنه عثر على علل في الأحاديث المعارضة لحديث القرون في سند بعضها ، ونقاط ضعف في تفاوت ألفاظ بعضها !

ومن العجيب أن هؤلاء الباحثين يرجحون حديث القرون وهو حديث واحد لراويين أو ثلاثة ، على أحاديث الحوض وهي عشرات الأحاديث الصحيحة الصريحة ، المتعددة الطرق والرواة إلى حد التواتر ، بل تراهم يذكرونها على مضض كأنهم مجبرون ! والسبب أنها نصّت على أن أكثر الصحابة في النار ! وأنه لا ينجو منهم إلا مثل هَمَل النعم ، أي القلة الذين لاراعي لهم !

قال البخاري: ٢٠٨/٧: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: (بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زَمَرَةَ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ ، فَقُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ ! قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدَوْا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ! ثُمَّ إِذَا زَمَرَةَ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ ! قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ ! قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدَوْا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ! فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النِّعَمِ) !! انتهى.

وقد قتل شراح البخاري أنفسهم لإبعاد هذه الأحاديث عن الصحابة وإصاقها بغيرهم ، وقالوا إن النبي ﷺ يقصد الذين ارتدوا في اليمن ونجد !

لكن رواية البخاري التالية صرحت بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض الصحابة لا البدو المرتدين! قال في: ٩٧٥/٢: (عن ابن المسيب أن النبي (ص) قال:

يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ رَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْلُثُونَ عَنْهُ ، فَأَقُولُ يَا رَبُّ أَصْحَابِي ! فَيَقُولُ:
فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، إِنَّهُمْ ارْتَدَوْا عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَرَى!

(وروى شيبهاً به في: ٨٦/٨ ، وشيبهاً بالأول في: ١٩٥/٧ و ٢٠٧-٢١٠ وص ٨٤ و ٨٧ و ٨٦/٨ و ٨٧ ، ونحوه مسلم: ١٥٠/١ و ٦٦/٧ وابن ماجه: ١٤٤٠/٢ وأحمد: ٢٥/٢ و ٤٠٨ و ٢٨/٣ و ٢١/٥ و ٢٤ و ٥٠ و ١٦/٦ ، والبيهقي في سننه: ٤/١٤ ، ونقل رواياته المتعددة في كنز العمال: ١٥٧/١٣ و ٤٨/١٤ و ٦٤٧/١٥ وقال رواه (مالك والشافعي حم م ن- عن أبي هريرة. وأورد ابن حجر في فتح الباري: ٣٣٣/١١ ، قرابة عشرين حديثاً في الحوض والصحابة المطرودين عنه) .

وفي مسلم: ١٥٠/١ ، (عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه ، قالوا يا نبي الله أتعرفنا ؟ قال: نعم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء. وَلَيَصِدَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ فَأَقُولُ يَا رَبُّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي! فَيَجِيبُنِي مُلْكٌ فَيَقُولُ: وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟!) .

وفي مسلم: ٧٠/٧: (عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال: لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريبة من الإبل). (ورواه أحمد: ٢٩٨/٢ ، المسند الجامع تحقيق د. عواد: ٣٤٣/٣ و ١٣٥/٥ و ١٨ و ٤٧١/١ ، والبيهقي في البعث والنشور ص ١٢٥ ومجمع الزوائد: ١٠/٦٦٥).

فهل يعقل من الذي أخبر بوحي رب العالمين عن مستقبل الصحابة الرهيب في جهنم ، أن يقول عنهم إنهم خير القرون ، وأفضل من جميع العالمين؟!



وهل يعقل من الذي لم يرض أن يسميهم إخواني ﷺ ، لأنهم سينقلبون من بعده ، أن يقول عنهم إنهم خير القرون ! ففي صحيح مسلم: ١٥٠/١: (وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال! أناديهم ألا هلم ،

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣١٥

فيقال إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول سحقا سحقا!). ورواه أحمد في مسنده: ٣٠٠/٢، وص ٤٠٨، والبيهقي في سننه: ٨٣/١ و ٧٨/٤، وابن حبان: ٣٢١/٣، ومجمع الزوائد: ٦٦/١٠، وغيرهم بدون نقیصة، لكن رواه النسائي في سننه: ٩٣/١، وحذف آخره لأن فيه ذم الصحابة!



وهل يعقل أن يكون الصحابة خير أهل القرون ، ثم يكون قطيعهم وأكثريتهم من أهل النار ، ولا ينجو منهم ولا يدخل الجنة إلا قلة قليلة ، يكونون منفردين عن قطيعهم مثل (همل النعم) كالأغنام المنفردة البعيدة عن القطيع !
قال ابن حجر في مقدمته ص ١٩٧: (والخليفة راعي الصحابة بلا شك). انتهى. فمن هم الهمل الناجون ، البعيدون عن قطيع الصحابة الذي راعياه أبو بكر وعمر؟!



الإمام مالك يعرض يديه ندماً لروايته أحاديث الحوض !

تحالف الحسنيون والعباسيون في جبهة واحدة للثورة على الأمويين ، وكانت القيادة للحسينين ، وما أن اشتعلت الثورة في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني حتى بادر العباسيون في الكوفة إلى سرقتها وأقنعوه بالبيعة للسفاح فبايعوا له في الكوفة وأزاحوا الحسينين ، فغضب الحسينيون وسيطروا على اليمن والحجاز والبصرة ، وزحفوا في سبعين ألف مقاتل نحو الكوفة ووصلوا إليها وشارفوا على النصر ، وتهاى أبو جعفر المنصور للهرب ، لكن قائدهم إبراهيم بن عبدالله بن الحسن أصابه سهم طائش فقتل وتفرق جنده ، فاستتب الأمر للعباسيين .

كان مالك بن أنس أفتى بالثورة مع الحسينين ! فعاقبه العباسيون بعد ذلك بالسجن والجلد ، ثم استرضاهم فرضي عنه السفاح والمنصور .

وقد ساء المنصور أن يرى المرجعية الفكرية للأمة متمركزة في الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام فاتخذ قراراته غيظاً من كل أبناء علي عليه السلام بتغيير الخط الفكري لثورة

العباسيين ، وإعادة الإعتبار للخلفاء القرشيين ، بعد أن قامت الثورة الهاشمية على البراءة منهم ، ورفعت في مقابل الأمويين شعار: يالثرات الحسين عليه السلام ، وفي مقابل قريش: الدعوة إلى الرضا من آل محمد ، فقرر المنصور تأسيس مذهب في مقابلهم ، وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاباً موطأً ليلزم به المسلمين ، وحصر الفتوى بمالك ، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا مادام مالك موجوداً فصار قراره مثلاً: (لايفتين أحد ومالك في المدينة) ، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقتله.

وقد استغرق هذا العمل بضع عشرة سنة ، كتب مالك كتابه الموطأ في أولها ، وتبنته السلطة ونشرته ، وبعد نشره أصدر المنصور أمراً للمحدثين والفقهاء والولاة أن لا يرووا شيئاً في فضائل علي عليه السلام ، ولا طعناً بأبي بكر وعمر ، وأن يفضلوهما على علي عليه السلام ! ثم أمر بمدح أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفي وأنوفهم ، وأرفع عليهم بني تيم وعدي). (منهاج الكرامة ص ٦٩). لكن الموطأ كان قد انتشر وفيه أحاديث الحوض وما أدراك ما أحاديث الحوض ! فكان مالك يعرض أصابعه ندماً على وجودها فيه !

قال الحافظ ابن الصديق المغربي في فتح الملك العلي ص ١٥١: (وخرج مالك والبخاري ومسلم حديث الحوض ، الذي حكي عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث (الموطأ: ٤٠/١ ط مصر ١٣٦٩) ! وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إضرار على الصحابة إلا حديث الحوض ووددنا أنه لم يذكره). انتهى .

هذا واقع الصحابة في النص الصحيح عندهم ! لكن السلطة القرشية تريد إخفاءه ورفع الصحابة في مقابل عترة النبي صلى الله عليه وآله وكأنهم ليسوا صحابة ! وكأن

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣١٧

النبي ﷺ لم يقل فيهم: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) !
على أنهم ليسوا حريصين على مدح جميع الصحابة ، بل يريدون مدحاً مجملاً
مبهماً للصحابة ، يمكنهم تفسيره بأبي بكر وعمر ومن تبعهما فقط ، من بين مئة
ألف صحابي رأوا النبي ﷺ !

وحديث: خير الناس قرني ، برأيهم حديث جميل يصلح لهذه الوظيفة !



على أنا لو سلمنا صحة هذا الحديث وقلنا إن النبي ﷺ قال عن مسلمي عصره
إنهم خير البشر ! فهل ينفع هذا المدح المجمل في إثبات عدالة أبي بكر وعمر ،
أو إثبات عصمتهم ؟ فقد يكون سبب الخير وجود العترة النبوية فيهم ﷺ كما
تقول خير العصور عصر رسول الله بسبب وجوده الشريف ﷺ ووجود أهل بيته
الأطهار ﷺ الذين هم معدن الخير ، وبهم كانت الأمة خير أمة أخرجت للناس !
لكن القوم لا يريدونهم ، ولا يريدون عدالة الصحابة ، وإنما اتخذوا حديث
خير القرون جسراً لإثبات عصمة عمر وأبي بكر ! فهي بيت قصيدهم !

بل ، حتى لو قلنا إن سبب هذه الخيرية والأفضلية وجود خمس مئة من
الصحابة الأبرار ، فلا ينفعهم ذلك ، إذا لم يوجد نصٌ يُعينهم ، ومقياسٌ يميزهم ،
فتكون القضية بالنسبة إلى غير أهل البيت ﷺ المخصوصين بالمدح النبوي ، من
نوع الشبهة المحصورة والأواني المشتبهة بين الحلال والحرام ، أو الطاهر
والنجس ، وفتوى مذهبهم فيها وجوب اجتنابها جميعاً إلا ما ثبتت طهارته !

الخامس: قرنوا الصحابة بالنبي ﷺ في الصلاة عليه من أجل عمر!

اتفقت مصادرهم على أن المسلمين سألوا النبي ﷺ كيف نصلي عليك؟ فأمرهم بالصلاة عليه وآله معاً ، وعلمهم صيغتها ! وهذا نصها من البخاري: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). (راجع أيضاً: الأحاديث: ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، ٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٤٧٩٨، ٦٣٦٠).

فهو نصٌ صريحٌ في أن الله تعالى لا يقبل الصلاة على نبيه إلا مقرونة بآله ﷺ. وهو صيغة توقيفية يجب اتباعها في الصلاة وغير الصلاة ، لأن السؤال مطلق: فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ فعلمهم ، ولم يسأله كيف نصلي عليك في صلاتنا ؟ حتى يتفلسف متفلسف فيقول نحن نتقيد بهذه الصيغة في الصلاة ، ونحذف منها ونزيد عليها في غير الصلاة !

من الذي حذف الصلاة على آل النبي؟!

ومن أين جاء قولهم ((ص)) ، أو عليه وآله صحبه وسلم ؟ اعترف الحافظ الحنبلي ابن حجر بأن العلماء والرواة ارتكبوا تحريف أحاديث النبي ﷺ وحذفوا منها الصلاة على آل النبي (تقية) من حكام بني أمية وجنودهم ! قال في سبل السلام بشرح الكحلاني: ١/١٩٢: (ودعوى النووي وغيره الإجماع على أن الصلاة على الآل مندوبة ، غير مسلمة ! بل نقول: الصلاة عليه (ص) لا تتم ولا يكون العبد ممتثلاً بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل ، لأنه قال السائل: كيف نصلي عليك؟ فأجابه بالكيفية أنها الصلاة عليه وعلى آله ، فمن لم يأت بالآل فما صلى عليه بالكيفية التي أمر بها ، فلا يكون ممتثلاً للأمر ، فلا

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣١٩

يكون مصلياً عليه(ص). وكذلك بقية الحديث من قوله: كما صليت إلى آخره ، يجب ، إذ هو من الكيفية المأمور بها ، ومن فرق بين ألفاظ هذه الكيفية بإيجاب بعضها وندب بعضها ، فلا دليل له على ذلك.

وأما استدلال المهدي في البحر على أن الصلاة على الآل سنة ، بالقياس على الأذان ، فإنهم لم يذكروا معه (ص) فيه ، فكلامٌ باطل ، فإنه كما قيل لا قياس مع النص ، لأنه لا يذكر الآل في تشهد الأذان لا ندباً ولا وجوباً ، ولأنه ليس في الأذان دعاء له (ص) بل شهادة بأنه رسول الله ، والآل لم يأت تعبدٌ بالشهادة بأنهم آله. ومن هنا تعلم أن حذف لفظ الآل من الصلاة كما يقع في كتب الحديث ، ليس على ما ينبغي! وكنت سئلت عنه قديماً فأجبت إنه قد صح عند أهل الحديث بلا ريب كيفية الصلاة على النبي(ص) وهم رواتها ، وكأنهم حذفوها خطأ تقيّةً لَمَّا كان في الدولة الأموية من يكره ذكرهم ، ثم استمر عليه عمل الناس متابعَةً من الآخر للأول فلا وجه له. وبسطت هذا الجواب في حواشي شرح العمدة بسطاً شافياً). انتهى .

ولم يسبق بني أمية إلا عبدالله بن الزبير ، الذي كان في خلافته يصلي الجمعة فلا يذكر النبي ﷺ أصلاً! وإذا ذكره لا يصلي عليه ﷺ! فسئل عن ذلك فقال: (إن هذا الحيّ من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبت أعناقهم ، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم ! لا يمتنعني ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها ! وفي رواية أنه قال مرة: إن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره)! . (راجع الصحيح من السيرة: ١٥٣/٢ ، عن العقد الفريد: ٤١٣/٤ ط دار الكتاب العربي ، وشرح النهج: ١٢٧/٢٠ ، وأنساب الأشراف: ٢٨ /٤ وقاموس الرجال: ٤٥٢/٥ ، ومقاتل الطالبين ص ٤٧٤).

من الذي وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟!

الذين حذفوا الآل من الصلاة على النبي ﷺ هم الذين وضعوا صحابته بدلهم ! فهل عندهم حديث جَوَّزَ لهم قَرَنَ الصحابة بالنبي ﷺ في الصلاة عليه ، سواء في صلاة الفريضة أو خارجها ؟ أم هو استدراكٌ على النبي ﷺ وبدعة ! وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ؟!

قال الحافظ الصديق المغربي في رسالته (القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع) طبع طنجة بالمغرب ١٩٨٦، ص ١٢: (ونبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين ، قلد فيه بعضهم بعضاً ولم يتفطن له إلا الشيعة ، ذلك أن الناس حين يصلون على النبي ﷺ وسلم يذكرون معه أصحابه مع أن النبي ﷺ وسلم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد. وفي رواية: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر. فذكرُ الصحابة في الصلاة على النبي ﷺ وسلم زيادةً على ما علمه الشارع ، واستدراكٌ عليه ، وهو لا يجوز.

وأيضاً فإن الصلاة حقٌ للنبي وآله ﷺ وسلم ، ولا دخلَ للصحابة فيها ، لكن يترضى عنهم). انتهى. وهو كلام قويٌّ من عالم سني منصف .

وقد رد الألباني عليه في مقدمة كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٨ / ٣ ، رداً مطولاً جداً ، ومما قاله: (قلت: ليس في هذا الكلام من الحق إلا قولك الأخير: إنه لا تجوز الزيادة على ما علمه الشارع.. إلخ ، فهذا حق نقول به ونلتزمه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ولكن ما بالك أنت وأخوك خالفتم ذلك ، واستحببتم زيادة كلمة (سيدنا) في الصلاة عليه ﷺ وسلم ، ولم ترد في شيء من طرق الحديث؟!

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٢١

أليس في ذلك استدراك صريح عليه عليه السلام وسلم ، يامن يدعي تعظيمه بالتقدم بين يديه؟! أما سائر كلامك فباطل لوجوه:

الأول: أنك أثبتت على الشيعة بالفطنة ونزعتهم عن البدعة ، وهم فيها من الغارقين الهالكين. واتهمت أهل السنة بها وبالبلادة والغباوة ، وهم والحمد لله مبرؤون منها ، فحسبك قوله (ص) في أمثالك: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم. رواه مسلم.....

وتابع الألباني قائلاً: (هذا العموم المزعوم ، أنت أول مخالف له ! لأنه يستلزم الصلاة عليه(ص) بهذه الصلوات الابراهيمية كلما ذكر عليه الصلاة والسلام ، وما رأيتك فعلت ذلك ولو مرة واحدة في خطبة كتاب أو في حديث ذكر فيه النبي(ص) ! ولا علمنا أحداً من السلف فعل ذلك والخير كله في الإتياع (!) .

والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة ، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري: ١١/١٥٤ ، الطبعة السلفية فليراجعه من شاء ، والإمام الشافعي في رسالته على ما ذكره الحافظ السخاوي في القول البديع ، والرافعي ، والشيرازي ، والنووي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن حجر ، وغيرهم كثير وكثير جداً ، لا يمكن حصرهم ، ما زال كل واحد منهم يصلي على النبي(ص) في خطبة كتبه ويصلي على أصحابه معه ، كما أفعل أنا أحياناً اقتداءً بهم ، وبخاصة أن الحافظ ابن كثير نقل في تفسيره الإجماع على جوازه (!) ، ومع ذلك كله رميتني بسبب ذلك بدائك وبدعتني! أفهؤلاء الأئمة مبتدعة عندك ويحك ! أم أنت تزن بميزانين وتكيل بكيلين؟!).

ثم قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي(ص) كان يصلي على أصحابه بمناسبات

مختلفة ، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان وغيرهما ، وهو مخرج في الإرواء ، ٨٥٣ ، وغيره.....ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٤١٤/١٠ ، وسنده صحيح على شرط الشيخين. وبعد هذا كله فإني أرجو أن يكون ظهر للقراء جميعاً من هو المبتدع !). انتهى.

هذا لبُّ ما ذكره الألباني من كلامه الطويل الذي لم يأت فيه بدليل على جواز قرن الصحابة بالنبي في الصلاة عليه ﷺ ، وغاية ما ذكره ثلاثة أدلة:

الأول: قوله: (والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة ، كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة ، ونبه عليه الإمام البيهقي، فيما ذكره الحافظ في فتح الباري..الخ). انتهى.

وقصده أنه لا عموم لصيغة الصلاة التي علمها النبي ﷺ للمسلمين للصلاة عليه في كل حال ، بل هو تعليم نبوي خاص بتشهد الصلاة ، ففي غير الصلاة يجوز لك أن تحذف الصلاة على الآل ، وتضع مكانهم الصحابة ، ولا حرج !

لكن ما هو دليل الألباني على تخصيصها بتشهد الصلاة ، وحديثها في البخاري وغيره عامٌ مطلقٌ ليس فيه حصرٌ في التشهد ، قالوا: (فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...)؟!

يقول الألباني أن دليله على تخصيصها: (أفادته بعض الأحاديث الصحيحة ، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري). انتهى.

فقد ادعى وجود أحاديث صحيحة تحصر صيغة الصلاة النبوية التعليمية

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٢٣

للمسلمين في تشهد الصلاة ، فأين هي هذه الأحاديث الصحيحة ؟!
الجواب: لا توجد أحاديث لأصحيحه ولاضعيفة ! وإلا لأتى بها الألباني في رده
الطويل الذي أخذ أكثر من عشر صفحات ، وهو متخصص في الحديث ! لكنه
كما يبدو يستحل الكذب للدفاع عن الصحابة !

ثم قال الألباني:(ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري...)
يقصد أن هؤلاء العلماء الذين ليس فيهم واحد قبل القرن السادس! نبهوا على
تخصيص صيغة الصلاة التعليمية النبوية بالتشهد دون غيره !
ويبدو أنها كذبة أخرى! ولو صدقناه لقلنا لهؤلاء: ما هو دليلكم على التخصيص؟
وهل هو الأحاديث الصحيحة التي وعد بها الألباني !!

الدليل الثاني: قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي(ص) كان يصلي على أصحابه
بمناسبات مختلفة ، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلِّ
عليهم ، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان
وغيرهما ، وهو مخرج في الإرواء ، ٨٥٣ ، وغيره....). انتهى .

والجواب: إن هذا تدليس في الإستدلال مع الأسف ! لأن موضوعنا كيف يجب
أن نصلي نحن على النبي ﷺ؟ فكيف يستدل عليه بصلاة النبي ﷺ على
المسلمين؟! فالنبي ﷺ يعرف تكليفه كيف يصلي علينا وعلى غيرنا ، وقد بين لنا
تكليفنا نحن كيف نصلي عليه ، وحدده بصيغة تعليمية توقيفية صحيحة.

فهل يجوز لنا أن نقول له: كلا ، نريد أن نصلي عليك كما نحب ، ونضم في
الصلاة عليك من نحب ، ونحذف منها لا نحب ! لأنك أنت تفعل ذلك ؟!

الدليل الثالث: قال الألباني: (ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته(ص) بل قد
صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له

وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٤١٤ ، وسنده صحيح على شرط الشيخين). انتهى.

يقول الألباني بذلك لقد ثبت بأثر صحيح عن ابن عمر أنه قال لميت (اللهم بارك فيه وصل عليه) فالصلاة على المسلمين ليست من مختصات النبي ﷺ ، بل يجوز لأي مسلم أن يقول لمسلم آخر (اللهم صل عليه) ، ونحن نقول: اللهم صل على الصحابة ، فما المانع ؟

والجواب: أن الألباني يعرف أن المسألة ليست جواز الصلاة على مسلم بقولنا: (اللهم صل عليه) ، بل هي قرْنُ الصحابة بالنبي ﷺ ، وهل يجوز أن نتعدى تعليمه بالصلاة عليه ، ونحذف آله من صلاتنا عليه ، ونضع بدلهم الصحابة ؟! فانظر كيف غيّر الموضوع أيضاً ، وشطّ عنه بعيداً ، وكذلك يفعلون !

قرنهم الصحابة بالنبي ﷺ معضلة لاحل لها !

إن حذف أتباع الخلافة لآل النبي من الصلاة عليه ﷺ ، ووضعهم الصحابة بدلهم أو معهم وقرنهم بالنبي ﷺ ، معضلة لم ولن يستطيعوا حلها ! بل هي ست معضلات فقهية كاملة:

- ١- هل يجوز الصلاة على غير النبي ﷺ ، ومن أمر النبي بالصلاة عليه ؟
- ٢- هل يوجد دليل يخصص صيغة الصلاة النبوية بتشهد الصلاة ؟
- ٣- هل يجوز حذف آل النبي ﷺ من الصلاة عليه ؟
- ٤- هل يجوز وضع الصحابة مكانهم وقرنهم بالنبي ﷺ ؟
- ٥- هل يجوز أن ننوي بصلاتنا على آل النبي ﷺ جميع ذريته من فاطمة وعلي وآلهم وكل ذرية بني هاشم إلى يوم القيامة ، وقرنهم بالنبي ﷺ وفيهم من

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٢٥

ثبت أنهم أعداء لله ورسوله ، وفيهم اليوم نصارى وملحدون وقتلة وأشرار؟!
فهل يمكن أن يأمرنا الله تعالى أن نصلي على هؤلاء الكفار والفجار ونقرنهم
بسيد المرسلين ﷺ؟! وهل يجب عليهم أن يقولوا (وآله المؤمنين)؟!!

٦- إذا حلينا أصل مشكلة ضم الصحابة وقرنهم بالصلاة مع النبي ﷺ فهل
يجوز لنا أن نعمم الصلاة عليهم جميعاً بدون تخصيص أو تقييد ، لأننا بقولنا
(وعلى أصحابه أجمعين) نقرن أكثر من مئة ألف شخص بالنبي ﷺ وهؤلاء فيهم
من شاركوا في محاولة اغتيال النبي ﷺ ليلة العقبة ، وفيهم من ثبت نفاقهم بنص
القرآن ونص النبي ﷺ ، وفيهم جماعة شهد النبي ﷺ بأنهم لن يروه بعد وفاته ،
وأنهم سوف ينقلبون من بعده ، ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة ويؤمر بهم
إلى النار! فهل يجب التخلص من هذا الإشكال بأن نقول: (عليه وعلى أصحابه
المؤمنين ، أو المرضيين)؟!!

لقد أوقعوا أنفسهم في كل هذه المشكلات ، لأنهم استدركوا على
النبي ﷺ ولم يتبعوا! أما نحن فلا مشكلة عندنا ، لأننا لانستحل أن نقرن بنينا في
الصلاة عليه ﷺ إلا آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين أمرنا بقرنهم به ، وهم
عندنا مصطلح نبوي خاص حدده النبي ﷺ بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين،
وتسعة من ذرية الحسين ، آخرهم المهدي ، صلوات الله عليهم .

السادس: عصموا البخاري من أجل عصمة عمر !

صحيح البخاري كتابٌ في الحديث ، ألفه محمد بن إسماعيل بن برد زبه ، المعروف بالبخاري الخرتنكي ، نسبة إلى بلده بخارى في شرق إيران ، وخرتنك قرية قرب بخارى فيها مولده وقبره ، وقد ولد سنة ١٩٦ وتوفي سنة ٢٥٦.

وكانت كتب الحديث قبله بالملئ ، وبعده بالألوف ، لكن المتوكل العباسي تنبى كتابه بتوثيق أحمد بن حنبل ، وأعرض عن كتاب الموطأ الذي ألفه مالك بن أنس لجد جده المنصور ! فقد ولد مالك سنة ٩٣ وتوفي سنة ١٧٩. (مقدمة كتاب الموطأ والأعلام: ٢٥٧/٥).

قال ابن فرحون في الديباج المذهب ص ٢٥: (باب في ذكر الموطأ وتأليفه إياه: روى أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالك: ضع للناس كتاباً أحملهم عليه فكلمه مالك في ذلك فقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم منك ، فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر ، وفي رواية أن المنصور قال له: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودون كتاباً وجنب فيه شذائذ عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود ، واقصد أواسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة وفي رواية أنه قال له: إجعل هذا العلم علماً واحداً ، فقال له: إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رأى فلاهل المدينة قول ، ولأهل العراق قول تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم.

وفي رواية عن مالك فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا ، فقال أبو جعفر: نضرب عليه عامتهم بالسيف ونقطع عليه ظهورهم بالسياط !

وروى أن المهدي قال له: ضع كتاباً أحمل الأمة عليه ، فقال له مالك: أما هذا

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٢٧

الصقع فقد كفيته يعني المغرب ، وأما الشام ففيه الأوزاعي ، وأما أهل العراق ففيهم أهل العراق ، قال عتيق الزبيدي: وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا ، ولو بقي قليلاً لأسقطه كله . انتهى .

وبقي الموطأ المرجع الرسمي للدولة وعلمائها ، وكان أئمة المذاهب يمدحونه بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، حتى تركه المتوكل واستعاض عنه بمسودة كتاب البخاري فصار أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى !

قال ابن عبد البر في التمهيد: ٧٩/١: (سمعت الشافعي يقول: ما رأيت كتاباً ألف في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك).

وقال الذهبي سير أعلام النبلاء: ٢٠٥/٩: (قال بندار: سمعت عبد الرحمن يقول: ما نعرف كتاباً في الإسلام بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك).

وقال السيد الميلاني في الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة ص ٣٨:

(ولما أراد الرشيد الشخصوص إلى العراق قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي فإنني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن ! (مفتاح السعادة: ٢ / ٦٨٧). ثم أراد هارون أن يعلق الموطأ على الكعبة ! (٧ كشف الظنون: ١٩٠٨/٢). ونادى منادي الحكومة: ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس) (وفيات

الأعيان: ٢٨٤/٣ ، مفتاح السعادة: ٨٧/٢ ، مرآة الجنان: ٣٧٥/١).



أما المتوكل الذي فقد كان صاحب مشروع جديد في التجسيم والنصب ، يختلف عن مشروع أجداده ، فقد أسس ميليشا (أصحاب الحديث) واختار لهم إماماً هو أحمد بن حنبل ، ودعاه إلى سامراء وأكرمه وعقد له مجالس ، وكان لا يعين قاضي القضاة إلا بموافقة ، ففي تاريخ بغداد ١٤٧/٣: (أمر المتوكل

بمسائلة أحمد بن حنبل عمن يتقصد القضاء).

وفي تاريخ بغداد: ٤٢٦/٢: (بعث المتوكل إلى أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجي ويحيى بن أكرم في ولاية القضاء ، فقال أما بن الثلجي فلا). انتهى . وكان البخاري على صلة دائمة بأحمد ، وقد ألف كتابه بتوجيهه ، وعرضه عليه فارتضاه ، ففي مقدمة فتح الباري ص ٤٩١: (لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرض مسودته على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة). انتهى .

وطلب ابن حنبل من البخاري أن يسكن في بغداد فاعتذر له ، لكنه ندم بعد ذلك ! ففي تاريخ بغداد: ٢٢/٢: (سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله). انتهى .

مات البخاري قبل أن يكمل كتابه ، فأكماله جماعة المتوكل !

وقد اعترف بذلك ابن حجر في مقدمة الفتح ص ٦ ، قال: (حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفريزي ، فرأيت فيه أشياء لم تتم ، وأشياء مبيضة منها تراجم (عناوين) لم يثبت بعدها شيئاً ، ومنها أحاديث (أي عناوين أحاديث) لم يترجم لها ، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض !

قال أبو الوليد الباجي: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشمهيني ورواية أبي

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٢٩

زيد المروزي ، مختلفة بالتقديم والتأخير ، مع أنهم انتسخوا من أصل واحد ! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة ، أنه من موضع ما ، فأضافه إليه ! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين (عنوانين) وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث). انتهى .

ومع ذلك فقد تبنته السلطة وألزمت به الطلبة والناس ، وأنستهم موطأ مالك !

السر في تبنيهم كتاب البخاري !

كتاب البخاري واحدٌ من مئات الكتب المشابهة التي ألفت قبله ، وألوف الكتب التي ألفت بعده ، وليس فيه سر سوى أنه مفصل على مزاج المتوكل ! فمن أراد أن يعرف البخاري فليعرف المتوكل ، في نصبه لأهل البيت عليهم السلام كلهم وكرهه لعلي عليه السلام خاصة ، وقتله أئمة أهل البيت عليهم السلام واضطهاده لشيعتهم ، ومنعه الناس من زيارة قبر الحسين عليه السلام ثم هدمه القبر الشريف ! (راجع كتابنا: جواهر التاريخ).

يوازي ذلك تقديسه لأبي بكر وعمر إلى حد العصمة ! وقد رأيت أن أهم أحاديث عصمة عمر رواها البخاري ، ومنها: (والذي نفسي بيده مالميك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك). (البخاري: ٩٦/٤ ، و ١٩٩ و ٩٣/٧) !

هل أن تبني البخاري عمل علمي أم ضد العلم ؟

يسأل بعضهم: لماذا لا يقوم مجموعة من العلماء المشهورين بجمع الأحاديث الصحيحة في مدرسة أهل البيت ويصححونها ، وتخرج في كتب ونقول للعامة هذا صحيحنا وبه حاجونا ؟

وقد أجبت عليه: بأن هذا سؤال يسأله أهل البساطة العلمية ، فإن من مشاكل المذاهب السنية أنها أقفلت على نفسها باب الإجتهد في الحديث ، واعتمدت على اجتهد البخاري قبل ألف ومئتي سنة ، وفرضته على الناس في كل العصور !

أما نحن ، فمنهجنا علمي منطقي ، نعتبر كل ما روي عن النبي وآله صلوات الله عليهم ، مواد يجب أن تخضع للبحث العلمي ، والاجتهاد فيها مفتوح في كل العصور ، والذي يصحح ويضعف هو المرجع بالنسبة إلى مقلديه وأهل الإختصاص الموثوق بهم. فأأي النهجين أصح ؟

وهل إذا قام عالم في عصرنا فألف كتاباً جمع فيه الصحيح برأيه ، يجب عليك وعلى كل الناس تقليده ، وعلى الأجيال الآتية ؟!

كلا ، فتصحيحه حجة على نفسه وعلى من يقلده فقط ، ولا بد أن يكون في المسلمين في كل عصر مجتهدون وخبراء ، يبحثون كل الثروة العلمية التي رويت عن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، ويجتهدون في التصحيح والتضعيف ، ويفتون المسلمين بنتيجة آرائهم فيقلدهم المسلمون بصفتهم أهل خبرة في الشريعة وأحاديث السنة الشريفة .

وبذلك فقط نضمن براءة ذمة المسلمين ، وعدم جمودهم على تصحيح عالم من مئات السنين ، لم يطلع على ما اطلع عليه العلماء المتأخرون .

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٣١

السابع: نظرية إجماع العوام بيد السلطة ورجال الدين !

قال التفتازاني في شرح المقاصد: ٣١٠/٥: (فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد ، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى ، كما هو شعار الروافض ، على ما يروى في أدعيتهم ، ويجري في أنديتهم ، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية ، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد). انتهى.

فقد أجموهم على حد تعبير التفتازاني عن الكلام على يزيد ! لكنهم لم يفقوا في شد لجامهم عند قصور بني أمية فقط ، بل عن أمور كثيرة ، نذكر منها هنا:

إجماع العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم

فقد شهد أهل بدر وبيعة الرضوان بأن رضا الله تعالى عنهم ليس مطلقاً ، بل هو مشروطٌ بشروط ، منها أن لا يحدثوا بعد النبي ﷺ وينحرفوا ! فقد روى البخاري: ٦٦/٥ ، عن المسيب أنه قال للبراء بن عازب: (طوبى لك ، صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة. فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)! لكنهم لم يقبلوا هذه الشهادة ، وقالوا لهم: كلا ، إن رضا الله عنكم مطلق وشامل ، وأنتم من أهل الجنة ، فاعملوا ما شئتم !!

إجماع العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية !

ففي مسند أبي يعلى: ١٧٦/٩: (عن عبد الله بن مسعود أنه تعمد الكذب من أجل أن يأخذ ناقة ! قال: ما كذبت مذ أسلمت إلا كذبة ! كنت أرحل رسول الله (ص)

فأتى رجل من الطائف فقال: أي راحلة أعجب إلى رسول الله (ص) فقلت الطائفية المنكبة ، قال ورسول الله (ص) يكرهها ! قال: فلما رحّلها فأتى بها قال: من رحّل لنا هذه ؟ قالوا رحّل لك الذي أتيت به من الطائف ، قال: ردوا الراحلة إلى ابن مسعود . (ورواه ابن أبي الدنيا في آداب اللسان/٢٥٣، والطبراني في المعجم الكبير: ١٧٤/١٠، وأبو نعيم الأصفهاني في مسند أبي حنيفة/٢٣٥ و٢٥٨ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣١١/٢٤)

إلجام العوام عن قبول شهادة النبي ﷺ لقاتل عمار بالنار !

فقد رووا بأسانيد صحيحة أن النبي ﷺ قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية ، وقال: قاتل عمار وسالبه في النار ! وقد قتله في صفين (الصحابي) أبو الغادية يسار بن سبع ، وهو ممن بايع بيعة الشجرة أو الرضوان ! ففي مجمع الزوائد: ٢٩٧/٩: عن النبي ﷺ (قاتل عمار وسالبه في النار. رواه الطبراني... ورجاله رجال الصحيح) .

وفي مستدرک الحاكم: ٣٨٧/٣: (أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه ، فقال عمرو خلياً عنه ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم أولعت قريش بعمار ، إن قاتل عمار وسالبه في النار). انتهى.

وفي طبقات ابن سعد: ٢٦٠/٣، عن كلثوم بن جبر قال: (كنت بواسط القصب ، عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فقلت الإذن هذا أبو غادية الجهني ، فقال عبد الأعلى: أدخلوه ، فدخل عليه مقطعات له ، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة ، فلما أن قعد قال بايعت رسول الله (ص) يوم العقبة فقال: يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم ، فقال: اللهم اشهد ، ثم قال ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض !

قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حناناً ، فبينا أنا في مسجد قباء

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٣٣

إذ هو يقول ألا إن نعتلاً هذا لعثمان ، فألتفتُ فلو أجد عليه أعواناً لوطأته حتى أقتله ، قال: قلت اللهم إنك إن تشأ تمكيني من عمار ، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً ، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة فطعنه في ركبته بالرمح ، فعثر فانكشف المغفر عنه فضربته ، فإذا رأس عمار ندر !

قال: فلم أر رجلاً أبين ضلالةً عندي منه ! إنه سمع من النبي ﷺ ما سمع ثم قتل عماراً !!

قال: واستسقى أبو غادية فأتي بماء في زجاج فأبي أن يشرب فيها ، فأتي بماء في قدح فشرب ، فقال رجل على رأس الأمير قائم بالنبطية: أوى يد كفتا ! يتورع عن الشراب في زجاج (إناء مفضض) ، ولم يتورع عن قتل عمار) !! (قال عنه في مجمع الزوائد: ٢٤٣/٧ ، رجاله رجال الصحيح).

وفي تاريخ دمشق: ٤٧٦/٤٣: (وقال عليٌّ حين قتل عمار: إن امرءاً من المسلمين لم يَعْظُم عليه قتل ابن ياسر ويدخلُ عليه المصيبة الموجهة ، لغير رشيد ! رحم الله عماراً يوم أسلم ، ورحم الله عماراً يوم قتل ، ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً ، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ، ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ، ولا اثنين ، فهنيئاً لعمار بالجنة). انتهى.

ابن حنبل يقول: صحابي في النار رضي الله تعالى عنه !

تقدم حديث (قاتل عمار وسالبه في النار) ، وأن رجاله رجال الصحيح، وفي مقابلة تجد في مسند أحمد: ٧٦/٤ عنواناً: (بقية حديث أبي الغادية رضي الله تعالى عنه) !!

لكن أحمد احتاط فرجح أن يروى عنه ولا يسمى! (العلل لأحمد: ٦٠٢/٢)

أما ابن حبان فعده في الثقات ! (٣٨١/٣ ونحوه في: ٤٤٨/٣). لكن الذهبي تعجب في

ميزان الإعتدال: ٤٨٨/١، فقال: (عن أبي الغادية: سمعت رسول الله (ص) يقول: قاتل عمار في النار. وهذا شيء عجيب ، فإن عماراً قتله أبو الغادية) ! انتهى.

ونحوه في لسان الميزان لابن حجر: ٢٠٤/٢.

ونقل عنه في تعجيل المنفعة ص ٥٠٩ أنه كان يتبجح بقتله عماراً ، قال: (كان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول قاتل عمار بالباب ، يتبجح) !!

أما ابن تيمية فحاول أن يشك في قتله لعمار ، قال في منهاجه: ٥٦/٧: (وذكر ابن حزم أن عمار بن ياسر قتله أبو الغادية ، وأن أبا الغادية هذا من السابقين ممن بايع تحت الشجرة ، وأولئك جميعهم قد ثبت في الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد ! ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر عن النبي (ص) أنه قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) !!

لكنه شهد في نفس منهاجه: ٢٠٤/٦ ، بأنه قاتل عمار ، لكن شكك في أنه من أهل بيعة الرضوان ! قال: (بل نشهد أن العشرة في الجنة ، وأن أهل بيعة الرضوان في الجنة ، وأن أهل بدر في الجنة ، كما ثبت الخبر بذلك عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وقد دخل في الفتنة خلق من هؤلاء المشهود لهم بالجنة ، والذي قتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وقد قيل إنه من أهل بيعة الرضوان ذكر ذلك ابن حزم ، فنحن نشهد لعمار بالجنة ، ولقاتله إن كان من أهل بيعة الرضوان بالجنة) !! راجع أيضاً: ٣٣٤/٦!

ثم عاد في كتابه رأس الحسين عليه السلام ص ٢٠٤ وشكك في قتله لعثمان، قال: ولهذا كان الكلام في السابقين الأولين ومن شهد له بالجنة ، كعثمان وعلي وطلحة والزبير ونحوهم: له حكم آخر ، بل ومن هو دون هؤلاء ، مثل أكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، وقد ثبت

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٣٥

في الصحيح عن النبي (ص) أنه قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة). فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكوراً ، أو ذنباً مغفوراً ، أو اجتهداً قد عفي لصاحبه عن الخطأ فيه ، فلهذا كان من أصول أهل العلم أنه لا يمكن أحدٌ من الكلام في هؤلاء بكلام يقدح في عدالتهم وديانتهم ، بل يُعلم أنهم عدول مرضيون ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذبٌ مفترى). انتهى.

ولا بد أن يكون من هذه العظائم المفتراة أن أبا لغادية قتل عماراً !



أما عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي قتل عثمان ، وهو من أهل بيعة الشجرة ، فالأمر فيه يختلف ! وهم يتمنون أن يحكموا عليه بأنه من أهل النار ، لكن بشرط أن لا ينكسر سياج أهل الشجرة لأبي بكر وعمر ! فهل من طريق؟!

إلجام العوام عن قبول شهادة ثقة النبي ﷺ وأمين أسرارهِ !

إذا اختلف شخصان فيما بينهما ، أو اختلفنا في قبول شهادتهما ، ترانا نبحت عن شخص متفق عليه من الطرفين أو من الأطراف ، يرضى به الجميع ويشهدون بصدقه ووثاقته ، فنعتبره حكماً عادلاً ، ونقبل شهادته أو حكمه .

والصحابة فيهم مجمع عليه وفيهم مختلف فيه. ومن المجمع عليهم حذيفة بن اليمان ثقة رسول الله ﷺ وموضع سره. فلماذا لا يقبلون شهاداته القاصعة التي رواها البخاري؟! ولماذا لا يقارنونها بحديثهم (خير الناس قرني)؟!

قال حذيفة ، كما في البخاري: ١٠٠/٨: (إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبي (ص)! كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون ! إنما كان النفاق على عهد النبي (ص) فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان !!). انتهى.

فَمَنْ هم الذين كانوا يجهرون بالنفاق في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، إلا طلقاء قريش؟ وما هو النفاق الذي كانوا يجهرون به إلا التشكيك برسول الله ﷺ والكذب عليه والطعن بعترته ؟ ومن كان يحميهم إلا السلطة ؟!

قال الذهبي في السير: ٣٦١/٢: (حذيفة بن اليمان. من نجباء أصحاب محمد (ص) ، وهو صاحب السر... حليف الأنصار ، من أعيان المهاجرين... ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر ، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان ، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة.... وحذيفة هو الذي ندبه رسول الله (ص) ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو ، وعلى يده فتح الدينور عنوة. ومناقبه تطول ، رضي الله عنه... خالد عن أبي قلابة عن حذيفة قال: إني لأشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله..... ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض. قالوا: وأنت ؟ قال: وأنا والله !). انتهى.

فمن الذي كان يستعمل سياسة الإرهاب والقمع والإضطهاد مع المسلمين إلا السلطة القرشية المعادية لأهل بيت النبي ﷺ؟ ومن كان يحمي المنافقين المجاهرين بنفاقهم ضد الإسلام ونبيه إلا السلطة ومسلحوها ، وجمهورها من طلقاء قريش ، الذين ملؤوا المدينة وسيطروا على الدولة؟ وهل يعقل أن يقول النبي ﷺ عن هؤلاء إنهم خير القرون ؟!

روى مسلم: ٧١/١: (كنا جلوساً مع حذيفة في المسجد فجاء رجل حتى جلس إلينا ، فقيل لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء ، فقال حذيفة: إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يدخل الجنة قتات) ، وفي رواية أخرى (ينقل الحديث إلى الأمير) وفي البخاري: ٨٦/٧: (يرفع الحديث إلى عثمان) !

فهل يكون هؤلاء خير القرون بإرهابهم واضطهادهم أبرار الصحابة ؟!

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٣٧

وفي الطبراني الكبير: ٢٨٠/٣: (عن أبي مالك الأشعري أنه قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله (ص) فاجتمعوا فقال: هل فيكم أحد؟ فقالوا لا ، إلا بن أخت لنا ! قال فذلك من القوم ، فدعا بجفنة فيها ماء فتوضأ وهم شهود ، فمضمض واستنشق ثلاثاً ، وغسل وجهه ثلاثاً ، وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه ، ثم صلى بنا الظهر فكبر فيها ثنتين وعشرين تكبيرة ، يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه...الخ.) انتهى.

وفي البخاري: ١/١٣٤، عن الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي ! فقلت له ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت !!). انتهى.

فهل يكون هؤلاء خير القرون ، وقد انقلبوا على أعقابهم بعد الرسول ﷺ وغيروا كل شيء ، حتى الوضوء والصلاة؟!

قال المفيد في الإفصاح ص ٥٣: (وفي قول أنس بن مالك: دخل رسول الله ﷺ المدينة فأضاء منها كل شيء ، فلما مات ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفطنا عن النبي ﷺ الأيدي ونحن في دفنه حتى أنكرنا قلوبنا شاهد عدل على القوم بما بيناه). انتهى.

وفي فتح الباري: ٨/١١٤: (قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد: وما نفطنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا). وفي تحفة الأحوذى: ١٠/٦٢: (قال التوربشتي يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة) !!

إلجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبي ﷺ !

في صحيح مسلم: ١٢٣/٨: قال رجل لحذيفة (أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك ! قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنتَ منهم فقد كان القوم خمسة عشر ! وأشهد بالله ان اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). انتهى.

فمن هؤلاء الذين كانوا مستعجلين على الخلافة واستطالوا عمر النبي ﷺ فتآمروا لقتله في عودته من تبوك ، وصعدوا إلى أعلى العقبة ليلاً وألقوا الصخور على ناقته ليقتلوه ، فنجاه الله منهم ، ولم يستطع النبي ﷺ أن يعلن أسماءهم ويعاقبهم خوفاً من حدوث حركة ردة عن الإسلام ! فهل هؤلاء خير القرون ؟!

إلجام العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم ﷺ !

وهل خير القرون أولئك الذين عرض عليهم نبيهم ﷺ وهو على فراش مرضه ما لم يعرضه نبي على أمته قط ، أن يكتب لهم عهداً إن عملوا به لا يضلوا إلى يوم القيامة ، ويكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة ! فرفضوه بقله أدب وقالوا إن نبيكم يهجر ! وهددوه بالردة ، فسكت ﷺ على ألم وطردهم من بيته ؟!

وهل خير القرون أولئك الذين تركوا جنازة نبيهم ﷺ بين يدي أهل بيته ، وعدوا إلى السقيفة ليبايعوا أحدهم خلصةً ، ثم عادوا مسلحين لا يعزوا أهل بيت النبي ﷺ بل ليهددوهم بأن يبايعوا لصاحبهم ، أو يحرقوا عليهم دارهم ؟!

إلجام العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا !

وكيف يكون أهل عصر النبوة أو قریش خاصة خير القرون وقد صدر حكم الله تعالى على أكثرهم بأنهم حق عليهم القول ، وبأنهم لن يؤمنوا وإن أظهروا الإيمان ، فقال عنهم: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وقال: لَتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. (يس: ٧٠ و ٧١) فهل نقض الله تعالى في المدينة ما أنزله في مكة ؟! فقوله تعالى: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ، يشمل أهل مكة ، وأهل الجزيرة الذين بلغتهم دعوة النبي ﷺ وإنذاره في حياته .

وقوله تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إخبار منه وهو العليم بهم بأن أكثريتهم من أهل جهنم ، وأنهم لن يؤمنوا واقعاً ، وإن آمنوا ظاهراً ، طمعاً أو خوفاً. وقد فسر المقصود بالقول الذي حق عليهم بقوله تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (صاد ٨٤ - ٨٥)

وهل يستطيع المسلم الذي يؤمن بالقرآن ويقول صدق الله العظيم إلا أن يعتقد بأن أكثر أهل مكة وقریش كانوا كفاراً عند وفاة النبي ﷺ ولم يؤمنوا !

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٦٣/٦: (لقد حق القول ، فيه قولان: أحدهما وجب العذاب ، والثاني سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: "أكثرهم، يعني أهل مكة ، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم. لا يؤمنون ، لما سبق من القدر بذلك). انتهى .

وأخيراً ، كيف يكونون خير القرون وقد حكم عليهم الله تعالى بأنهم فراعنة وجنود للفراعنة فقال لنبيه ﷺ: وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي

وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا. (الزمل ١٠-١٦).

وقد تحقق إخباره سبحانه ، فلم يكن مع النبي ﷺ من قريش في مهجره إلا قلة قليلة جداً ! وفي بعضهم كلام ! وعندما فتح النبي ﷺ مكة ملكهم عبيداً ، ولم يعتقهم بل أطلقهم إطلاقاً ، وسماهم الطلقاء ! فكيف صاروا بمجرد وفاته صحابة عدولاً ، وكيف يجعل الله فيهم خلافة نبيه ﷺ ويأمر المسلمين أن يطيعوا قريشاً مدى الدهر ، لأنهم خير القرون ؟ حاشا لله !

من أساليهم في إجماع العوام:

١- تميم الحقائق وحلف الإيمان !

قال ابن حزم في الأحكام: ٢٠٣/٢: (وأما قدامة بن مظعون ، وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ، وأبو بكر ، رضوان الله عليهم ، فأفاضل أئمة عدول. أما قدامة فبدري مغفور له بيقين ، مرضي عنه ، وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضي عنه وأسقط عنه الملامة ففرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شيئاً ، فهو عدل بضرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا ، وبقوله ﷺ إن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. وأما المغيرة بن شعبة ، فمن أهل بيعة الرضوان ، وقد أخبر ﷺ ألا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، فالقول فيه كالقول في قدامة. وأما سمرة بن جندب فأحدي ، وشهد المشاهد بعد أحد وهلم جراً ، والأمر فيه كالأمر في المغيرة بن شعبة.

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٤١

وأما أبو بكر ، فيحتمل أن يكون شبه عليه ، وقد قال ذلك المغيرة ، فلا يَأْثَمُ هو ولا المغيرة ، وبهذا نقول: وكل ما احتمل ولم يكن ظاهره يقيناً فغير منقول عن متيقن حاله بالامس ، فهما على ما ثبت من عدالتهما ، ولا يسقط اليقين بالشك وهذا هو استصحاب الحال الذي أباه خصومنا ، وهم راجعون إليه في هذا المكان بالصغر منهم! فما منهم أحد امتنع من الرواية عن المغيرة وأبي بكر معاً ، وأبو بكر وهو متأول ، وأما سمرة فمتأول أيضاً ، والمتأول مأجور وإن كان مخطئاً ، وكذلك قدامة تأول أن لا جناح عليه وصدق لاجناح عليه عند الله تعالى في الآخرة بلا شك ، وأما في أحكام الدنيا فلا ، ولنا في الدنيا أحكام غير أحكام الآخرة . وكذلك كل من قاتل علياً رضوان الله عليه يوم صفين .

وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي رضوان الله عليه ، ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم ، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضوان الله عليه ، وإقامة حق الله تعالى فيهم ، فأسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم-وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف- فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم، إذ رأوا السيف قد خالطهم وقد جاء ذلك نصاً مروياً.....

وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون ، يلزمنا توقييرهم والاستغفار لهم ، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغيب عقودهم ، ولا برضى الله عز وجل عنهم ، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق. ثم لا نجيز ذلك لعلي وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وهشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمرة وأبي الغادية وغيرهم ، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأنهم في الجنة ، وهذا لا يخيل إلا على

مخذول .

وكل من ذكرنا من مصيب أو مخطئ فمأجور على اجتهاده ، إما أجرين ، وإما أجراً ، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم . وبالله تعالى التوفيق .)

وقال في المحلى: ٤٩/٩: (إن من البرهان الواضح على كذب هذا الخبر ووضعه وانه لا يمكن أن يكون حقاً أصلاً ما فيه مما نسب إلى أم المؤمنين من أنها قالت: أبلغني زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله (ص) إن لم يتب. وزيد لم يفته مع رسول الله (ص) إلا غزوتان فقط بدر وأحد فقط ، وشهد معه ﷺ سائر غزواته ، وأنفق قبل الفتح وقاتل وشهد بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية ونزل فيه القرآن وشهد الله تعالى له بالصدق وبالجنة على لسان رسوله ﷺ انه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، ونص القرآن بأن الله تعالى قد رضي عنه وعن أصحابه الذين بايعوا تحت الشجرة. فوالله ما يبطل هذا كله ذنب من الذنوب غير الردة عن الإسلام فقط وقد أعاده الله تعالى منها برضاه عنه وأعاد أم المؤمنين من أن تقول هذا الباطل)

٢- تعليم العوام إنكار الحقائق نهاراً جهاراً !

قال ابن كثير في النهاية: ٢١١/٦: (ثبت أيضاً الأخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وقيل وخمسمائة ، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضي الله عنه عاش إلا حميداً ، ولا مات إلا على السداد والاستقامة والتوفيق ، ولله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات ، ودلالات الرسالة .) انتهى .

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٤٣

٣- إجماع أطفال المسلمين بتريبتهم على عصمة عمر !

قال ابن حبان في صحيحه: ٣١٧/١٥: (ذكر الخبر الدال على أن عمر بن الخطاب (رض) كان من المحدثين في هذه الأمة.....عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب ! ذكر إجراء الله الحق على قلب عمر بن الخطاب (رض) ولسانه: عن بن عمر أن النبي (ص) قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر بن الخطاب ، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر !

ذكر بعض ما أنزل الله جل وعلا من الآي وفقاً لما يقوله عمر بن الخطاب (رض): عن حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث....

ذكر الخبر الدال على أن ناحية بعد أبي بكر كان عمر...
ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب أول ما تنشق عنه الأرض بعد أبي بكر الصديق...
ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب كان أحب الناس إلى رسول الله بعد أبي بكر...
ذكر إثبات الرشد للمسلمين في طاعة أبي بكر وعمر...
ذكر أمر المصطفى المسلمين بالاعتداء بأبي بكر وعمر بعده...
ذكر شهادة المصطفى للصديق والفاروق بكل شيء كان يقوله (ص)...
ذكر البيان بأن الصديق والفاروق يكونان في الجنة سيدي كهول الأمم فيها...
ذكر رضا المصطفى عن عمر بن الخطاب في صحبته إياه... انتهى.

وليس ابن حبان إلا نموذجاً لجميع مصادرهم في الحديث ! فقد عقدوا لهذه الأحاديث أبواباً متعددة متنوعة ، في الصحاح ، والسنن ، والمسانيد ! وعلموا

الناس حفظها ونشرها ، وترديدها في زيارة قبر عمر، كما في إعانة الطالبين: ٣٥٧/٢: (فيسلم على سيدنا عمر(رض) ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ياسيدنا عمر بن الخطاب ، يا ناطقاً بالحق والصواب ، السلام عليك يا حليف المحراب.

السلام عليك يا من بدين الله أمر ، يا من قال في حقك سيد البشر(ص): لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر .

السلام عليك يا شديد المحاماة في دين الله والغيرة ، يا من قال في حقك هذا النبي الكريم(ص): ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره... إلخ.

قال السيد المرتضى رحمته الله في كتابه الشافي في الإمامة: ١٢٩/٣ ، وهو يفند الأحاديث القرشية الموضوعة في فضائل أبي بكر وعمر:

(وأما ما رواه من قوله صلى الله عليه وآله: إن الحق ينطق على لسان عمر ، فهو مقتض إن كان صحيحاً عصمة عمر والقطع على أن أقواله كلها حجة ! وليس هذا مذهب أحد في عمر ، لأنه لاخلاف في أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائغ !

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول ، ويشهد على نفسه بالخطأ ، ويخالف في الشيء ثم يعود إلى قول من خالفه ، فيوافق عليه ، ويقول (لولا علي لهلك عمر) و (لولا معاذ لهلك عمر) ؟!

وكيف لم يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الإحتجاج فيها؟! وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة لما قال له: ما تقول لربك إذ وليت علينا فظاً غليظاً! أقول له: ولّيتُ من شهد الرسول بأن الحق ينطق على لسانه! وليس لأحد أن يدعي في الإمتناع من الإحتجاج بذلك سبباً مانعاً كما ندعيه في ترك أمير المؤمنين عليه السلام الإحتجاج بذلك بالنص ، لأننا قد بينا فيما تقدم أن

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٤٥

لتركه عليه السلام ذلك سبباً ظاهراً ، وهو تأمر القوم عليه وانبساط أيديهم ، وأن الخوف والتقية واجبان ممن له السلطان ، ولا تقية على عمر وأبي بكر من أحد ، لأن السلطان كان فيهما ولهما ، والتقية منهما لا عليهما !

على أن هذا الخبر لو كان صحيحاً في سنده ومعناه ، لوجب على من ادعى أنه يوجب الإمامة (يقصد القاضي عبد الجبار الهمداني صاحب المغني ، وقد ألف الشافي رداً عليه) ، أن يبين كيفية إيجابه لذلك ، ولا يقتصر على الدعوى المحضة ، وعلى أن يقول: إذا جاز أن يدعي في كذا وكذا أنه يوجب الإمامة ، جاز في هذا الخبر ، لأننا لما ادعينا في الأخبار التي ذكرناها ذلك ، لم تقتصر على محض الدعوى ، بل بينا كيفية دلالة ما تعلقنا به على الإمامة ، وقد كان يجب عليه إذا عارضنا بأخباره أن يفعل مثل ذلك .). انتهى.

وقال الأميني في الغدير: ٣٣١/٦: (هناك أحاديث موضوعة تذكر في فضائل عمر لا تلتئم مع شيء مما ذكرناه بأسانيد الوثيقة (في علم عمر) وكلٌّ من ذلك يفنّدها منها ما يعزى إليه صلى الله عليه وسلم من قوله: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

ورواية: لو لم أبعث لبعثت يا عمر.

ورواية: لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب.

ورواية: قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر.

ورواية: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وراية: أن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه .

ومنها ما روه عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من قول: كنا نتحدث إن ملكاً ينطق

على لسان عمر. وقوله: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها ما يروى عن أعظم الصحابة مثل ما يعزى إلى ابن مسعود من قوله: لو

وضع علم عمر في كفة وعلم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر.
وأمثال هذه من الأكاذيب ، فإن من يكون بتلك المثابة حتى يكاد أن يبعث نبياً
لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه ، أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته
بها ، ولا يتعلم مثله سورة من القرآن في اثنتي عشرة سنة !

وأين كان الحق والملك والسكينة ، يوم كان لايهتدي إلى أمهات المسائل
سبيلاً فلا تسدده ، ولا تفرغ الجواب على لسانه ، ولا تضع الحق في قلبه !
وكيف يسعُ المسدّد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفعه منه حتى ربات
الحجال ؟! وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس
فضلاً عن رجالها وأعلامها ؟

وكيف كان يرى عرفان لفظة مفسرة بالقرآن تكلفاً ويقول: هذا لعمر الله هو
التكلف ، ما عليك يا بن أم عمر أن لا تدري ما الأب ؟!

وكيف كان يأخذ عن أولئك الجم الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام.
وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنة بقوله: ألّهاني عنه الصفق
بالأسواق .

وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة وقيّمها ، ولم يتمكن من تعلم صور
ميراث الجد ، وكان النبي ﷺ يقول: ما أراه يعلمها ، وما أراه يقيمها. ويقول: إني
أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك ؟!

وكيف كان مثل أبيّ بن كعب يغلظ له في القول ويراه لاهياً عن علم الكتاب
بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة ؟

وكيف كان يراه أمير المؤمنين ع جاهلاً بتأويل القرآن الكريم.

وكيف وكيف ، إلى مائة كيف ؟!

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٤٧

نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووا في لوازمها). انتهى.

وقال المفيد رحمه الله في الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٠: (فلو سلمنا لك دعواك لمن ادعت الفضل لهم على ما تمنيت لم يمنع مما ذكرناه ، لأنه لا يوجب لهم العصمة من الضلال ، ولا يرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسيان ، ولا يحيل منهم تعمد العناد. وقد رأيت ما صنع شركائهم في الصحبة والهجرة والسبق إلى الإسلام حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام باختيار الجمهور منهم والاجتماع ، فنكت بيعته طلحة والزبير ، وقد كانا بايعاه على الطوع والإيثار وطلحة نظير أبي بكر ، والزبير أجل منهما على كل حال ، وفارقه سعد بن أبي وقاص وهو أقدم إسلاماً من أبي بكر ، وأشرف منه في النسب ، وأكرم منه في الحسب ، وأحسن آثاراً من الثلاثة في الجهاد ! وتبعه على فراقه وخذلانه محمد بن مسلمة ، وهو من رؤساء الأنصار ، واقتفى آثارهم في ذلك وزاد عليها بإظهار سبه والبراءة منه حسان !! فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال لمنعت من ذكرناه ومعاوية ابن أبي سفيان وأبا موسى الأشعري ، وله من الصحبة والسبق ما لا يجهل وقد علمتم عداوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام وإظهارهم البراءة منه ، والقنوت عليه ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأميره على أبي بكر وعمر وعثمان.

ولو كانت الصحبة أيضاً مانعة من الخطأ في الدين والآثام..... ولكانت صحبة السامري لموسى بن عمران عليه السلام وعظم محله منه ومنزلته، تمنعه من الضلال باتخاذ العجل والشرك بالله عز وجل ، ولاستحال أيضاً على أصحاب موسى نبي الله عليه السلام وهم ستمائة ألف إنسان وقد شاهدوا الآيات والمعجزات وعرفوا الحجج والبيانات أن يجتمعوا على خلاف نبيهم وهو حي بين أظهرهم ، ويباينوا خليفته

وهو يدعوهم ويعظهم ويحذرهم من الخلاف وينذرهم ، فلا يصغون إلى شيء من قوله ، ويعكفون على عبادة العجل من دون الله عز وجل .
ولكان أيضاً أصحاب عيسى عليه السلام معصومين من الردة ، ولم يكونوا كذلك ، بل فارقوا أمره وغيروا شرعه ، وادعوا عليه أنه كان يأمرهم بعبادته ، واتخاذهم إلهاً مع الله تعالى تعمداً للكفر والضلال ، وإقداماً على العناد من غير شبهة ولا سهو ولا نسيان). انتهى.

٤- إجماع العوام باستخدام وسائل الإعلام !

لو نظرنا في حجم ما يقوم به في عصرنا الذين يسميهم ابن حبان (المعتنين بأمر الدين) ، لتركيز قداسة أبي بكر وعمر في نفوس المسلمين ، لرأينا العجب !!
من مناهج التربية المدرسية والجامعية ، إلى برامج الراديو والتلفزيون ، إلى خطب المساجد ودروسها ، إلى الكتب والكتيبات والأشرطة ، إلى صفحات النت ومواقعها المتنوعة.. ومنها بإسم الصحابة لكن المقصود به أبو بكر وعمر !
والمطلوب فيها كلها غرس الاعتقاد بفضائل أبي بكر وعمر إلى حد العصمة والغلو ، وغرس الاعتقاد بأن من لم يعتقد بذلك فهو عدو للإسلام ونيه وقرآنه !
وفي مقابلة لاتكاد تجد شيئاً عن أهل البيت ، وحتى عن بقية الصحابة !
والمطلوب أن يكبر الطفل المسلم وعنده تقديس خاص لعمر وأبي بكر لا يصل إليه تقديس آخر ، وحساسية خاصة تجاههما بحيث تستنفر وسائل دفاعه لأقل ما يحتمل أنه يمس بهما ، أكثر مما يستنفر لرسول الله ﷺ !

وبهذا يتجاوز المعتنون بأمر (الدين) قضية إجماع العوام عن المساس بأبي بكر وعمر ، إلى تعبتهم للحرب من أجلهما ، ومن أجل كل ما يتعلق بهما !

الفصل العاشر - أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر! ٣٤٩

وليس في كلامنا هذا مبالغة ، إذ يكفي أن تجرب مع هؤلاء المعبين أن تبحث في عصمة النبي ﷺ وأخطائه الكثيرة ، فتراهم يشاركونك في البحث ! حتى إذا طرحت ما يحتمل أنه خطأ لعمر ، انصب عليك جام غضبهم بلا هوادة !

الفصل الحادي عشر

العصمة والمعصومون في القرآن

المعصومون ثمرة الوجود البشري

يتصور البعض أن القرآن لا يرى عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، لأنه يتحدث عن (معصية) آدم عليه السلام ويذكر (مؤاخذات) على بعض الأنبياء عليهم السلام كطلب نوح عليه السلام من ربه أن ينجي ابنه مع أنه كان كافراً ، وما يبدو من تحير إبراهيم عليه السلام في ربه هل هو النجوم أو القمر أو الشمس ، ومن قتل موسى للقبطي ، وغضبه على أخيه هارون عليه السلام . ونحو ذلك من (ذنوب الأنبياء) التي أكثر اليهود فيها الكلام والالتهام وتمسك بها المخالفون لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، فحصرُوا عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ فقط ، ونفوها في الأمور الشخصية والعامة ، بل نسبوا اليهم أخطاء ومعاصي فظيعة حتى في التبليغ كما تقدم !

لكنَّ النظرة الفاحصة ترينا أن العصمة والمعصومين في القرآن ظاهرة بارزة من أول مشروع خلق آدم عليه السلام وذريته ، وقد وردت في القرآن ببضعة عشر عنواناً : فالمعصومون هم النخبة الذين من أجلهم كان مشروع إسكان آدم في الأرض ، وبهم ستصل الحياة الاجتماعية إلى هدفها الرباني الحكيم الذي لم يعرفه الملائكة : قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

وهم الذين تحدى الله تعالى عدوه إبليسَ أن يؤثرَ عليهم فقال له : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ

لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وهم العباد المكرمون عنده الذين: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ .

وهم الذين يخصهم بالإطلاع على غيبه ، ويحيطهم برصد لحفظ الغيب ضمن خطه المقرر ، كما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

وهم الذين يورثهم الكتاب عبر الأجيال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

وهم الذين وعد أن يغلب بهم: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .

ووعد أن تتجلى هذه الغلبة بعد خاتم رسله وأنبيائه ﷺ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وهم الذين سيورثهم الأرض بعد عهود الجابرة: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.

وهم عباد الرحمن الخاصون الذين خصهم بصفات وافية من سورة الفرقان .

وهم الذين أعطاهم عنده عهداً فلن يخلفه: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ... إلى آخر الآيات التي تتحدث بيقين عن نجاح المشروع الإلهي في آدم وذريته. وليس نجاحه إلا بهؤلاء المعصومين ﷺ ، الذين هم لبُّ هذا

المشروع وضمانه ، وهدفه الأسمى !

آيات العصمة في القرآن

في القرآن الكريم طوائف من الآيات تتحدث عن نخبة من البشرية ، وتصنفهم بصفات تدل على عصمتهم ، وهذه أهمها:

الطائفة الأولى: آيات الإستخلاف

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ! فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ). (البقرة: ٣٠-٣٣)

لا يكون خليفة الله في الأرض إلا معصوماً

قالت أحاديث أهل البيت (عليه السلام) إن المستخلف في الآية هو بعض المعصومين وهم آدم (عليه السلام) وبعض الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وليس كل نوع الإنسان .
وذهب أغلب المفسرين السنة المتأخرين وتبعهم بعض مفسري الشيعة ، إلى أن المستخلف في الآية نوع الإنسان ، وأكثروا في توجيه ذلك بلا طائل .
والصحيح أن هذا الجعل الإلهي مختص بآدم والمعصومين من ذريته (عليهم السلام) ، لأنه جعل تشريعي لولاية من الله على الأرض وأناسها ، وإعطاؤها لغير المعصوم يستوجب نفي الحكمة عن الله ونسبة الظلم إليه ، سبحانه وتعالى !
ذلك أن قوله تعالى للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، ليس إخباراً عن

مجرد إسكان آدم وذريته في الأرض ، بل عن جعل خلفاء الله منهم .
وعندما تساءل الملائكة كيف تصلح ذرية آدم للخلافة مع أنهم سيفسدون
ويسفكون الدماء ؟ خطأهم الله تعالى لأنهم حكموا على جميع ذرية آدم ،
وجميع مدتهم على الأرض ! وأخبرهم سبحانه أن مشروع استخلافهم لا يضر به ما
تفعله ذرية آدم من إفساد وسفك الدماء أي حين ! وأن آدم والمستخلفين من
ذريته ﷺ أفضل من الملائكة فهم يصلحون ولا يفسدون ، وأثبت الله لهم ذلك
فعلم آدم ﷺ ما لا يعلمونه ، وأراهم سيرة خلفائه من ذرية آدم ﷺ ، فاعترف
الملائكة واستغفروا !

نعم ، يصح القول إن الإنسان خليفة الله في الأرض ، باعتبار أن خلفاء الله
الشرعيين من نوعه ، لكنه لا يعني شمول الخلافة لغير المعصومين ﷺ بحال.
وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) (المائدة: ٢٠) فعبر بجعلهم ملوكاً بالعموم ، لأنهم منهم .

ولا نطيل في ذكر أقوال المفسرين في المسألة ومناقشتها ، فإن أحداً منهم لم
يأت بدليل من الآية أو خارجها على أن هذه الخلافة تشمل كل ذرية آدم ﷺ ،
اللهم إلا الإستحسانات والظنون ، وهي لا تنهض دليلاً !

ولعل القائلين بعموم الخلافة لكل بني آدم غفلوا عن أن الجاعل لها هو العالم
الحكيم المطلق عز وجل ، وأن أحداً لا يعطي هذا المقام الخطير للمفسدين ولا
للعاديين فكيف بالله تعالى ! وإذ انتفت خلافة المفسدين بالفعل أو بالقوة ، لم يبق
إلا المعصومون ﷺ ، وهذا مذهب أهل البيت ﷺ .

ولعله اختلط عليهم هذا الإستخلاف التشريعي بالإستخلاف التكويني بمعنى أن
الله جعل الإنسان أجيالاً يخلف بعضها بعضاً ، كما قال نبي الله هود ﷺ لقومه:

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (الأعراف: ٦٩)، فهذا استخلافٌ لكن ليس فيه ولاية ولا مقام ، بل امتنَّ الله عليهم بخلقهم بعد قوم نوح وتوريثهم حضارتهم ، رغم كفرهم.



لأجل ما تقدم فإن مقام خليفة الله لم يثبت في القرآن إلا لآدم وداود عليهما السلام :يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. (سورة صاد: ٢٦).
أما قوله تعالى: أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا؟ (النمل: ٦٢) وقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور: ٥٥)، فهو وعدٌ إلهي باستخلاف المعصومين وختامهم الإمام المهدي عليه السلام ، خليفة الله الموعود ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً!
في الكافي: ١/١٩٣، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه). وعن الإمام الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قال: هم الأئمة).
أما في السنة فثبت إسم خليفة الله لنبينا وآله عليهم السلام ، وربما لكبار الأنبياء عليهم السلام .
ففي من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١١ ، في رواية الزيارة الجامعة: (ورضيكم خلفاء في أرضه ، وحججاً على بريته) .

وفي خصائص الأئمة للشيخ الرضي رحمته الله ص ١٠٥: في حديث كميل بن زياد رضي الله عنه في وصف الأئمة عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً ، أو خافياً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته.... أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه). انتهى.



أما الزيدية فقد توسعوا في إعطاء لقب خليفة الله لكل من اجتمعت فيه شروط الإمامة عندهم فكان فقيهاً من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام وقام بالسيف. (الأحكام: ٥٠٥/٢)

تكريم بني آدم لا يعني استخلافهم

لأنه تكريمٌ تكويني واقتضائي !

استدل بعضهم على عموم الاستخلاف في الأرض بآية تكريم بني آدم ، وهي قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا. يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. (الإسراء: ٧٠-٧١).

لكن لا علاقة لهذا التكريم بالاستخلاف ، لأنه أعم منه محمولاً وموضوعاً ، فهو يشمل المؤمن والكافر ، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. (الفجر: ١٥-١٧). فالإكرام هنا دنيوي يشمل حتى الكفار والفجار والطغاة ، ولا يصح القول إنهم مكرمون ، فهم خلفاء الله في أرضه !

والمقصود بالتكريم التكويني خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ومنحه قدرات وظروفاً تمكنه من التكامل ونيل التكريم الحقيقي إن أراد ، كما قال تعالى عن مؤمن آل ياسين: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ. (يس: ٢٦-٢٧). فوصل بتكريمه التكويني إلى تكريمه الحقيقي.

وأخيراً ، فإن جعل التقوى ميزاناً للكرامة والتكريم ، في قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ. (الحجرات: ١٣) يؤكد أن ماتحقق لكل بني آدم في قوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ ، تَكْرِيمٌ عَامٌّ بِنِعْمِ اللَّهِ الَّتِي وَسَّعَتْ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ ، أَمَّا الْإِسْتِخْلَافُ فَهُوَ تَكْرِيمٌ خَاصٌّ وَمَنْصِبٌ لِعِبَادٍ خَاصِينَ لَا يَثْبِتُ إِلَّا بِدَلِيلٍ ، قَالَ تَعَالَى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. (الأنبياء: ٢٦-٢٧).

خلفاء الله في الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاماً

من الواضح أن خليفة الله في أرضه وحجته على عباده ، ليس بالضرورة أن يكون حاكماً ، فأكثر أنبياء الله وأوصيائهم عليهم السلام كانوا محكومين مضطهدين ، ولم ينقص ذلك من مقامهم العظيم وخلافتهم عن الله تعالى في أرضه .

وهذا معنى ما رَوَاهُ وَرَوَيْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضُرُّهُمْ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَبَهُمْ. فَقَدْ رَوَى الْكَافِي: ٥٢٩/١ ، وَكَمَالَ الدِّينِ ص ٢٩٩ ، وَاللَّفْظُ لَهُ: (عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ قَالَ: شَهِدْتُ جَنَازَةَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مَاتَ ، وَشَهِدْتُ عَمْرَ حِينَ بُويعَ وَعَلِيٌّ جَالِسَ نَاحِيَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ عَلَيْهِ ثِيَابٌ حَسَانٌ وَهُوَ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ عَمْرٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَعْلَمُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِكُتَابِهِمْ وَأَمْرَ نَبِيِّهِمْ؟ قَالَ: فَطَأْتُ عَمْرَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ: إِيَّاكَ أَعْنِي وَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ ! فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ مُرْتَاداً لِنَفْسِي شَاكَاً فِي دِينِي ، فَقَالَ: دُونَكَ هَذَا الشَّابُّ قَالَ: وَمَنْ هَذَا الشَّابُّ؟ قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَهَذَا زَوْجُ فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَقْبَلَ الْيَهُودِيَّ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: أَكْذَلِكَ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثٍ وَوَاحِدَةٍ..... إِلَى أَنْ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ مُحَمَّدٍ كَمْ بَعْدَهُ مِنْ إِمَامٍ عَدْلٍ وَفِي أَيِّ جَنَّةٍ يَكُونُ ، وَمَنْ السَّاكِنُ مَعَهُ فِي جَنَّتِهِ؟ فَقَالَ: يَا هَارُونِي إِنْ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ اثْنَا عَشَرَ إِمَاماً عَدَلاً ، لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانٌ مِنْ خِذْلِهِمْ ، وَلَا يَسْتَوْحِشُونَ بِخِلَافٍ مِنْ خَالَفَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَرْسَبَ فِي الدِّينِ

من الجبال الرواسي في الأرض. ومسكن محمد ﷺ في جنة عدن معه أولئك الإثنا عشر الأئمة العدل. فقال: صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لأجدها في كتاب أبي هارون كتبه بيده). انتهى .

وفي معجم الطبراني الكبير: ١٩٦/٢، و٢١٣ و٢١٤، و٢٥٦، والأوسط: ٣/ ٢٠١، ومجمع الزوائد: ١٩١/٥: (عن جابر بن سمرة عن النبي (ص) قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً ، لا يضرهم من خذلهم). انتهى .

وقد روى بعضهم زيادة في حديث الأئمة الإثني عشر (كلهم تجتمع عليه الأمة) وأراد حصر تطبيقه بالحكام ، وأنه لا يشمل من أهل البيت إلا علياً ؑ ، لكن الألباني رد هذه الزيادة في سلسلته برقم ٣٧٦ ، وقال عنها إنها منكرة !



وقد بحثنا في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال - مسألة ١٦٢) لقب خليفة الله تعالى وخليفة النبي ﷺ ، واستغلال القرشيين له وأعطائه لحكامهم ! وأن أبا بكر استكثر على نفسه لقب خليفة الله فنهاهم عنه (ابن أبي شيبة في المصنف: ٥٧٢/٨ ، وصححه في الزوائد: ١٨٤/٥ عن أحمد. وكذلك عمر: شرح النهج: ٩٤/١٢)

بينما سمي معاوية نفسه (خليفة الله) فاعترض عليه صعصعة بن صوحان ؓ ! (مروج الذهب للمسعودي: ٥٢/٣) ثم تمادى حكام بني أمية في استغلال لقب خليفة الله لأنفسهم ، ففضلوا الحاكم الأموي بذلك على نبينا ﷺ بحجة أن خليفة المرأ خير من رسوله في حاجته ! (الصحيح السيرة: ٢٩/١)

ونقل النووي في الأذكار ص ٣٦٠ ، عن البغوي أنه قال: (ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام).

ونقل عنه الشرييني في مغني المحتاج: ١٣٢/٤، قوله: (ولا يجوز تسميته بخليفة الله تعالى ، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت ، والله تعالى منزّه عن ذلك). انتهى .

ودليل البغوي ضعيف ، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج إلى نص من الله تعالى أو رسوله ﷺ ، وإلا كان ادعاءً وافتراءً.



والنتيجة: أن نظام الإستخلاف في الأرض ومقام الخلافة الذي نصّت عليه الآية يدل على أن من ثبت له هذا المنصب ، فقد ثبت له العصمة .

وقد اتضح أن توسيع إسم (خليفة الله) لكل بني آدم ، إنما قال به بعض المتأخرين تأثراً بفكر بعض المتصوفة ، أو بفكر الغربيين الذي يؤكد على أصالة الإنسان إلى حد تأليهه ! فجعلوا التكريم بمعنى الإستخلاف وعمموه لكل إنسان ! وأن معاوية أول من ابتدع تسميته للحاكم أي حاكم ! بحجة أن الله أعطاه الحكم فيكون استخلفه في أرضه !

تعليم آدم ﷺ الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى

في آية استخلاف آدم ﷺ بحوث مهمة تتعلق بموضوعنا ، فقد أوضحت أن ملاك خلافة الله تعالى والأفضلية على الملائكة هو العلم الإلهي الذي يعطيه لخليفته ، ودرجة العبودية التي يوفقه لها.

فالإنسان رغم أن فيه قابلية الإفساد وسفك الدماء ، فيه إيجابيات وقابليات عظيمة لم يعرفها الملائكة ، هي التي أوجبت جعله خليفة في الأرض ، وهي تغلب في مصلحتها على إفساد المفسدين منه ! وأنها ستتحقق في المعصومين ﷺ ويتحقق على يدهم إقامة دولة العدل الإلهي في الأرض ، التي لا إفساد فيها ولا سفك دماء ، والتي تمتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها !

وقد أثبت عز وجل للملائكة أن آدم ﷺ يستطيع أن يتلقى من العلم الإلهي

فيصل إلى درجة أعلى من الملائكة ، وأن خلفاء الله من ذريته سيكونون أهلاً للتلقي والطاعة بأفضل من الملائكة !

لقد علّم الله آدم أسماء خلفائه من ذريته وبين له مقامهم ، ثم عرض سيرتهم على الملائكة ، وامتحنهم في معرفة (أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) العظماء فلم يعرفوهم ، وعرفهم آدم ﷺ فأخبرهم بهم ، فاقتنع الملائكة وقالوا: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

وقد أكثر المفسرون في بحث الأسماء التي علمها الله لآدم ﷺ ، ثم في معنى (عرضهم) على الملائكة ، لكنهم ذهبوا بها بعيداً مع أنها لا بد أن تكون معلومات عن مستقبل أبناء آدم ﷺ في الأرض ، لتكون جواباً مقنعاً للملائكة الذين تصوروا أن كل حياة الإنسان على الأرض إفسادٌ وسفكٌ للدماء !

لذلك لانجد تفسيراً معقولاً لها ، إلا أن الله علّم آدم ﷺ علماً استطاع به أن يرى مستقبل ذريته في الأرض ، ويرى أن مرحلة السماح بالإفساد وسفك الدماء في الأرض ستنتهي ، ثم تبدأ مرحلة دولة العدل الإلهي على يد خلفاء الله من عترة خاتم أنبيائه محمد ﷺ ، وتمتد إلى آخر حياة الإنسان !

فهذا هو الجواب الوحيد الذي يقنع الملائكة بجدارة آدم للخلافة ، وجدارة الخلفاء من أبنائه ، وانهم لا يُفسدون في الأرض ولا يَسفكون الدماء ، بل سيصلحونها ويعمرونها ، صلوات الله عليهم !

فيكون معنى قوله تعالى: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.. أنه عرض عليهم شريطاً لسيرة شخصيات ربانية أعظم مقاماً من الملائكة ، فتعجبوا لهم ولم يعرفوهم ، فأخبرهم آدم ﷺ بأنهم من ذريته ، وأنهم ديرون بخلافة الله في الأرض !

وبهذا المعنى فقط تصح الشرطية في قوله تعالى: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَنْ

كُنتُمْ صَادِقِينَ. أي إن كنتم مصيبين في قولك إنهم سيفسدون !
وقد يسأل: هل إن صور ما يكون محفوظة عند الله تعالى ، ليعلمها لمخلوق قبل
أن تكون ؟

والجواب: أن هذا من بدائه عقيدتنا في الغيب والنبي وآله عليهم السلام ، وأحاديثه
عندنا صحيحة مستفيضة بل متواترة ، وأن الله تعالى علم نبيه عليه السلام علم ما يكون
إلى يوم القيامة ، فعلمه لعلّي والأئمة من عترته عليهم السلام .

قد يقال: روي أن الله تعالى علم آدم أسماء الأشياء ، مما تحتاجه حياته على
الأرض مثل إسم الماء والهواء والشجر والحيوان والجمال ؟
والجواب: أن هذا لو صح لا يكون جواباً على إشكال الملائكة ، إذ لا تلازم بين
معرفة أسماء الأشياء ، وعدم الإفساد وسفك الدماء !

ثم لو صح أن يكون جواباً لاستخلاف آدم عليه السلام ، فلا يصح جواباً لاستخلاف
ذريته ، فإن الملائكة أخبروا عن إفساد ذريته وليس عن إفساده هو ! فهم بحاجة
إلى جواب يثبت عدم إفساد الذرية ، أو وجود مصلحة في استخلافهم تغلب ما
يقع من إفساد بعضهم ، وليس ذلك إلا مرحلة حكم خلفاء الله في أرضه عليهم السلام .

وبذلك يتضح قوة ما ورد في مصادرنا في تفسير الآية الكريمة ، كالذي في
تفسير فرات الكوفي ص ٥٦ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى
كان ولا شيء ، فخلق خمسة من نور جلاله ، وجعل لكل واحد منهم إسماءً من
أسمائه المنزلة ، فهو الحميد وسمى النبي محمداً ، وهو الأعلى وسمى أمير
المؤمنين علياً ، وله الأسماء الحسنی فاشتق منها حسناً وحسيناً ، وهو فاطر فاشتق
لفاطمة من أسمائه إسماءً ، فلما خلقهم جعلهم في الميثاق فإنهم عن يمين العرش
، وخلق الملائكة من نور ، فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا

التسبيح فذلك قوله: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالى آدم نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي، خلقتهم من نور جلالتي وشققت لهم إسماء من أسمائي، قال: يا رب فبحقك عليهم علمني أسماءهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة سر من سري، لا يطلع عليه غيرك إلا بإذني، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطني على ذلك العهد فأخذ عليه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم.. علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة لله). انتهى. (والبحار: ٦٢/٣٧)



الطائفة الثانية: آيات الإصطفاء الإلهي

الإصطفاء الإلهي ، والإستخلاص ، والإجتباء ، والإختيار ، أوصاف قرآنية ، وصف الله تعالى بها نخبة عباده.

والمتحصل من كلمات اللغويين أن أعلاها درجة الإصطفاء ، لأنه اختيار الصفو بذاته من البشرية ، يليه الإستخلاص وهو تخليص الشئ من الشوائب واختياره ، يليه الإختيار وهو انتخاب الشئ الأفضل من غيره .

قال الراغب في المفردات ص ١٥٤: (الخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه ، ويقال خلصته فخلص... وقوله تعالى: فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ، أي انفردوا خالسين عن غيرهم....فالإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث ، قال تعالى: مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى). انتهى .

وقال في ص ٢٨٣: (أصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب ، ومنه وذلك إسم لموضع مخصوص ، والاصطفاء تناول صفو الشئ كما أن الإختيار تناول خيره والإجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره ، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول ، قال تعالى: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس - إن الله اصطفى آدم ونوحا - اصطفاك وطهرك واصطفاك - اصطفيتك على الناس - وإنهم عندنا لمن المصطفين الإختيار) .

واصطفيت كذا على كذا أي اخترت (اصطفى البنات على البنين - وسلام على عباده الذين اصطفى. ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. والصفى

والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه....

والصفوان كالصفا الواحدة صفوانة ، قال: صَفْوَانٌ عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ويقال يوم صفوان ، صافي الشمس ، شديد البرد). انتهى .

وقال في ص ١٦٠: (الخير ما يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشئ النافع ، وضده الشر.... فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ....

وقوله: وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ، يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خياراً ، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم). انتهى .

أقول: لاشك أن الإستخلاف الإلهي درجة أعلى من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار ، لكن التفاضل بين هذه الثلاثة لا دليل عليه من اللغة أو استعمالات القرآن والسنة ، بل المصطفون هم المستخلصون وهم المختارون.

واستعمالات القرآن ليست لبيان درجاتها ، بل لبيان أنواع فاعلياته تعالى في الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، المتناسبة مع أبعاد شخصية الإنسان ومجمعه. فالإصطفاء ، وهو أخذ الصفو ، يتناسب مع جوهر نفوسهم الصافية ، ويشير إلى كدورة أنفس البشر الآخرين.

والإستخلاص ، يتناسب مع جهادهم لتصفية نياتهم وأعمالهم وتخليصها مما هو لغير الله تعالى ، حتى صاروا مخلصين ، فاستخلصهم الله وجعلهم مخلصين بالفتح. بينما بقي غيرهم في شوائب الشرك العقدي ، وشوائبه العملية.

والإختيار ، يتناسب مع انتخاب الله تعالى لخير البشر وصفوتهم ومخلصيهم ، في مقابل من اختاره البشر ، أو مقابل من لم يستحق اختيار الله تعالى .

الفصل الحادي عشر - العصمة والمعصومون في القرآن ٣٦٧

ولهذا ورد تفسير آيات هذه الصفات بالنبي وآله الأطهار عليهم السلام ، كما ورد وصفهم بها في أحاديث عديدة.

فقد ورد وصفهم بخلفاء الله تعالى ، وبالمصطفين ، كما في الزيارة الجامعة:
(ورضيكم خلفاء في أرضه ، وحججاً على بريته....

وأشهد أنكم الأئمة الراشدون ، المهديون المعصومون ، المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون....اصطفاكم بعلمه ، وارتضاكم لدينه ، واختاركم لسره ، واجتباكم بقدرته) .

وفي المقنعة ص ٣٢: (وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه ، وخاصة أصفياء الله...). وفي فقه الرضا/١٢٨: (اللهم صل على محمد وآل محمد المصطفين ، بأفضل صلواتك..)

وفي علل الشرائع: ١٨/١: (عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم كيف كان وعن بدء النسل عن ذرية آدم فإن أناساً عندنا يقولون إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه ، وإن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والإخوات ! فقال أبو عبد الله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، يقول من قال هذا بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبابه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، من حرام ؟! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال ، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب ؟!!). (ورواه في الفقيه: ٣/٣٨١).

كما ورد وصفهم بالمخلصين بفتح اللام وكسره ، ففي الزيارة الجامعة: (السلام على الدعاة إلى الله ، والأدلاء على مرضات الله ، والمستقرين في أمر الله ، والتامين في محبة الله ، والمخلصين في توحيد الله). (من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١٠).

وفي من لا يحضره الفقيه: ٥١٣/١: (وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك المخلصون).

وورد وصفهم بالمختارين: ففي الزيادة الجامعة: (اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه ، واختاركم لسره ، واجتباكم بقدرته....

السلام على الأئمة الدعاة ، والقادة الهداة ، والسادة الولاة ، والذادة الحماة ، وأهل الذكر وأولي الأمر ، وبقية الله وخيرته...).

وفي الكافي: ١/١٩٩، في حديث الإمام الرضا عليه السلام عن الإمامة: (إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بأرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره ، فقال: إني جاعلك للناس إماماً فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: " ومن ذريتي؟ قال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهدي الظالمين ". فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ووهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا ففرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فكانت له خاصة فقلدها علياً).



وليس غرضنا هنا شرح هذه الصفات العظيمة وبيان الفروق بينها ، وفيها بحوث مفصلة ، بل الغرض أن كلاً من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار ، يستلزم العصمة كالإستخلاف ، لأن أياً منها لا يتم إلا لخيرة البشر المطيعين لربهم عز وجل ، الورعين عن محارمه ومعاصيه.

ولأن من اصطفاه الله واستخلصه واختاره ، يمدّه بالحماية والعناية

والألطاف ، التي تعني عصمته عن المعاصي ، بل وما فوق العصمة العادية .
لذلك نكتفي بإيراد آيات هذه الصفات ، وبعض الأحاديث الموضحة
المؤكدة لدالتها على العصمة.



آيات الإصطفاء الإلهي

نص القرآن على أن الله تعالى اصطفى عدداً من عباده من الأمم الماضية ، ومن
هذه الأمة ، منهم أشخاص ومنهم أسر ، وهو كالأستخلاف يدل على عصمة
المصطفين صلوات الله عليهم. وهذه عناوين آيات الإصطفاء:

قانون الإصطفاء الإلهي لمهمات وأدوار

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (الحج: ٧٥-٧٦)

ابتداء الإصطفاء الإلهي من آدم عليه السلام

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (آل عمران: ٣٣-٣٤)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.
(آل عمران: ٤٢)

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. (البقرة: ١٣٠)

وَإِذْ كُنَّا عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْإِخْيَارِ. وَإِذْ كُنَّا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَذَا الْكُفْلَ وَكُلًّا مِّنَ الْإِخْيَارِ. (ص: ٤٥-٤٨)

اصطفاء موسى ﷺ مشروع مستقل

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (الأعراف: ١٤٤).

اصطفاء طالوت ملكاً

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا إِنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (البقرة: ٢٤٧-٢٤٨).

المصطفون ﷺ أهل السلام والأمن الإلهي

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. (النمل: ٥٩)

اصطفاء الإسلام ديناً

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. (البقرة: ١٣١-١٣٢)



معنى الإصطفاء وأنواعه

غرض الإصطفاء: نصَّ قوله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) على أن الإصطفاء يكون لمهمة عظيمة كحمل الرسالة الإلهية ، فهو عمل إلهي يكشف عن مقام لغرض اجتماعي في الدنيا: (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا).

وقد يكون هدفه أن يكون أصحابه قدوة للأجيال فيتبعوا ملتهم وسيرتهم ، كما في إبراهيم ﷺ وذريته: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ

اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . (البقرة: ١٣٠)

أنواع الإصطفاء: فمنه اصطفاء عام على العالمين كاصطفاء آدم ونوح ، والأسر المصطفاة من آل إبراهيم عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) . (آل عمران: ٣٣)

ومنه اصطفاء لموجودين أو لآتين ، علم الله ما سيعملون فاصطفاهم قبل ولادتهم: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) . (آل عمران: ٣٣-٣٤)

ومنه اصطفاء على أناس معينين كاصطفاء طالوت للملك على بني إسرائيل: (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) .

ومنه اصطفاء بمنصب أو ميزة: (يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي) ، أو بالتطهير المناسب للشخص: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ) ومنه اصطفاء لشخص على أهل عصره: (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) .

والإصطفاء لا يكون إلا باستحقاق:

ففي علل الشرائع: ٥٦/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدري لما اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا ، يا رب ، فقال: يا موسى إنني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجِدْ فيهم أحداً أذلَّ لي منك نفساً. يا موسى أنك إذا صليت وضعت خديك على التراب) .

وعن الصادق عليه السلام قال: (وكان موسى عليه السلام إذا صلى لم يفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر) . انتهى .

أما الذين اصطفاهم الله تعالى قبل أن يولدوا (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) ، فقد علم الله ما هم عاملون فاصطفاهم قبل ولادتهم. على أنه قد امتحن جميع الخلق في نشأة سابقة قبل نشأتهم في الدنيا ، ففي الكافي: ١٠/٢: (عن أبي عبد الله عليه السلام أن

بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم أليست بربكم؟ فكنت أنا أول نبي قال: بلى ، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل). انتهى .



تفسير آية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا

قال الله تعالى: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بَعَادَهُ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ أَنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. (فاطر: ٣١-٣٦).

الآية من متشابهات القرآن

فما معنى توريث القرآن للمصطفين؟ ومن هم؟ وما معنى التقسيم بعدها إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات ، فهل يمكن أن يكون الظالم من المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب؟ وهل يدخل الجميع الجنة بمن فيهم الظالمون؟! والموقف الشرعي والعلمي عندما يواجه الباحث المتشابه ، أن يرده إلى المحكم ، وأن يرد الجميع إلى أهل البيت ﷺ الذين قرنهم النبي ﷺ بالقرآن فقال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) ، فأوجب بذلك أخذ القرآن وتفسيره منهم.

لكن هل يفعل ذلك مفسرو قريش؟ كلا! بل يتبعون ما تشابه منه ، ويهيمنون في كل واد! فقد كثرت احتمالاتهم واتسع تحيرهم وتخبطهم في هذه الآيات ، حتى وصل إلى بعض مفسري الشيعة !

وأصل الموضوع عندهم أن عمر وكعب الأخبار قالوا: إن الله ورث القرآن للأمة كلها بمن فيها الظالمون ، وكلهم في الجنة! فتبعهما أكثر المفسرين ، وحاولوا جعل تفسيرهما مسنداً إلى رسول الله ﷺ! وقارب آخرون وباعدوا ، وحاولوا ترقيع ما يستلزمه هذا التفسير من مشكلات عقدية !

قال السيوطي في الدر المنثور: ٢٥١/٥: (وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والبيهقي في البعث ، عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية: ثم أورثنا الكتاب... قال: ألا إن سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له !!

وفي تفسير النحاس: ٤٥٨/٥: (وقال كعب: هذه الأمة على ثلاث فرق ، كلها في الجنة ، ثم تلا: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. إلى قوله: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، فقال: دخلوها ورب الكعبة) ! انتهى. (ونحوه تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٣) وفي تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢ ، عن كعب: (قال: كلهم في الجنة ، وتلا هذه الآية: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا). انتهى .

وفي تفسير عبد الرزاق: ١٣٦/٣: (عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: قرأ هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ حَتَّى بَلَغَ: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... فقال كعب: دخلوها ورب الكعبة) ! (ورواه في تفسير الثوري ص ٢٤٦)

وروا ذلك عن عمر وكعب بطرق عديدة ، وعن عثمان وعائشة أيضاً ، كما في

تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٣ ، عن عثمان قال: (هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد). وقال ابن كثير في تفسيره: ٧٩/٢: (والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة) .

وفي المعجم الأوسط للطبراني: ١٦٧/٦: (عن عقبة بن صهبان قال قلت لعائشة: أرايت قول الله جل ذكره: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... الآية؟ قالت: أما السابق فقد مضى في حياة رسول الله (ص) وشهد له بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم ، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا. قالت وكلهم في الجنة). (والحاكم: ٤٢٦/٢، وصححه)

القرطبي يرفض التفسير الرسمي

وقال القرطبي في تفسيره: ٣٤٦/١٤: (هذه الآية مشككة ، لأنه قال جل وعز: اصطفينا من عبادنا ثم قال: فمنهم ظالم لنفسه ! وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم !! قال النحاس: فمن أصح ما روى في ذلك ما روى عن ابن عباس: فمنهم ظالم لنفسه ، قال: الكافر ، رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أيضاً. وعن ابن عباس أيضاً: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال: نجت فرقتان ، ويكون التقدير في العريية: فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه ، أي كافر. وقال الحسن: أي فاسق. ويكون الضمير الذي في يدخلونها ، يعود على المقتصد والسابق ، لا على الظالم....

وقيل: الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة الأصناف لى ألا يكون الظالم ها هنا كافراً ولا فاسقاً. وممن روي عنه هذا القول عمر ، وعثمان ، وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو ، وعائشة ، والتقدير على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر....

قال النحاس: وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته ، فيكون: جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير. وهذا قول جماعة من أهل النظر ، لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى.

قلت: القول الوسط (أنه يعود على المقتصد والسابق) أولاها وأصحها إن شاء الله ، لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله ، ولا اصطفى دينهم. وهذا قول ستة من الصحابة ، وحسبك. وسنزيده بياناً وإيضاحاً في باقي الآية). انتهى .

وأهم ما عمله القرطبي أنه ذكر التفسير الرسمي بصيغة: (قيل) وحاول تخفيف وقعه بتضييق دخول الظالمين الجنة ! فهو من المفسرين القلائل الذين لم يدخل في قلبهم تفسير عمر وكعب ، بل اختار أن آية: جنات عدن يدخلونها... تختص بالسابقين والمقتصدين ولا تشمل الظالمين !



لكنك تجد قول عمر وكعب صار عندهم حديثاً نبوياً ! فقالوا إن عمر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له ، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه... الآية) انتهى. (الدر المنثور: ٢٥١/٥ ، عن العقيلي وابن لآل وابن مردويه والبيهقي، وأضاف كنز العمال: ٤٨٥/٢ عن الديلمي).

وقال الرازي في تفسيره: ٢٤/٢٦: (اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن ، وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون ، والظالم والمقتصد والسابق ، كلهم منهم. ويدل عليه قوله تعالى: جنات عدن يدخلونها ، أخبر بدخولهم الجنة ، وكلمة: ثم أورثنا ، أيضاً تدل عليه لأن الإيراث إذا كان بعد الإيحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث. والإيراث المراد منه

الأعطاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى..... ويصحح هذا قول عمر عن النبي (ص): ظالمنا مغفور له). انتهى .



وهكذا صار التفسير الذي وضع أساسه عمر وكعب الأحبار ، الرأي الرسمي لأجيال مفسري الدولة ، اتبعه أكثرهم على تحير ، ومال عنه بعضهم على وجل ! ولكنه كان سداً إمام تفسير أهل البيت عليهم السلام !

تفسير أهل البيت عليهم السلام

نورد فيما يلي نماذج من أحاديثنا المتواترة في أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة القرآن ، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب ، دون غيرهم !

ففي شرح الأخبار: ٤٧٢/٣: (قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: ما يقول من قبلكم في هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت: يقولون نزلت في أهل القبلة. قال: كلهم؟ قلت: كلهم. قال: فينبغي أن يكونوا قد غفر لهم كلهم. قلت: يا ابن رسول الله في من نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة ، بنا يغفر الله ذنوبهم وبنا يقضي ديونهم ، ونحن باب حطتهم كحطة بني إسرائيل).

وفي الثاقب في المناقب ص ٥٦٦ ، عن أبي هاشم الجعفري عليه السلام قال: (كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام ، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام ، والمقتصد العارف بالإمام

، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام. قال: قدمعت عيناى وجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إليّ وقال: الأمر أعظم مما حدثك به نفسك من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم ، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم ، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير). انتهى .

وفي بصائر الدرجات ص ١٣٥: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إن العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع ، والعلم يتوارث ، وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة ، وإنه لن يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من يعلم مثل علمه ، أو ما شاء الله).

وفي بصائر الدرجات ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن الحسن عن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لي: نعم ، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم ، قلت: ورثهم النبوة وما كان في آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه ، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله ؟ قال: صدقت ، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير ، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل ، فقال إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، وكانت المردة والريح والنمل والإنس والجن والشياطين له طائعين ، وغضب عليه فقال: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، وإنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء ، فهذا وهو طير قد أعطي ما لم يعط سليمان ! وإنما أراده ليدله على الماء ، فهذا لم يعط سليمان ، وكانت المردة

له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه !
 إن الله وتعالى يقول في كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ
 أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَّه الْأَمْرُ جَمِيعًا ، وقد ورثنا هذا القرآن ، ففيه ما تقطع به
 الجبال وتقطع المداين به ويحيا به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ،
 وإن في كتاب الله آيات ما يراد بها أمر إلى أن يأذن الله به ، مع ما فيه أذن الله ،
 فما كتبه للماضين جعله الله في أم الكتاب ، إن الله يقول في كتابه: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
 عِبَادِنَا ، فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء). انتهى .

وروى في كتاب بصائر الدرجات ص ٦٥ ، أكثر من خمسة عشر حديثاً في هذا
 الموضوع ، وفيها صحيح السند بدرجة عالية ، منها: (عن أبي جعفر عليه السلام قال في
 هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية ، قال: السابق بالخيرات
 الإمام ، فهي في ولد علي وفاطمة عليهما السلام).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٠٧/٢: (عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا
عليه السلام مجلس المأمون بمرور ، وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق
 وخراسان فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين
 اصطفينا من عبادنا؟ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها ، فقال
 المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول:
 أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون
 الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز
 وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو
 الفضل الكبير ، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها

يحلون فيها من أساور من ذهب ، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة ؟ فقال الرضاء عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وهم الذين قال رسول الله ﷺ: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل ؟ فقال الرضاء عليه السلام: هم الآل ، فقالت العلماء: فهذا رسول الله (ص) يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه آل محمد أمته ! فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل ؟ فقالوا: نعم ، قال: فتحرم على الأمة ؟ قالوا: لا ، قال: هذا فرق بين الآل والأمة ! ويحكم أين يذهب بكم ؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن ؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى .

وفي معاني الأخبار للصدوق ص ١٠٤: (عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ؟ فقال: الظالم منا من لا يعرف حق الإمام ، والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام. جنات عدن يدخلونها ، يعني السابق والمقتصد). انتهى .

اختصاص أهل البيت عليهم السلام بعلم الكتاب لا يلغي حجته

قال السيد الخوئي رحمته الله في البيان ص ٢٦٨: (فإن معنى ذلك أن الله قد خص أوصياء نبيه صلى الله عليه وآله بإرث الكتاب ، وهو معنى قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٣٥:٣٢) فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته ، وليس لغيرهم في ذلك نصيب. هذا هو معنى الرسالة ، وإلا فكيف يعقل أن أبا حنيفة لا يعرف شيئاً من كتاب الله حتى مثل قوله تعالى: قل هو الله أحد ، وأمثال هذه الآية مما يكون صريحاً في معناه. والأخبار الدالة على الإختصاص المتقدم كثيرة جداً). انتهى.

أبناء فاطمة وأتباع أهل البيت عليهم السلام ورثة مجازيون للكتاب

في تفسير العياشي: ٧٠/١: (عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، يقول لا حرج عليه أن يطوَّفَ بهما ، فنزلت هذه الآية ، فقلت: هي خاصة أو عامة قال: هي بمنزلة قوله: مَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فمن دخل فيهم من الناس كان بمنزلتهم يقول الله: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). انتهى .

الظالم لنفسه درجات متفاوتة

(الظالم لنفسه) مفهوم واسع في القرآن ، يشمل الكافر والفاسق والظالم لغيره ، لأن الجميع ظلم للنفس ، وقد نص القرآن على أن بعض أنواع الظالمين لأنفسهم يدخلون جهنم ، قال تعالى: الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ. (النحل: ٢٨-٢٩).

وبعضهم يدخل الجنة ، قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. (آل عمران: ١٣٣-١٣٦).

وبعضهم ظالمون لأنفسهم فكراً وعملياً بترك عقيدة التوحيد واتخاذ عقيدة الكفر ، كقوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. (هود: ١٠١).

وبعضهم ظالم لنفسه عملياً فقط بتعدي حدود الله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. (الطلاق: ١).

أو بعمل سوء يتبعه بالإستغفار: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءً أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا. (النساء: ١١٠).

وعلى هذا ، فحتى لو جعلنا الظالم لنفسه من أبناء فاطمة عليها السلام قسماً ملحقاً بالمصطفين ورثة الكتاب عليه السلام فالمقصود به ليس الظالم للناس بل لنفسه بسلوكه الشخصي المحض يتبعه بالإستغفار ، كما تقدم .

على أنك عرفت رواية الصدوق في معاني الأخبار ص ١٠٤ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (جنات عدن يدخلونها ، يعني السابق والمقتصد). انتهى .

رأي علماء الشيعة

قال المفيد رحمته الله في المسائل العكبرية ص ١١١: (وقوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه بعد وصفه الوارثين للكتاب بالصفوة ، فإنه غير ما ظنه السائل أنه لم يرد بقوله: فمنهم

من أعيانهم ، وإنما أراد من ذوي أنسابهم وذرائعهم. فأما المصطفون فقد حرسوا بالاصطفاء من الظلم ووقفوا به للعدل. وكذلك قوله: ومنهم مقتصد ، يريد به من نسلهم وأهلهم وذوي أنسابهم. وقوله: ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله كذلك. ولم يرد بالأصناف الثلاثة أعيان من خبر اصطفائه وتوريثه الكتاب).

قال السيد المرتضى رحمته الله في رسائله: ١٠٢/٣: (والذي أعتمده وأعوّل عليه أن يكون: فمنهم ظالم لنفسه ، من صفة عبادنا ، أي أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، ومن عبادنا ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، أي فليس كل عبادنا ظالماً لنفسه ، ولا كلهم مقتصداً ولا كلهم سابقاً بالخيرات ، فكان الذين أورثوا الكتاب السابقون بالخيرات دونهما).

وقال الشيخ الطوسي رحمته الله في التبيان: ٤٣٠/٨: (إن الله تعالى أورث علم الكتاب الذي هو القرآن ، الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين والأئمة المنتجبين ، الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح لا صغيراً ولا كبيراً. ويكون قوله: فمنهم ظالم لنفسه ، راجعاً إلى عبادنا وتقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن عبادنا مقتصد ومن عبادنا سابق بالخيرات ، لأن من اصطفاه الله لا يكون ظالماً لنفسه ، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا).

وقال الطبرسي رحمته الله في مجمع البيان: ٢٤٥/٨: (اختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود على قولين ، أحدهما: إنه يعود إلى العباد ، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا ، قال: والوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده ، بين عقيه أنه إنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون بعض

لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ، ومن هو مقتصد ، ومن هو سابق بالخيرات .
والقول الثاني: إن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد ، عن أكثر المفسرين).

بعض مفسري الشيعة وافق على تفسير عمر وكعب !

قال في تفسير الميزان: ٤٥/١٧: (واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هم ؟
فقليل هم الأنبياء ، وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون في قوله: إن الله اصطفى آدم
ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. وقيل هم أمة محمد ﷺ فقد أورثوا
القرآن من نبيهم. وقيل وهو المأثور عن الصادقين ﷺ في روايات كثيرة
مستفيضة ، إن المراد بهم ذرية النبي ﷺ من أولاد فاطمة ع).

وقال في: ٥٠/١٧: (واعلم أن الروايات من طرق الشيعة عن أئمة أهل
البيت ع في كون الآية خاصة بولد فاطمة ع ، كثيرة جداً). انتهى .

أقول: بل وصلت هذه الروايات إلى حد التواتر ، وفيها عدد صحيح السند
قطعي الحجية بنفسه ، فقد قال السيد ابن كاووس في سعد السعود ص ١٠٨: (أقول:
وروي تأويل هذه الآية من عشرين طريقاً). انتهى .

لكن صاحب الميزان رحمه الله أعرض عنها مع الأسف ، ولم يصل حتى إلى مستوى
تفسير القرطبي ، بل أخذ بالتفسير القرشي الرسمي تبعاً لكثرة المفسرين القائلين
به ! فخفف معنى وراثته الكتاب ، وأدخل الظالمين الجنة !

قال في الميزان: ٤٥/١٧: (وقوله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات " يحتمل أن يكون ضمير منهم راجعاً إلى الذين اصطفينا ، فيكون
الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء في الوراثة
وإن كان الوارث الحقيقي العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات.

ويحتمل أن يكون راجعا إلى عبادنا - من غير إفادة الإضافة للتشريف - فيكون قوله: فمنهم مفيدا للتعليل والمعنى إنما أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لا جميع العباد ، لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولا يصلح الكل للوراثة.

ويمكن تأييد أول الإحتمالين بأن لامانع من نسبة الوراثة إلى الكل مع قيام البعض بها حقيقة كما نجد نظيره في قوله تعالى: وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (المؤمن: ٥٤) ، وما في الآية من المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ، يعطي أن المراد بالظالم لنفسه من عليه شئ من السيئات وهو مسلم من أهل القرآن لكونه مصطفى ووارثاً! والمراد بالمقتصد المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق. والمراد بالسابق بالخيرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب ، فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات ، قال تعالى: والسابقون السابقون أولئك المقربون. (الواقعة: ١١).

وقوله تعالى: ذلك هو الفضل الكبير، أي ما تقدم من الإيراث هو الفضل الكبير من الله ، لادخل للكسب فيه. هذا ما يعطيه السياق وتفيده الأخبار من معنى الآية ! وفيها للقوم اختلاف عجيب (! انتهى .

وتبعه صاحب تفسير الأمل فقال: ٨٧/١٤: (ثم تنتقل الآية إلى تقسيم مهم بهذا الخصوص فتقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ظاهر الآية هو أن هذه المجاميع الثلاثة هي من بين الذين اصطفينا أي ورثة وحملة الكتاب السماوي. وتعبير أوضح إن الله سبحانه وتعالى قد أوكل مهمة حفظ هذا الكتاب السماوي بعد الرسول الأكرم ﷺ إلى هذه الأمة ، الأمة التي اصطفاه الله سبحانه...

وقد ورد في روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في تفسير: سابق بالخيرات بالمعصوم ، وظالم لنفسه: بمن لا يعرف الإمام ، والمقتصد: العارف بالإمام. وهذه التفسيرات شاهد واضح على ما اخترناه لتفسير الآية ، وهو أنه لا مانع من كون هذه المجاميع الثلاثة ضمن ورثة الكتاب الإلهي ! ولا نحتاج إلى التذكير بأن تفسير الروايات أعلاه هو من قبيل بيان المصاديق الأوضح للآية ، وهم الأئمة المعصومون ، إذ هم الصف الأول ، بينما العلماء والمفكرون وحماة الدين الآخرون في صفوف أخرى . انتهى .

أهم الإشكالات على التفسير الحكومي

أهم الإشكالات عليه: أنه يخرب معنى توريث القرآن للمصطفين ، فيجعل كل الأمة مصطفاة بمن فيها الظلمة والقتلة والجبابرة والمنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار! فهو يخرب معنى الإصطفاء الإلهي ويطعن في حكمة الله تعالى! وعندما يحكم بأن الظالم يدخل الجنة يصل تخريبه إلى قانون استحقاق الثواب والعقاب ، لا يبقى لطاعة الله معنى لأنها تتساوى في النتيجة مع الظلم والمعصية !

١- معنى توريث الكتاب الإلهي:

قال الراغب الأصفهاني ، وهو من أفضل علماء العربية في تجذير الكلمات ، قال في المفردات ص ٥١٨: (الورثة والإرث: انتقال قُنيّةٍ إليك عن غيرك ، من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد. وسمي بذلك المتقل عن الميت ، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث ، وتراث. أصله وراث ، فقلبت الواو ألفاً وتاء ، قال: وتأكلون التراث... ويقال: ورثت مالا عن زيد وورثت زيدا ، قال: وورث سليمان داود.. وورثه أبواه.. وعلى الوارث مثل ذلك....ويقال لكل من حصل له شيء من غير

تعب: قد ورث كذا. ويقال لمن خَوَّلَ شيئاً مهنتاً: أُوْرَثَ ، قال تعالى: وتلك الجنة التي أُوْرثتموها.. أولئك هم الوارثون الذين يرثون.....وقال لعلي رضي الله عنه: أنت أخي ووارثي ، قال: وما أُرثك؟ قال: ما ورّثت الأنبياء قبلي، كتاب الله وسنتي).

وموضوعنا: وراثة الكتاب الإلهي ، وقد وردت في القرآن بثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: الذين ورثوا الكتاب ، وأورثوا الكتاب.

ومعناها مطلق الوراثة للأمة ، كقوله تعالى عن اليهود: (وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ..(الأعراف:١٦٨-١٧٠).

وقوله تعالى عن النصارى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. (الشورى:١٤). فلم ينسب فيها التورث إلى الله تعالى ، وجاءت في سياق ذم وراثة الكتاب لأنهم لم يعملوا به ، ومدح الذين عملوا به .

وشبيه بها صيغة: (الذين أوتوا الكتاب ، وأوتوا نصيباً من الكتاب) بالمبني للمجهول ، بدون نسبة الإيتاء صريحاً إلى الله تعالى. وسياقها أيضاً الذم ، كقوله تعالى: نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ ظُهُورِهِمْ. البقرة: ١٠١

وقوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. البقرة: ١٤٤

وقوله تعالى: وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ. البقرة: ١٤٥

وقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. آل عمران: ١٩

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ؟ آل عمران: ٢٠

وقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ

فَنَبَذُوهُ وراءَ ظُهُورِهِمْ واشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ. آل عمران: ١٨٧

وقوله تعالى: كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
(الحديد: ١٦).

وقوله تعالى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. (البينة: ٤)



وينبغي أن نسجل ثلاث ملاحظات على هذا الآيات:

الأولى ، أن تعبير (ورثوا الكتاب ، وأورثوا الكتاب ، وأوتوا الكتاب) ، وإن كان فيه مدح بأن الله تعالى آتاهم الكتاب ، لكنه مدحٌ بنعمة أنعمها الله عليهم فلم يحفظوها ، فهو في جوهره ذمٌ لهم ، مضافاً إلى صفاتهم الأخرى التي نصت عليها الآيات ، كالكفر والفسق ، ولذا قلنا إن سياق الآيات هو الذم.

والثانية ، أن الذين (أوتوا نصيباً من الكتاب) هم نفس (أوتوا الكتاب) أو بعضهم وهذا التعبير يدل على أنهم استوعبوا شيئاً من الكتاب ، أو طبقوه ، بينما ضيعوا الباقي ! فهو أيضاً ذم لهم وليس مدحاً .

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. آل عمران: ٢٣

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. النساء: ٥١-٥٢

والثالثة ، أن إتياء الكتاب في هذه الآيات عام لكل الأمة ، ومجمل لم يحدد فيه الأنبياء أو الأوصياء عليهم السلام أو العلماء الذين آتاهم الكتاب ، ولا مستواهم العلمي لكن يوجد آية أخرى كشفت أن وصف هؤلاء المذمومين بأنهم ورثوا أو أورثوا أو أوتوا الكتاب ، كان بسبب وجود الصالحين المصطفين منهم الذين أورثهم الله الكتاب ، وإنما وصف به المذمومون لأنهم أممهم وقومهم !

قال تعالى: **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِكَاافِرِينَ** . (الأنعام: ٨٣-٨٩)

وتعبير: **أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** ، يكشف عن أن هؤلاء هم أهل الكتاب وأصحابه وورثته الحقيقيين ، وأن وصف غيرهم به مجازٌ بسبب وجودهم فيهم .



الصيغة الثانية: أورثنا الكتاب. وقد وردت في آيتين فقط:

إحداهما ، **تورث الكتاب لبني إسرائيل** ، وهي قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**. (غافر: ٥٣-٥٤) ، فذكرت أن إتياء الكتاب وتنزيله كان لموسى عليه السلام ، بينما تورثته لبني إسرائيل .

والثانية ، **تورث القرآن للمصطفين** من هذه الأمة ، وهي الآية موضوع البحث: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مَن عِبَادَنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**. (فاطر: ٣٢) .

وهذه الصيغة شبيهة بصيغة: **آتيناهم الكتاب في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**. (الجنات: ١٦) وقوله تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**. (البقرة: ١٤٦) .

ومن الملاحظات في الصيغتين:

الأولى ، أن المورث في الآيتين هو الله تعالى ، لكن المورث مختلف ، فتورث التوراة والإنجيل كان لبني إسرائيل عامة ، أما تورث القرآن فكان للمصطفين فقط ! فقد تحدث سبحانه في سورة فاطر من آية ٢٧ ، في سياق متصل عن العلم والعلماء ، ثم عن التالين لكتاب الله ، ثم عن تنزيل هذا الكتاب على رسوله ﷺ مصداقاً لما بين يديه ، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، ولم يقل: ثم أورثناكم الكتاب ، أو ثم أورثنا الأئمة ، كما قال: وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ !؟

فما هو السر في هذا العموم والخصوص في التورث الإلهي ؟

الثانية ، أن تورث الكتاب الإلهي يختلف معناه حسب المورثين ، فتورثه للأمة يعني تورثه لأشخاص معينين منها مجازي للأمة وحقوقي لأفراد منها ، أما تورثه لأشخاص فهو تورث حقيقي يعني تعليمهم تفسيره وعلومه ليكونوا معلمين له. كما تقول إن فلاناً ورث علم الطب للشعب الفلاني ، أو ورثه للأطباء الفلانيين ، فلا بد من في تفسيره من مراعاة التناسب بين التورث والمورث ! والفرق الذي يبدو صغيراً هو كبير جداً ، فتورث الكتاب لبني إسرائيل يعني تورث علومه لأتباعه وأوصياء منهم وجعله في متناول كل الأمة. أما تورث الكتاب للمصطفين من أمة النبي ﷺ فيعني تورث علومه لأئمة معينين ، وجعله في متناول من تبعهم .

الثالثة ، لا يمكن تفسير المصطفين ورثة الكتاب الإلهي ، إلا بملاحظة الصفات المشابهة التي وصف بها القرآن حملة العلم الإلهي في هذه الأمة ، كالذين عندهم علم الكتاب ، والراسخين في العلم ، وأهل الذكر ، في قوله تعالى عن وصي سليمان عليه السلام: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ

قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (النمل: ٤٠)

وقوله تعالى عن وصي النبي ﷺ: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (الرعد: ٤٣)

وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. (آل عمران: ٧)

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (النحل: ٤٣).

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (الأنبياء: ٧) وهي نفس الآية المتقدمة بدون كلمة: (من) !

وآية الشهود التالي للنبي ﷺ في قوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَمِينِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ (هود: ١٧)

فهذه الآيات وغيرها ، تعرفنا من هم المصطفون الذي خصهم الله في هذه الأمة بوراثة القرآن. وكذلك أحاديث النبي ﷺ، ومثلها أحاديث أهل بيته الطاهرين عليه السلام ، لأن النبي ﷺ أرجع أمته إليهم وجعلهم عدل القرآن في مثل قوله المتواتر ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فقولهم قوله وحديثهم حديثه ، ومنهم يجب أن تأخذ الأمة كتاب الله وتفسيره .



٢- الظالم مطلقاً يستحيل أن يكون من المصطفين !

القاعدة العامة في التفسير وكل بحث علمي ، بل في كل الحياة ، أن لا نبيع اليقين بالشك ، ولا المحكم بالمشابه. ومن اليقين المحكم أن المصطفين من الله

أشخاص اختارهم الله لأدوار في الشعوب والأمم والعالم ، لأنهم أهل لذلك ، وأعطاهم ما يحتاجونه في عملهم من علم وتأيد .

وهذا يقتضي طهارتهم وعصمتهم ووجوب اتباعهم .

وعندما نجد نصاً ظاهره أن المصطفين فيهم ظالمون عاصون لربهم ، فيجب أن نتوقف فيه ، لأن قبول ظاهره يعني تخريب قانون الإصطفاء الإلهي ، والطعن في حكمة الله تعالى !

لهذا لا بد في آية توريث الكتاب للمصطفين من أحد أمرين:

إما أن نجعل الظالم لنفسه قسماً من عبادنا وليس من المصطفين كما اختاره الشريف المرتضى رحمته الله ، وغيره. قال في مجمع البيان: ٢٤٥/٨: (اختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود ، على قولين ، أحدهما: إنه يعود إلى العباد ، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، واختاره المرتضى قدس الله روحه ، من أصحابنا). انتهى .

وإما أن نجعل دخول الظالم لنفسه في المصطفين مجازاً ، لأنه منهم نسباً أو اتباعاً ، كما فسره الإمام الرضا عليه السلام وهذا الذي أرجحه لأنه روي عن المعصوم عليه السلام ، ولعل المرتضى لم يطلع عليه ، وقد استدل له الإمام الرضا عليه السلام بقوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. (الحديد: ٢٦) فكما أن جعل النبوة والكتاب في بعض ذرية نوح وإبراهيم ، لم يمنع أن يكون بعضهم الآخر فاسقين ، فكذلك توريث الكتاب لعتره محمد صلى الله عليه وآله لم يمنع أن يكون بعض آخر منهم ظالم لنفسه.

وقد تقدمت روايته من عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٠٧/٢ وفيها: (فقلت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها ، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال

الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وهم الذين قال رسول الله ﷺ: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. إلى أن قال: أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى .



٣- تعيمهم للمفردات الخاصة ، وتمييعهم للقوانين الحاسمة !

ليست محاولة علماء السلطة في التعيم والتميع في تفسير الآية ، إلا واحدة من منهج ابتدعوه في التفسير ، كشفنا جانباً منه في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال- المسألة ١٦٣) ، وقد ارتكبوا هنا تعيمين للكتاب والمصطفين ، وتمييعين لتوريث الكتاب ، وقانون الثواب والعقاب:

فقد عمموا الكتاب في قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ،

فجعلوه كل كتاب إلهي ، مع أن السياق يتحدث عن القرآن ، فالآية التي قبلها:
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..الآية. فعدلوا عن السياق بلا حجة!
وكان هدف كعب الأحبار من توسيع المصطفين وتوسيع الكتاب ، أن يعطي
الشرعية للتوراة والثقافة اليهودية وأنها مورثة لهذه الأمة ، ويعطي لنفسه مقام
مستشار الخلافة في علم الكتاب كله التوراة والإنجيل والقرآن ! وإلا فأين التوراة
والإنجيل اللذين ورثتهما الأمة ، وعند من يوجدان ؟!

أما لو اعترف كعب بأن القرآن هو المورث لفئة من هذه الأمة ، فلا بد أن
تكون عترة النبي ﷺ ، فيكون أخرج نفسه وعلمه من الساحة ، وأوجب على
الأمة أن ترجع إلى العترة ورثة القرآن ومعادله ، كما أمرها نبيها ﷺ!
وقد استطاع كعب أن يقنع عمر بذلك وبأشياء كثيرة ، لا يتسع لها هذا الكتاب !
ولا نطيل الكلام في وقوف كعب وراء هذه التعميمات والتميعات ودوافعه ،
ونكتفي بالقول إن المقصود بالكتاب في الآية هو القرآن بحكم السياق ، ولا
دليل إلا التحكم لمن ادعى تعميمه لكل كتاب إلهي .



وأما جعله الظالمين من المصطفين وأهل الجنة ، فهو جزء من خطته في فتح
أبواب الجنة لجميع الناس ، وهو أمر عمل له كعب وأطاعه فيه عمر حتى قال
بشمول الشفاعة لجميع الخلق ، ثم قال إن النار تفنى وينقل أهلها إلى الجنة !
(راجع المسألة ١٥٥ من كتابنا (ألف سؤال وإشكال) ، والمجلد الثالث من العقائد الإسلامية).



وأما معنى المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب ، فلا يصح أن يكونوا إلا
جماعة خاصين بحكم الظهور المستحكم للكلمة ، وهم عترة النبي ﷺ الذين

قرنهم بالقرآن وجعلهم عدلاً له ، وسماهما الثقليْن ! وتؤيد ذلك الأدلة الكثيرة لاصطفاء العترة النبوية ، التي رواها المؤلف والمخالف .

ولا دليل من عقل ولا نقل على زعم كعب أنهم كل الأمة ، ولا زعم غيره أنهم الصحابة ، إلا الإستحسان الظني ، أو التحكم ، لمصادرة ما خص الله به عترة نبيه ﷺ وأعطأوها لغيرهم !

فلو كان الصحابة هم المصطفون ورثة الكتاب ، لَمَا أوجب النبي ﷺ على أمته التمسك بالثقلين الكتاب والعترة في حديث الثقلين المتواتر عند الجميع ، ولَمَا أمر الأمة أن يقرنوا العترة بالنبي ﷺ والصلاة عليهم معه في صلواتهم ! ثم لو سلمنا أن المقصود بهم الصحابة ، لكان أهل البيت أولى بوراثته الكتاب أيضاً ، لأنهم صحابة وعترة !

وخامساً ، كيف يكون الصحابة مصطفين ، وقد أخبر النبي ﷺ في أصح كتب أتباعهم بأن أكثرهم يدخلون جهنم ، ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَلِ النعم ! قال البخاري: ٢٠٨/٧: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله ! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله ! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم) ! انتهى.

ولم تصرح رواية البخاري هذه بإسمهم ، لكن صرحت روايته الأخرى بالصحابة وفسرها شراحه بهم! قال في صحيحه: ٩٧٥/٢: (يرد على الحوض رجالٌ من أصحابي فيحلّون عنه فأقول يارب أصحابي ! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري) ! (وشبهاً به في: ٨٦/٨ و: ١٩٥/٧ و٢٠٧-٢١٠)

وص ٨٤ و ٨٧ و: ٨٦/٨ و ٨٧ ، ونحوه مسلم: ١٥٠/١ و: ٦٦/٧ وابن ماجة: ١٤٤٠/٢ وأحمد: ٢/٢٥ و ٤٠٨ و: ٢٨/٣ و: ٢١/٥ و ٢٤ و ٥٠ و: ١٦/٦ ، والبيهقي في سننه: ١٤/٤ ، وغيرهم).



أما دعوى كعب وعمر ومن وافقهما بأن المصطفين كل الأمة ، فيرد عليها:
أولاً، أنه لا دليل عليها من عقل ولا نقل ، فإن الله تعالى قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، وظاهره أنه انتخب عبداً خاصين فأورثهم الكتاب ، ولا دليل لهم على أنهم كل الأمة إلا التحكم المحض ، أو الإستحسان والتخرص !
وثانياً ، كيف يتجرأ مسلم أو عاقل على القول إن كل المسلمين مصطفىون يدخلون الجنة بمن فيهم الظالم والمنافق ! ويرفع يده عن آيات القرآن التي تنص على دخول أصناف من هذه الأمة جهنم ؟!

فأين قول الله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. (المؤمنون: ١٠٣) وعشرات الآيات التي تدفع هذا الزعم وتردهذه الأمانى ، ومنها قوله تعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. (النساء: ١٢٣)

وأين قول رسول الله ﷺ الذي تقدم في أكثر أصحابه: (قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) !

إنه لا مناص لمن جعل المصطفين ورثة الكتاب كل الأمة ، من تخريب قانون الجزاء والعقاب الإلهي ! كما لا مناص له من تميم معنى التوريث ، وجعله توريثاً شكلياً لا يتعدى توريث أوراق القرآن ، لأنه لا يعترف بمركز لهذا التوريث ، وإن سألته عن علم القرآن الذي ورثه الله للأمة أين هو ؟ لقال عند جميع الأمة ! وهو يعرف أن كبير الصحابة عمر لا يعرف معنى مفردات القرآن مثل (وفاكهة وأباً) ؟!

وثالثاً ، إن روايات أهل البيت عليه السلام

التوريث الإلهي للكتاب مقام عظيم !

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبعياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من غيرهم). (نهج البلاغة: ٢٧/٢) .

وقال عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيزنا ، فكانوا كما قال الأول:

أدمتَ لعمري شُربَكَ المحضَ صابحاً وأكلَكَ بالزبدِ المقشرةَ البُجْرا ونحن وهبناكَ العلاءَ ولم تكنَ علياً وحُطْنا حولَكَ الجُردَ والسُّمرا) . (نهج البلاغة: ٨٢/١)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً: نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين ! فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ، يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة ، فكيف يقرؤون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله؟!

قال الراوي بريد العجلي: قلت: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمةً مَنْ أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم). (الكافي: ٢٠٥/١)



الطائفة الثالثة: آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهي

إخلاص الدين لله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. (الزمر: ٢-٣).

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (الزمر: ١١-١٥).

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. (البقرة: ١٣٩).

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. (النساء: ١٤٦).

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ. (البينة: ٤-٥).

دعاء الله بانقطاع وإخلاص

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. (الأعراف: ٢٩).

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (غافر: ١٤).

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (غافر: ٦٥).

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَنُنْجِيَنَّ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (يونس: ٢٢).

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. (العنكبوت: ٦٥).

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. (لقمان: ٣٢).

المخلصون المستخلصون

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف: ٢٤).

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِي أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. (يوسف: ٥٤).

فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. (يوسف: ٨٠).

ابراهيم وموسى وغيرهما من المخلصين عليهم السلام

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْإِخْيَارِ. (صاد: ٤٥-٤٧).

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).

المخلصون ناجون من الضلال والهلاك

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات: ٧١-٧٤).

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات: ١٢٥-١٢٨).

المخلصون مقربون من الله وليسوا أبناءه

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات: ١٥٨-١٦٠).

المخلصون ناجون من العذاب مكرمون في الجنة

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ. فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ. (الصافات: ٣٨-٤٢).

يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات: ١٦٧-١٦٩)



معنى الإخلاص والمخلص

قال الراغب في المفردات ص ١٥٤: (الخالص كالصافي ، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه ، ويقال خلصته فخلص....وقوله: ونحن له مخلصون. إنه من عبادنا المخلصين، فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث ، قال تعالى: مخلصين له الدين، وقال: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وقال: وأخلصوا دينهم لله ، وهو كالأول ، وقال: إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً. فحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى). انتهى .

والظاهر أن تسمية الشيء خالصاً ليس بسبب تخليصه من الشَّوْب ، بل بسبب أنه في معرض الشَّوْب ، وإن كان من أصله خالصاً لم يمسَّه شَوْبٌ في وقت ما.

ومعنى إخلاص الدين لله تعالى: توحيده توحيداً كاملاً ، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة) . (نهج البلاغة: ١٤/١)

هذا هو الإخلاص النظري العقدي ، أما الإخلاص العملي فهو الطاعة الكاملة لله تعالى بالقيام بما أوجبه وترك ما نهى عنه ، وإخلاص النية له في كل ذلك .
في تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٨٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (رأس الدين صحة اليقين ، وتمام الإخلاص تجنبك المعاصي) .

وفي معاني الأخبار للصدوق ص ٢٦٠: (أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه ، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه ، قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص وأحسن منه ، قلت: وما هو؟ قال: اليقين.... إلى أن قال:

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد ، وإذا وجد رضي ، وإذا بقي عنده شيء أعطاه في الله ، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقر لله عز وجل بالعبودية ، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راض والله تبارك وتعالى عنه راض ، وإذا أعطى لله عز وجل فهو على حد الثقة بربه عز وجل . قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه ، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد) . انتهى .

وفي الكافي: ١/١٨١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ، ولا تعرفوا حتى تصدقوا ، ولا تصدقوا حتى تسلموا . أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها ، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً . إن الله تبارك

وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود ، فمن وفى لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده ، واستكمل ما وعده ، إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون ، فقال: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ، وقال: إنما يتقبل الله من المتقين ، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ ، هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل ، خذوا زينتكم عند كل مسجد ، والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار .

إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره ، فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. تاه من جهل ، واهتدى من أبصر وعقل ، إن الله عز وجل يقول: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟

إتبعوا رسول الله وأهل بيته ﷺ ، وأقروا بما نزل من عند الله ، واتبعوا آثار الهدى ، فإنهم علامات الأمانة والتقى . انتهى .

دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة

يدل لقب المُخْلَص بالفتح ، على عصمة صاحبه ، لأن الله تعالى استخلصه ، أي أنه استحق بعمله وتخليصه لفكره ونياته من الشوائب ، أن يتقبله الله تعالى لنفسه فيجعله من المخلصين له ، وذلك يقتضي أن يحميه حماية تامة من شوائب نية المعصية فضلاً عن فعلها.

وهذا معنى المعصوم فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في تعريفه: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). انتهى . (معاني الأخبار للصدوق: ص ١٣٢).

وقد بين الله تعالى أن عباده المخلصين لهم علاقة خاصة معه ، لكن ليست علاقة نسب ومصاهرة كما يتصورها بعض الناس ! قال تعالى: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات: ١٥٨-١٦٠).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).

وقال عن يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف: ٢٤).

فقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، تعليلٌ لصرف السوء والفحشاء عنه ، ومعناه أن يوسف عليه السلام لما كان عبداً مخلصاً مستخلصاً لنا ، فقد صرفنا عنه الضرر والمعصية

، فمقام الإستخلاص يستوجب هذه الدرجة العالية من العصمة والرعاية !

ومع هذا النص الإلهي ، فلا قيمة لكل ما رواه من أن يوسف عليه السلام قد همَّ بالمعصية وفكر بالزنا ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ! معاذ الله !

فكل ذلك إسرائيليّات اليهود وطعنهم بيوسف عليه السلام ، تلقفها عنهم رواة السلطة!

بل هَمَّتْ به لنفسها ، وهمَّ بها أن يضربها ، فرأى برهان ربه يقول له: أهرب ولا تضربها ! فلو ضربها لرآه زوجها الذي كان لدى الباب ، ولادَّعت عليه بأنه أرادها فلم تقبل فضربها ! وللحق به السوء أي القتل ! فدفع الله عنه بإخلاصه واستخلاصه السوء والضرر من زوجها ، كما دفع عنه الفحشاء من أول ما راودته عن نفسه ، وبقيت نيته خالصة لله تعالى ، لم يشبها عمل ولا تفكير ولا نية بالفحشاء والزنا .

وقد تقدم قول الإمام الرضا عليه السلام من العيون: ١٧٠/٢: (وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة ، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ). (يوسف: ٢٤) يعني القتل والزنا).

أما جواب من تخيل أن معنى (همَّ بها) فكرَّ بالمعصية ، فهو:

أن معنى فعل (همَّ به) في اللغة: أراد به الضرر ، فإن وجدت قرينة صُرف عن معناه بحسبها ، وإلا بقي عليه. ومرادة زليخا ليوسف عليه السلام قرينة على أن معنى (همَّتْ به) أرادته لنفسها ، لكن لا قرينة توجب صرف (همَّ بها) في يوسف عليه السلام عن معناها الأصلي ، فيبقى معناه: هم أن يضربها كما ورد به الحديث.

وينبغي الغلفات إلى أن نوع الضرر المقصود بـ(همَّ به) قد يُصَرَّح به كقوله تعالى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، (التوبة: ١٣) ، وقد يعرف بالقرينة كقوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة: ٧٤) أي بقتل النبي صلى الله عليه وآله كما دل الحديث .

وفي مسند أحمد: ٤١٦/٢ والبخاري ٦١/٣: (أن رجلاً أتى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له قال فهمَّ به أصحابه ، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً). انتهى.

أي همَّ المسلمون بطرده أو ضربه أو إيذائه ، حيث لم يرد أن المسلمين هموا

بقتل أحد في حضور النبي ﷺ بدون أمره .

وفي البحار: ٨٥/٣٠ ، في قصة يهودي مع أبي بكر: (فوقف عليه وقال: إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك؟ فقال اليهودي: أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة! يا يهودي أو في السماء شيء لا يعلمه الله؟ وهم به المسلمون ، وكان في القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتكم الرجل! قال أبو بكر: أو ما سمعت ما تكلم به؟! فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب ، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه...). انتهى.

فقوله (وهم به المسلمون) أي هموا بضربه ، أو إيذائه .



على أن قوله تعالى: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، كافٍ لتفسير معنى همَّ بها ، فمن استخلصه الله تعالى لا يمكن أن يهَمَّ بالفحشاء ! وهنا يأتي دور فهم الفعل الإلهي في الاستخلاص وغيره ، وأنه فعلٌ من عالم حكيم رحيم ، بالعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة الشاملة ، فلا يصح أن نتصوره كأفعالنا القاصرة المحدودة !

وقد كشف لنا عز وجل أن استخلاصه عز وجل ليوسف ﷺ يستوجب صرف السوء عنه ، أي منع الغير من الإضرار به ، وصرف الفحشاء عنه ، أي جعل عقله وتقواه ﷺ هما المسيطرين الحاكمين على نوازعه الجسدية .

ولئن صح الإستثناء في صرف الله للسوء عن الأنبياء والأوصياء ﷺ أو السماح به تجاههم لحكم يعلمها سبحانه ، فإن الإستثناء في صرف الفحشاء لا يمكن ، لأنه أمر يتعلق بفعل المستخلص فهو من لوازم الاستخلاص دائماً .

أما كيف تتم عصمة المستخلص ، فقد يكون من وسائلها (رصد الملائكة) ، وقد يكون البرهان الذي أراه الله ليوسف عليه السلام أن الملك هتف به كما في الرواية. وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله ، فقال: قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا. عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب ، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به . هذا ، وفي هذه الآيات أبحاث أخرى لا يتسع المجال لاستيفائها .

آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص

اجتنبى الله آدم عليه السلام وعصمه

قال تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. (طه: ١٢١-١٢٢).

إبراهيم عليه السلام أبو المجتبيين وأبو الأنبياء

قال تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (النحل: ١٢٠-١٢١).

المجتبون الهداة عليهم السلام شخصيات وأسرهم قدوات البشرية

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. (الأنعام: ٨٣-٩٠).

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (مريم: ٥٨).

اجتناء يوسف عليه السلام وتعليمه من علم الغيب

وقال تعالى: قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (يوسف: ٥-٦)

اجتناء بعض الأنبياء عليهم السلام يعني رفع درجاتهم

وقال تعالى: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (القلم: ٤٩-٥٠).

اجتناء المؤمنين مستمر في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ. (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (الحج: ٧٧-٧٨).

وقال تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. (آل عمران: ١٧٩).



في مفردات الراغب ص ٨٧: (واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى: وكذلك يجتبيك ربك. فاجتباؤه ربه فجعله من الصالحين. واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. وقوله تعالى: ثم اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدى. وقال عز وجل: يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. وذلك نحو قوله تعالى: إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار).

وفي أساس البلاغة لزمخشري ص ١٧٢: (واجتباؤه: اختاره. مستعار منه لأن من جمع شيئاً لنفسه فقد اختصه واصطفاه ، وهو من جبوة الله وصفوته). انتهى.

والإجتباء على مقام عظيم لكنه أعم من الإستخلاص في موضوعه ، لأنه يشمل غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كالمؤمنين من هذه الأمة ، قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.

ولا بد أنه أعم من الإستخلاص في وسائله أيضاً ، ولذلك لا يدل على العصمة

إلا بقرينة ، كما في آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام .

ونكتفي بغيراد بعض الأحاديث في الإجتباء والمجتبئين:

ففي الكافي: ٤٤٤/١: من خطبة للإمام الصادق عليه السلام: (فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم ، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العز مولده ، وفي دومة الكرم محتده ، غير مشوب حسبه ولا ممزوج نسبه ، ولا مجهول عند أهل العلم صفته ، بشرت به الأنبياء في كتبها ، ونطقت به العلماء بنعتها ، وتأملت الحكماء بوصفها...الخ).

وفي الكافي: ٣٧٠/٨: (عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثرى ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة أختين وهما ابتنان للاحج وكان لاحج نبياً م نذراً ولم يكن رسولاً ، وكان إبراهيم في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها ، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباها ، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته ، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة ، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه ، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثرى ربا رجل أحسن حالاً منه) .

وفي الإحتجاج: ١٣٣/١ ، من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: (وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن اجتباها ، واصطفاه قبل أن ابتعته ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهوايل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بما يلي الأمور ، وإحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بموقع الأمور. ابتعته الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير حتمه).

وفي تفسير الثعالبي: ٢٢١/١: (قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدي. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان ، وقيل بل أكلها ، وهو متأول ، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها ، لأنه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لأعلى الجنس ، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة ، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينه عنها نهى تحريم).

وفي تفسير الثعالبي: ١٠٢/٣: (وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس ، ولم أقف بعد على صحة ما روي في هذه القصص ، ولو صح لوجب تأويله ، نعم روى الترمذي عن سمرة بن جندب ، عن النبي (ص) قال: لما حملت حواء ، طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد ، فقال لها سميه عبد الحارث ، فسمته عبد الحارث فعاش ذلك ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ! قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة ، وعمر شيخ بصري. انتهى. وهذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه ، وعلى كل حال: الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتبه الله وحسن التأويل ما أمكن ، وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره ، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ، ولا يعول عليها من له قلب ، فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من حجر مرتين ، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعا له قولاً ، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدميين). انتهى .

الطائفة الرابعة:

آيات نفي سلطان الشيطان على المخلصين

قال الله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر: ٣٩-٤٢).

وقال تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ. (ص: ٨٢-٨٣).
وقال تعالى: قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. وَاسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجَلَكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا. (الإسراء: ٦٣-٦٥).

وقال تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. (النحل: ٩٨-١٠٠).

وقال تعالى: إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَاتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. (النساء: ١١٧-١١٨).

وجه دلالتها على العصمة

نصت الآيات الكريمة على أن عباد الله المخلصين لا سبيل للشيطان عليهم ، وهذا يعني عصمتهم. أما الإشكالات التي قد تورد على هذا الاستدلال فهي مردودة ، وهذه خلاصة لها ولأجوبتها:

الأول: أن مصادر الشر ثلاثة: الشيطان والنفس والناس ، فنفي تأثير الشيطان عن إنسان لا يعني نفي تأثير مصادر الشر الأخرى ، فيبقى في معرض المعصية.

وجوابه: أن المفهوم من آيات نفي تأثير الشيطان وأحاديثها ، أن هذه الدرجة لا تعطى لإنسان إلا بعد أن يكون غالباً لهواه قوياً إمام تأثير الناس ، فيها تكتمل نعمة الله على الإنسان المخلص بالعصمة. وسنورد طرفاً من أحاديثها .



والإشكال الثاني: أن نفي سلطان الشيطان في قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، وقوله تعالى: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ، يعني نفي سلطنته الكاملة على سلوك الإنسان ولا ينفى بقاء تأثيره إلى حد ، وهذا ينافي العصمة .

وجوابه: أن الله تعالى نفى سلطان الشيطان عن جميع الناس في قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، (إبراهيم: ٢٢) وقوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ.. (سبأ: ٢٠-٢١). ثم نفاه في الآية عن عباد الله الخاصين المستخلصين ، فدل ذلك على أنه معناه نفي مطلق التأثير ، وإلا لكان تخصيصه بعباده الخاصين لغواً .



والإشكال الثالث: أن عبادي في قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥) ، لاتعني عباد الله الخاصين بل كل العباد ، فلا تبقى ميزة للمخلصين في نفيها عنهم لتدل على امتيازهم بها ، فضلاً عن عصمتهم.

قال صاحب الميزان: ١٦٦/١٢: (فإذا أمعنت في الآية وجدتها ترد على إبليس قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، من ثلاث جهات أصلية:

أحداها ، أنه حصر عباده في المخلصين منهم ونفى عنهم سلطان نفسه وعمم سلطانه على الباقيين. والله سبحانه عمم عباده على الجميع ، وقصر سلطان إبليس على طائفة منهم ، وهم الذين اتبعوه من الغاوين ، ونفى سلطانه على الباقيين.

والثانية ، أنه لعنه الله ادعى لنفسه الإستقلال في إغوائهم كما يظهر من قوله

لأغوينهم في سياق المخاصمة والتفريع بالانتقام. والله سبحانه يرد عليه بأنه منه مزعمة باطلة وإنما هو عن قضاء من الله وسلطان بتسليطه ، وإنما ملكه إغواء من اتبعه وكان غاوياً في نفسه وبسوء اختياره ، فلم يأت إبليس بشئ من نفسه ، ولم يفسد أمراً على ربه ، لا في إغوائه أهل الغواية فإنه بقضاء من الله سبحانه أن يستقر لأهل الغواية غيهم بسببه.

وقد اعترف لعنه الله بذلك بعض الإعراف بقوله رب بما أغويتني ولا في استثنائه المخلصين فإنه أيضاً بقضاء من الله نافذ فلا حكم الا لله. وهذا الذي تفيدته الآية الكريمة أعني تسليط إبليس على إغواء الغاوين الذين هم في أنفسهم غاوون وتخليص المخلصين وهم مخلصون في أنفسهم من كيده ، كل ذلك بقضاء من الله مبني على أصل عظيم يفيد التوحيد القرآني المفاد بأمثال قوله تعالى: إن الحكم إلا لله ، (يوسف: ٦٧) وقوله: وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ، (القصص: ٧٠) وقوله: الحق من ربك (آل عمران: ٦٠) وقوله: ويحق الله الحق بكلماته ، (يونس: ٨٢) ، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن كل حكم إيجابي أو سلبي فهو مملوك لله نافذ بقضائه.

ومن هنا يظهر ما في تفسيرهم قوله: إلا من اتبعك من الغاوين ، من المسامحة فإنهم قالوا إنه إذا قبل من إبليس واتبعه صار له سلطان عليه بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من الغي ، وظاهره أنه سلطان قهري يحصل لإبليس عن سوء اختيارهم ليس من عند نفسه ، ولا بجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحوّل الذاتي من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء ، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه ، فالأشياء والأمور أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات ،

إلا بإذن من الله وتمليك فافهمه.

والثالثة ، إن سلطانه على إغواء من يغويه وإن كان بجعل وتسليط من الله سبحانه ، إلا أنه ليس بتسليط على الإغواء والإضلال الابتدائي غير الجائز إسناده إلى ساحته سبحانه ، بل تسليط على الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوايتهم من عندهم وفي أنفسهم. والدليل على ذلك قوله تعالى: إلا من اتبعك من الغاوين فإبليس إنما يغوي من اتبعه بغوايته ، أي أن الإنسان يتبعه بغوايته أولاً فيغويه هو ثانياً ، فهناك غواية بعدها إغواء والغواية إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبليس مجازاة من الله سبحانه. ولو كان هذا الإغواء إغواء ابتدائياً من إبليس لمن لا يستحق ذلك لكان هو الأليق باللوم دون الإنسان ، كما يذكره يوم القيامة على ما يحكيه سبحانه بقوله: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم. إبراهيم: ٢٢ ، فاللوم على الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصيته دون إبليس. نعم إبليس ملوم على ما يتلبس به من الفعل بسوء اختياره وهو الإغواء الذي سلطه الله عليه ، مجازاة لما امتنع من السجود لآدم لما أمر به. فالإغواء هو الذي استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه في موضع آخر من كلامه إذ يقول: إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ، الأعراف: ٢٧ ، وقال تعالى وهو أوضح ما يؤيد جميع ما قدمناه: كتب عليه انه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير. (الحج: ٤). انتهى .



وجوابه: أن كلمة عبادي في الآية وأمثالها كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. (الفجر: ٢٧-٣٠) تعني عباد الله الخاصين ، وإضافة العباد إليه تعالى إضافة تشريف من قبيل (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (الحجر: ٢٩) فهي روح مخلوقة نسبها الله سبحانه إلى نفسه.

كما نسب البيت الحرام والمسجد اليه.

وقد أجمع المفسرون واللغويون وأحاديث النبي وآله ﷺ على ذلك ، لكن الأمر اشتبه على صاحب الميزان ﷺ فعمم كلمة عبادي ! لأنه تصور أن تخصيصها يعطي لإبليس سلطاناً على الباقين ، وهذا ينافي توحيد الله تعالى بالفاعلية ، وينافي قانون حرية الإنسان ومسؤوليته عن عمله.

والصحيح أنه لا يلزم شئ من ذلك. أما السلطان الذي أعطي لإبليس ونصَّ عليه الله تعالى بقوله: **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**. (النحل: ١٠٠) وقوله: **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**. (الحجر: ٤٢). فلم يقل أحد إنه سلطان ابتدائي بلا أرضية من نياتهم وعملهم تجعلهم مستحقين لتسلطه عليهم ، فيزدادون غواية إلى غوايتهم ، ومعنى نفي سلطانه عن عباد الله الخاصين أنهم بلطف ربهم لا توجد فيهم أرضية استعمار للشيطان.

فقوله ﷺ: (وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحوّل الذاتي من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء ، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه ، فالأشياء والأمر أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات ، إلا بإذن من الله وتمليك) انتهى.

هذا القول ، يصلح رداً على الثنوية القائلين بشراكة إبليس مع الله تعالى ، أو على الماديين القائلين بألوهية الأسباب والأشياء أو شراكتها مع الله تعالى ! أما الأحاديث وعامة المفسرين الذين فسروا الآية بوجود سلطان ما للشيطان على قسم من الناس ، وعدم وجوده على عباد الله الخاصين ، فإنما قصدوا سلطانه الذي نص عليه الله تعالى ، وهو سلطان مترتب على غواية الإنسان نفسه وليس في عرضها ، وسلطان تحت سيطرة الله تعالى وليس في عرضها .



والإشكال الرابع: أن تفسير الآية بعصمة المخلصين ، ونفي سلطان الشيطان وكل أنواع تأثيره عليهم ، يستوجب نفي نزغه ووسوسته ومسّه لهم ، مع أن القرآن نص على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه فقال: فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى. (طه: ٢٠).

وقال: فَازْلَمْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. (البقرة: ٣٦).

ووصف آدم وحواء بأنهما تأثرا بوسوسة الشيطان: فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١).

ونص على مس الشيطان لآيوب عليه السلام فقال: وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. (صاد: ٤١-٤٢).

ووصف يوسف بأنه أنساه الشيطان فقال: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. (يوسف: ٤٢).

ووصف إنسائه لموسى عليه السلام فقال: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. (الكهف: ٦٣).

ووصف قتل موسى عليه السلام لعدوه بأنه من عمل الشيطان ، فقال: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (القصص: ١٥-١٦).

وأخبر أن النبي ﷺ قد يصيبه نزغ من الشيطان ، وطائف منه فقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (فصلت: ٣٦).

وقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا

إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (الأعراف: ٢٠١).
وقال له: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. (الأنعام: ٦٨).

وجوابه: مع ما سنذكره من تفسير الآيات ، أنا لو سلمنا أن الشيطان يمكنه أن يوسوس أو ينزغ أو يمس المعصوم عليه السلام ، فلا يدل ذلك على تأثيره عليه وتسببه وقوعه في المعصية ، فلا يقدر في عصمته .

فالنزغ هو محاولة تخريب الأمر ، قال الراغب ص ٤٨٨: (النزغ دخول في أمر لإفساده ، قال: مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي). انتهى. فالسماح له بالنزغ لا يعني تأثيره على المعصوم عليه السلام إلى حد إيقاعه في المعصية .

ومسُّ الشيطان يعني أذاه أو محاولته الأذى ، ولا يدل أيضاً على تسببه وقوع المعصوم في المعصية ، قال الراغب ص ٤٦٧: (المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء ، وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. واللمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وكُنِيَ به عن النكاح فقليل: مسها وماسها.... وكُنِيَ باللمس عن الجنون قال: كالذي يتخطبه الشيطان من المس. واللمس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله: وقالوا لن تمسنا النار. مستهم البأساء والضراء. ذوقوا مس سقر. مسني الضر. مسني الشيطان. مستهم إذا لهم مكر في آياتنا. وإذا مسكم الضر). انتهى.

وكذلك الوسوسة ، فهي تعني أن الشيطان يحدث في ذهن الإنسان خطورات رديئة ، ولو سلمنا إمكان ذلك في ذهن المعصوم فلا نسلم أن المعصوم عليه السلام يخضع لها بل يطردها. قال الراغب ص ٥٢٢: (الوسوسة: الخطرة الرديئة ، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي ، قال: فوسوس إليه الشيطان.

وقال: من شر الوسواس. ويقال لهمس الصائد: وسواس). انتهى .

على أن التفسير الذي افترضه الإشكال للآيات غير دقيق ، وقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام ومعصيتهما وأنها كانت في الجنة وليست في الأرض ، قال عليه السلام: (فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة ، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض ، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم مقادير أمر الله ، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران: ٣٣) انتهى .

وفي مسند الإمام الرضا عليه السلام: ١٢٥/٢: (وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم ، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً ، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة ، قال الله عز وجل: وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه ، فتاب عليه فهدى). انتهى .

أقول: إن صح الحديث بأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر قبل البعثة فهو يصح في بعضهم كآدم عليه السلام ، ولا يصح في كبارهم كنبينا وأوصيائه عليهم السلام ، لأنه ثبت أن عصمتهم أعلى درجة من عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام.

وأما قول أيوب عليه السلام: وأذكرُ عبدنا أيوب إذ نادى ربهُ إني مسني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ، فلا يدل على تأثيره عليه في معصية ، بل هو كقوله تعالى: وأيوب إذ نادى ربهُ إني مسني الضرُّ وأنت أرحمُ الراحمين. (الأنبياء: ٨٣).

قال في مجمع البيان: ٣٦٤/٨: (أي بتعب ومكروه ومشقة. وقيل: بوسوسة فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربك ، عن مقاتل. وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال ، وكيف زال ذلك كله ، وحصل فيما هو فيه

من البلية ، طمعاً أن يزله بذلك، ويجد طريقاً إلى تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله). انتهى.

وأما قوله تعالى: أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ، فمعناه أن يوسف عليه السلام قال للناجي من السجن: أذكرني عند سيدك ، أي عزيز مصر ، فنسي الناجي أن يذكره عنده ، فلا علاقة له بإنساء الشيطان ليوسف عليه السلام .

وأما قوله تعالى: وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، فالذي أنساه الشيطان أن يذكر قصة الحوت لموسى عليه السلام ، هو فتاه المرافق له ، وليس موسى عليه السلام .

وقال في الميزان: ٣١/١٣: (ولا ضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبي والأنبياء في عصمة إلهية من الشيطان ، لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية ، وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ). انتهى .

وأما قوله تعالى عن موسى عليه السلام: قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فقد تقدم جواب الإمام الرضاء عليه السلام للمأمون: (إن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ، وذلك بين المغرب والعشاء ، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، ففضى موسى على العدو ، وبحكم الله تعالى ذكره فوكزه ، فمات! قال هذا من عمل الشيطان ، يعني الإقتال الذي كان وقع بين الرجلين ، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. أنه عدو مفضل مبین ، يعني الشيطان. فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبُّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ؟ قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ، فَاغْفِرْ لِي ، أي أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني ، فغفر له أنه

هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. فَأَصْبَحَ موسى عليه السلام فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ عَلَى آخِر ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ، قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم ، لأوذنيك ، وأراد أن يبطش به فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ أَنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ .

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ؟ قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، بي ! قال موسى: فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ، عن الطريق بوقوعي إلى مدينه من مدائنك ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالًّا ، يعني عند قومك ، فَهَدَى ، أي هداهم إلى معرفتك. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً). (العيون: ١٧٧/٢ والإحتجاج: ٢١٨/٢).

وأما مجرد خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في الآيتين: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، وقوله له: وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، فهو من باب مخاطبة المسلمين من خلال النبي صلى الله عليه وآله ، ولا يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله في معرض النزغ والإنساء من الشيطان .



فتبين بذلك ، أن كل ما يتصور أنه تسليط للشيطان على المعصومين صلوات الله عليهم ، لا يصح ، وإن صحَّ فهو محدودٌ لا يؤدي إلى وقوعهم في المعصية ،

فتبقى آية: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥) ، على ظهورها في تحقق عصمتهم ، ومنع تأثيره عليهم ﷺ .



الحكمة من نزول آيات متشابهة في عصمة الأنبياء ﷺ

سؤال يرد في الذهن: لماذا جعل الله تعالى بعض الآيات المتعلقة بعصمة أنبيائه ﷺ من المتشابهات التي توهم وقوعهم في المعاصي ؟
والجواب: نعم ، لقد تضمنت الآيات المتعلقة بسلوك الأنبياء ﷺ آيات محكمة كقوله تعالى عن نبينا ﷺ: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، والذي يعصم الله منطقه فلا يفتح فمه عن كلمة إلا بوحي وعصمة إلهية ، لا يمكن أن يصدر منه فعلٌ ولا حركةٌ ولا سكونٌ إلا بعصمة إلهية !

وفي نفس الوقت توجد آيات تُوهم وقوعه في الذنب والمعصية كقوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. (الفتح: ٢). والحكمة المتصورة من ذلك:

أولاً، لعله سبحانه أراد أن يؤكد بشريتهم حتى لا يعبدوا من دونه ، وأن يبين أن عصمتهم الكاملة محاطة بغلاف وحجاب. ويؤيد ذلك ما رواه الطوسي في كتاب الغيبة ص ٣٢٤ ، قال ﷺ (وأخبرني جماعة ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ﷺ قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه مع جماعة منهم علي بن عيسى القصري ، فقام إليه رجل فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء ؟ فقال له: سل عما بدا لك ، فقال الرجل: أخبرني عن الحسين ﷺ أهو وليُّ الله ؟ قال: نعم ، قال:

أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله ؟ قال: نعم ، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلط الله عز وجل عدوه على وليه ؟

فقال له أبو القاسم قدس سره: إفهم عني ما أقول لك ، أعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ، ولا يشافهمهم بالكلام ، ولكنه جلت عظمتة يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشرا مثلهم ، ولو بعث إليه رسلاً من غير صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم ، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون ويمشون في الأسواق قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتوا بشئ نعجز عن أن نأتي بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه ، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها .

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإغدار والإنذار ، ففرق جميع من طغى وتمرد . ومنهم: من ألقى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً .

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلد الناقاة وأجرى من ضرعها لبناً .

ومنهم: من فلق له البحر ، وفجر له من الحجر العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون .

ومنهم: من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله ، وأنبيأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

ومنهم: من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك .

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله ، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته ، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبيين وأخرى مغلوبين ، وفي حال قاهرين وأخرى مقهورين ، ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبيين وقاهرين ، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم ، لاتخذهم

الناس آلهة من دون الله عز وجل ! ولما عُرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختبار ! ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين ، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين ، وليعلم العباد أن لهم ﷺ إلهاً هو خالقهم ومدبرهم ، فيعبدوه ويطيعوا رسله ، ويكونوا حجة لله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية ، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ! قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس سره من الغد ، وأنا أقول في نفسي: أترأه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه ؟! فابتدأني فقال: يا محمد بن إبراهيم لئن أخرج من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق ، أحب إلي من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي ! بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه). (ورواه في الاحتجاج: ٢/٢٨٤).

ثانياً ، ابتلاء المسلمين لكي يتوفق بعضهم فينفذ من حجاب المتشابه ويصل إلى نور المحكم ، ويبقى المتخلف يعيش في خطأ تصوره عن مقام النبي ﷺ.

معجزة الجغرافية القرآنية

لماذا تكلم القرآن في هذا الموضوع ، ولم يتكلم في ذاك ؟

ولماذا تكلم في هذا مرتين ، وفي ذاك مرة واحدة ؟

وأطال في هذا ، واختصر في ذاك ؟

وأجمل في هذا ، وبين في ذاك ؟

وذكر هؤلاء بأسمائهم ، ولم يذكر أولئك ؟

واستعمل التصريح هنا ، والكناية هنا ؟

وقال هنا كذا ، وهناك كذا ؟

وهذا الأسلوب ، وذاك الأسلوب ، وهذا التعبير وذاك ، وهذه الكلمة وتلك ؟
ولماذا أقيم بناؤه على المحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والمجمل والمبين
والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ؟

الجواب على ذلك: أن القرآن بناءً ربانيٌّ يحير عنده الذهن ، ويخشع له العقل !
وكما يتميز عن كل ما قرأت وسمعت ببلاغته ، فكذلك بمقاصده وأهدافه !

لقد أتقن الله تعالى بناء القرآن بدقة متناهية وإعجاز كبناء السماء! (فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ). (سورة الواقعة: ٧٥-٧٧)

والتناسب القرآني بين عناصر القسم يدل على التشابه في دقة بناء السماء ومواقع
نجومها ، ودقة سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه !

وإلى اليوم لم يكتشف العلماء من بناء الكون إلا القليل ، وكلما اكتشفوا جديداً
خضعت أعناقهم لبانيه عز وجل ! ولم يكتشفوا من بناء القرآن إلا القليل ، وكلما
اكتشفوا منه جديداً خضعت أعناقهم لمعماره عز وجل !!

والحديث التالي يكشف لنا عجائب في البناء القرآني، ففي دعائم الإسلام: ١٤٦/٢:
(عن علي عليه السلام قال: اعتلَّ الحسين فاشتد وجعه ، فاحتملته فاطمة فأنت به النبي
صلى الله عليه وآله مستغيثة مستجيرة فقالت: يا رسول الله أدع الله لابنك أن يشفيه ، ووضعته بين
يديه ، فقام صلى الله عليه وآله حتى جلس عند رأسه ، ثم قال: يا فاطمة يا بنية ، إن الله هو الذي
وهبه لك ، هو قادر على أن يشفيه. فهبط على جبرئيل فقال: يا محمد ، إن الله لم
ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء وكل فاء من آفة ، ما خلا (الحمد لله)
فإنه ليس فيها فاء ، فادع بقدر من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة ثم صبه عليه

فإن الله يشفيه ، ففعل ذلك فكأنما أنشط من عقال!) (وجامع أحاديث الشيعة: ٨٣/١٥).

يعني ذلك: أن ما يبدو لنا من القرآن عادياً بسبب سذاجتنا ، كله تابعٌ لحساب بل حسابات ، إلهية لا بشرية ، وأن هذه الحروف الثمانية والعشرين في القرآن عوالم من الرياضيات والعلوم والحقائق ، وليست حروف كتاب بشري !

فوجود الحرف له دلالة بل دلالات ، وعدم وجوده ، وعدده ، وتوزيعه في الآية ، وفي السورة ، وفي كل القرآن !

الله أكبر.. فحيثما كانت الفاء في سورة أو موضوع ، فهي تدل على وجود آفة !

وحيثما وجدت الباء ، والسين ، وكل الحروف ، تدل على حقائق أخرى !

ثم ما معنى الآفة ؟ وما معنى خلو سورة الحمد منها ؟ وما معنى قراءة كلام الله الذي ليس فيه آفة على قرح ماء ؟ وماذا يؤثر تكرار القراءة ؟ وهل يتغير تركيب الماء بذلك ؟ ثم هل تؤثر فيزيائوه المطورة في بدن المريض وتذهب منه الآفة ؟ !

من المؤكد أنه يوجد ارتباط بين النظام الفيزيائي والروحي للكون ، وبين نظام القرآن ، وأن للقرآن إمكانات تأثير متنوعة على عالمي الروح والمادة ، هي لون أو ألوان من فاعليات الله تعالى في الكون ، لأن القرآن كلامه سبحانه !

ومن المؤكد أن النبي ﷺ أعطي من معرفة ذلك أقصى ما يمكن أن يعطاه إنسان ويحتمله ، لأنه ﷺ أفضل بني الإنسان ، بل أفضل المخلوقات والمصطفى منها جميعاً ، ولقد أجاد الشاعر الأزري بقوله:

قَلْبَ الْعَالَمِينَ ظَهراً لِبَطْنِ فَرَأَى ذَاتَ أَحْمَدَ فَاصْطَفَاهَا

ولكن النبي ﷺ لم يكن يستعمل ذلك إلا بأمر الله تعالى أو إجازته ، وهذه قضية مهمة في شخصيته وسلوكه ﷺ ، حيث أعطي وسائل العمل الإعجازي ، ومع ذلك كان يعمل في كل أموره بالأسباب والقوانين الطبيعية العادية ، ولا

يستعمل الإعجاز إلا عندما يؤمر ، أو عند (الضرورة).

إن الفرق بينه وبين موسى والخضر أن الخضر أعطي العلم اللدني أو علم الباطن فهو يعمل بموجبه ، وموسى أعطي الشريعة أو علم الظاهر فهو يعمل بموجبه. أما نبينا ﷺ فقد أعطي العلمين معاً ، ولكنه يعمل بالظاهر إلا عندما يؤمر أو عند الضرورة ! وهذه هي سنة الله تعالى ، فهو لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضاه ، ولا يرتضيه حتى يستوعب مسألة العمل بالقوانين الطبيعية والغيبية ويسلم لإرادة الله فيها ! ثم يسلك من بين يديه ومن خلفه رسداً !

والقرآن أكبر ، أو من أكبر ، تلك الوسائل التي أعطاها الله تعالى لنبيه ﷺ ، وقد كان له ترتيب نزل به منجماً في بضع وعشرين سنة ، وكان يؤدي فيه إدارة أحداث النبوة وصناعة الأمة وتوجيه النبي والأمة ، وتسجيل كل ذلك للأجيال. ثم صار له ترتيب ككتاب تقرأه الأجيال ، كتاب له مقدمة وفصول وفقرات. أحدث من كل ما أنتجه وينتجه المؤلفون في منهجة التأليف والأسلوب !

فما المانع أن يكون للقرآن ترتيب ثالث ، ورابع ، وخامس ، أملاه النبي ﷺ على علي عليه السلام وأدخره عنده مع وصيته المحفوظة وعهده المعهود إلى ولده المهدي الذي بشر به الأمة والعالم ؟ والذي يظهر الله على يديه صدق دين جده على الدين كله ، فتخضع لبراهينه العقول والأعناق !

أرواحنا فداه وعجل الله ظهوره.

وإذا كان نظام حروف القرآن كذلك ، فما قولك في جغرافيته العلمية ، وما ذكره الله فيه وما لم يذكره ، ومحكمه ومتشابهه ، ومجمله ومبينه...؟!

الفصل الثاني عشر

العصمة وقاعدة اللطف

معنى العصمة في القرآن واللغة والحديث

وردت العصمة في القرآن بمعنى المنع من عذاب الله في الدنيا: (قَالَ سَأَوْى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) (هود:٤٣). والمنع من عذابه في الآخرة: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً. (الأحزاب:١٧). وَتَرَهُمْ ذُلًّا مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ (يونس:٢٧). والأعم منهما: يَوْمَ تُولُودُنَّ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ. (غافر:٣٣). وفي الإمتناع عن الحرام: وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ. (يوسف:٣٢). أما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. (المائدة:٦٧) ، فقد بينا في كتاب (آيات الغدير) أن العصمة فيها ليست بمعنى عصمة الأنبياء المصطلحة ، فهي عصمة من الناس وليست عصمة عن المعاصي ، وقد نزلت في آخر سورة قبل وفاة النبي ﷺ بنحو ثمانين يوماً ، و كان ﷺ قبلها معصوماً عن المعاصي . فلا بد أن يكون المقصود فيها عصمته ﷺ من أن يطعن الناس بنبوته أو يرتدوا عن الإسلام ، إن بلغ ما أنزل اليه في علي عليه السلام .

وقال الراغب في مفرداته: (العَصْمُ: الإمساك ، والإعتصام: الإستمسك...والعصام ما يعصم به أي يشد. وعصمة الأنبياء عليهم السلام حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من

صفاء الجوهر ، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم ، ثم بإنزال السكينة عليهم ، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق ، قال تعالى: **وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ** .

قال الخليل في كتاب العين: العصمة أن يعصمك الله من الشر ، أي يدفع عنك. واعتصمت بالله أي امتنعت به من الشر ، واستعصمت أي أبيت ، وأعصمت أي لجأت إلى شئ اعتصمت به... وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به. والغريق يعتصم بما تناله يده ، أي: يلجأ إليه... والعصمة: المنع. يقال عصمه الطعام ، أي منعه من الجوع. والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله ، إذا امتنعت بلطفه من المعصية). انتهى

وفي الفروق اللغوية ص ٤٦٤: الفرق بين اللطف والتوفيق: أن اللطف هو فعل تسهل به الطاعة على العبد ، ولا يكون لطفاً إلا مع قصد فاعله وقوع ما هو لطف فيه من الخير خاصة ، فأما إذا كان ما يفعل عنده قبيحاً وكان الفاعل له قد أراد ذلك ، فهو انتقاد وليس بلطف.

والتوفيق فعل ما تتفق معه الطاعة ، وإذا لم تتفق معه الطاعة لم يسم توفيقاً ولهذا قالوا إنه لا يحسن الفعل...

واللطف قد يتقدم الفعل بأوقات يسيرة يكون له معها تأثير في نفس الملتطف له ، ولا يجوز أن يتقدمه بأوقات كثيرة حتى لا يكون له معها في نفسه تأثير ، فكل توفيق لطف وليس كل لطف توفيقاً....

والعصمة هي اللطيفة التي يمتنع بها عن المعصية إختياراً، والصفة بمعصوم إذا أطلقت فهي صفة مدح وكذلك الموفق ، فإذا أجري على التقييد فلا مدح فيه ، ولا يجوز أن يوصف غير الله بأنه يعصم.

ويقال عصمه من كذا ووقفه لكذا ولطف له في كذا ، فكل واحد من هذه الأفعال يعدّ بحرف ، وهاهنا يوجب أيضاً أن يكون بينهما فروق من غير هذا الوجه الذي ذكرناه ، وشرح هذا يطول فتركته كراهة الإكثار. وأصولهما في اللغة واشتقاقتهما أيضاً توجب فروقا من وجوه أخر فاعلم ذلك).

وفي مجمع البحرين: ٢٤١/١: (روي أن إبليس لعنه الله تمثل ليحيى عليه السلام فقال له: أنصحك. قال: لا أريد ذلك ولكن أخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: صنف منهم وهم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحد منهم نفتنه عن دينه ونتمكن منه ثم يفرغ إلى الاستغفار والتوبة فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك حاجتنا فنحن معه في عناء. وأما الصنف الآخر منهم فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم تتلقفهم كيف شئنا ، قد كفونا مؤنة أنفسهم ! وأما الصنف الثالث فهم معصومون لا نقدر منهم على شيء).

وفي مجمع البحرين: ٣٩٣/٣: (وفي الحديث: ما اعتصم عبداً من عبادي بأحد من خلقي إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته. قال بعض الشارحين: هاتان الفقرتان كناية عن الخيبة والخسران. وفيه: أعوذ بك من الذنوب التي تهتك العصم ، وهي كما روي عن الصادق عليه السلام: شرب الخمر، واللعب بالقمار ، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو ، وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب.

والمعصوم: الممتنع من جميع محارم الله ، كما جاءت به الرواية. وعن علي بن الحسين عليه السلام الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ، قيل: فما معنى المعصوم ؟ قال: المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن ، لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قوله تعالى . (أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم). وفي الدعاء إن

عصمة أمري كذا ، أي وقايتي وحافظي من الشقاء المخلد. واعتصمت بالله: امتنعت به. وفي حديث رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم وعد ، منها: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله " أي ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان ويعني بهما الإيمان ، عصمة ووقاية له من المعاصي تحجزه وتمنعه من اقتراف سخط الله وسخط رسوله. ومنه قول أبي طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل ، أي حفظ لهم ووقاية يمنعهم من الضياع والحاجة).

وفي نهج البلاغة: ٤٩/٢: (وعليكم بكتاب الله ، فإنه الجبل المتين والنور المبين ، والشفاء النافع ، والري النافع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق ، لا يعوج فيقام ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تخلقه كثرة الرد ، وولوج السمع) .

وفي نهج البلاغة: ٢٣/٢: (وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالعائب الذي عاب أخاً وغيره ببلواه...) .

وفي الصحيفة السجادية ص ٩٠: (اللهم صل على محمد وآله ، وقني من المعاصي ، واستعملني بالطاعة ، وارزقني حسن الانابة ، وطهرني بالتوبة ، وأيدني بالعصمة ، واستصلحني بالعافية ، وأذقني حلاوة المغفرة) . انتهى .

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام في تعريف المعصوم: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (معاني الأخبار: ص ١٣٢) .

وفي الصراط المستقيم: ١١٦/١: قالوا: معصوم إسم مفعول ، فيكون مجبوراً على ترك العصيان في كل آن ولا فخر في ذلك على إنسان. قلنا: العصمة الملجئة من

الله إنما هي من الغلط والنسيان وأما العصمة التي لا يقع منها عصيان فهي لطف يفعلها الله ، لا يوجب الإجمار ، بل يجمع الاختيار ، والإنسان يعلم أنه يترك ذنباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك .



من تعريفات المتكلمين للعصمة

قال المفيد رحمته الله في النكت الإعتقادية ص ٤٥: (فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟
الجواب: العصمة لطف يفعلها الله بالمكلف ، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة ، مع قدرته عليهما).

وقال في تصحيح الإعتقاد ص ١٢٨: (العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللطف ، واعتصام من الحجج بها عن الذنوب ، والغلط في دين الله تعالى).
وقال في أوائل المقالات ص ١٦٤: (العصمة في موضوع اللغة هي: المنع ، وقد خُصت في اصطلاح المتكلمين بمن يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه .

وعرفه صاحب كتاب (الياقوت) من قدماء الإمامية بأنه: لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر ، أي إنه لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة ، مع قدرته عليهما). انتهى .

وقال الشريف المرتضى رحمته الله في رسائله: ٣/٣٢٦: (إعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعلها تعالى ، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا إن الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ، ويقال إن العبد معتصم ، لأنه أختار عند هذا الداعي الذي فعل الإمتناع عن القبيح). انتهى .

قاعدة اللطف الإلهي التي استدل بها علمائنا على العصمة

قاعدة اللطف عقلية وشرعية

معنى قاعدة اللطف: أن العقل يحكم بأن الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى ، فلا بد أن يلطف بهم فيبعث فيهم أنبياء ويجعل لهم أوصياء ، ويكون له على الأرض حجة في كل عصر ، وأن يكون هذا الحجة هادياً مهدياً معصوماً. وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً ، في آيات وروايات عديدة ، منها قوله تعالى: **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**. (القيامة: ٣٦). وقوله تعالى: **أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**. (المؤمنون: ١١٥).

وفي الكافي: ١٦٩/١: (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمزان بن أعين ، ومحمد بن النعمان ، وهشام ابن سالم ، والطيار ، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته ؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك ، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء مترز بها من صوف ، وشملة مرتد بها والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفروا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة ؟ فقال

لي: نعم ، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بني أيُّ شئ هذا من السؤال؟ وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي فقال يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء ! قلت: أجبني فيه قال لي سل: قلت ألك عين ؟ قال: نعم ، قلت: فما تصنع بها ؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص ، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به ؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم ؟ قال: نعم ، قلت: فما تصنع به ؟ قال: أذوق به الطعام ، قلت: فلك إذن؟ قال: نعم ، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت ، قلت: ألك قلب ؟ قال: نعم ، قلت: فما تصنع به ؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال: لا ، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شئ شتمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ، ردت به إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك .

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم ، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح ؟ قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً ! ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت: لا ، قال: أمن جلسائه ؟ قلت: لا ، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو ، ثم ضمني إليه ، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت .

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا ؟ قلت: شئ أخذته

منك وألفته ، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى). انتهى .

ومعنى كون اللطف قاعدة عقلية: أن العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنه يستحيل على العليم الحكيم القدير عز وجل ، أن يترك مخلوقاته بدون هداية بل إن من أفعال الله الثابتة ، بمقتضى صفاته ، أنه يلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء لهدايتهم ، وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وتعبيرهم وإن كان ثقیلاً وكأنه يفرض شيئاً على الله تعالى ، لكنه يعني أن ذلك مما يدركه العقل من قوانين فعله تعالى .

ومعنى كونها قاعدة شرعية: أن القرآن والسنة يدلان على أن الله لطيف بعباده ، فلا يتركهم بدون أنبياء وهداية ، كما نهت إلى ذلك آيات القرآن ، وأحاديث النبي وأهل بيته عليه السلام ، وبينت حدودها وتفصيلها التي لا يدركها العقل وحده .

وينبغي الإلفات إلى أن الشرع قد ينبه العقل البشري إلى بعض الأمور المركوزة فيه فيصل إليها ، فتكون من المدركات العقلية ولا يضر بذلك أن الشرع ألفتها إليها وأثار فيه كامنها. وقد قلنا في العقائد الإسلامية: ٢٦/١: (سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذكر ، ووصف عمل النبي عليه السلام بأنه تذكير ، واستعمل مادة التذكير في القرآن للتذكير بالله تعالى ، والتذكير باليوم الآخر ، والتذكير بالفطرة والميثاق .

ووصف أمير المؤمنين عليه السلام عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبة الناس بالإنسجام مع ميثاق الفطرة ، فقال عليه السلام في خطبة طويلة في نهج البلاغة: ٢٣/١، يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته: (فأهبته إلى دار البلية ، وتنازل الذرية. اصطفى سبحانه من ولده أنبياء ، أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجعلوا حقه واتخذوا الأنداد معه ، واجتالهم الشياطين عن معرفته ، واقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ،

ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع... انتهى .
وعلى هذا يمكن أن نعتبر قاعدة اللطف عقلية ، لأن العقل البشري يدرك بقطع النظر عن الدين ، أن هذا الخالق العظيم سبحانه لا يمكن أن يترك خلقه سدى ، بل يجب بمقتضى حكمته أن يعرفهم ما يريد منهم لتحقيق هدفه السامي فيهم .
وقد ذكر أبو الفتح الكراجكي رحمته الله في كنز الفوائد ص ١٩٥ أن لأفلاطون كتاباً إسمه (كتاب اللطف) ونقل عنه قوله: (نقل الطبع عسير الانتزاع) ، وقد يكون موضوع الكتاب اللطف الإنساني ، ولكنه على أي حال من جوِّ اللطف الإلهي .

اللطف الإلهي في القرآن

ورد هذا الإسم المقدس في القرآن في سبعة مواضع ، تشمل لطف ذاته المقدسة ، وأنواع ألطافه بمخلوقاته:

١- لطف الذات الإلهية

قال الله تعالى: لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الأنعام: ١٠٣).
وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى لطيف لكن لا يوصف باللطف ، ومعناه أن ذاته تعالى من غير نوع المادة والمخلوقات ، لكن لا يوصف باللطف حتى لاستصور أن ذاته المقدسة مادة شفافة !

ففي التوحيد للصدوق/ ٣٠٥ ، من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: (ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت ، مكيتها ومدنيها ، سفريها وحضرها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأخبركم !

فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب ، شجاع

القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاةً صعبة ، لأخجلنه اليوم لكم في مسألتني إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟
قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباه لم أره ، قال: فكيف رأيت صفه لنا ؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ، ولا بالحركة ، ولا بالسكون ، ولا بالقيام قيام انتصاب ، ولا بجيئه ولا بذهاب ، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالركة ، مؤمن لا بعبادة ، مدرك لا بمجسة ، قائل لا باللفظ ، هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ، فوق كل شئ فلا يقال شئ فوقه ، وإمام كل شئ فلا يقال له إمام ، داخل في الأشياء لا كشئ في شئ داخل ، وخارج منها لا كشئ من شئ خارج ! فخرٌ ذعلب مغشياً عليه ، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثلها). انتهى .

٢- لطفه في إدارة الطبيعة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (الحج: ٦٣)

٣- لطفه في التخطيط لأنبيائه ﷺ وعباده المؤمنين

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. (يوسف: ١٠٠)

٤- لطفه في إدارة أرزاق عباده

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. (الشورى: ١٩).

٥- لطفه في مراقبة عمل نساء النبي ﷺ والناس

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا. (الأحزاب: ٣٤).

٦- لطفه في الإطلاع على خفايا خلقه

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الملك: ١٣-١٤).

٧- لطفه في الحساب يوم القيامة

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (لقمان: ١٦).

وفي التوحيد للصدوق ص ٢١٧: (اللطف معناه أنه لطيف بعباده ، فهو لطيف بهم بار بهم ، منعم عليهم. واللطف البر والتكرمة يقال: فلأن لطيف بالناس بار بهم يبرهم ويلطفهم إطفافاً. ومعنى ثان: أنه لطيف في تدبيره وفعله يقال: فلأن لطيف العمل ، وقد روي في الخبر أن معنى اللطيف هو أنه الخالق للخلق اللطيف كما أنه سمي العظيم لأنه الخالق للخلق العظيم). انتهى .

وفي كل واحدة من هذه الآيات بحث مفصل لا يتسع له المجال .

اللطف في أحاديث النبي وآله ﷺ

في الكافي: ١/١٥٩: أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام (أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا ، قلت: ففوض إليهم الأمر؟ قال: لا ، قال: قلت فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١١٣: (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني رضي

الله عنه عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. (البقرة: ١٧) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللفظ ، وخلق بينهم وبين اختيارهم). انتهى .

وفي المقتنة ٣٣٩ ، من دعاء كل يوم من شهر رمضان: (وكذلك نسبت نفسك يا سيدي باللفظ ، بلى إنك لطيف فصل على محمد وآله ، والطف لما تشاء). انتهى .

وفي الكافي: ١٢٠/١ ، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (إعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم ، والقدم صفته التي دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته ، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شيء قبل الله ، ولا شيء مع الله في بقائه ، وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء ، وذلك أنه لو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له ، لأنه لم يزل معه ، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه ! ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا ، وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول .

ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدتهم وابتلاهم إلى أن يدعوه بها فسمى نفسه سمياً ، بصيراً ، قادراً ، قائماً ، ناطقاً ، ظاهراً ، باطناً ، لطيفاً ، خبيراً ، قوياً ، عزيزاً ، حكيماً ، عليمًا ، وما أشبه هذه الأسماء. فلما رأى ذلك من أسمائه القالون المكذبون ، وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله ، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له ، كيف شاركتهم في أسمائه الحسنى فتسميتهم بجميعها ! فإن في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض ، إذ جمعت الأسماء الطيبة !

قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين. والدليل على ذلك قول الناس

الجائز عندهم الشائع ، وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون ، ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيعوا ، فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمة وأسد ! كل ذلك على خلافه وحالاته. لم تقع الأسامي على معانيها التي كانت بنيت عليها ، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب ، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما سمي الله تعالى بالعلم ، بغير علم حادث علم به الأشياء استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره ، والروية فيما يخلق من خلقه ، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه ، مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهلاً ضعيفاً ، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة ، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل. وإنما سمي الله عالمًا لأنه لا يجهل شيئاً ، فقد جمع الخالق والخلق إسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمي ربنا سميعاً لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به ، (الخرت: ثقب الإبرة والأذن والعين ونحوها وجمعه خروت (العين: ٢٣٦/١) كما أن خرتنا الذي به نسمع لا نقوى سبه على البصر ، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شيء من الأصوات ، ليس على حد ما سمينا نحن ، فقد جمعنا الإسم بالسمع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر ، كما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به في غيره ولكن الله بصير لا يحتمل شخصا منظورا إليه ، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى. وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان ، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت ، والقائم أيضاً في كلام الناس: الباقي والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بني فلان ، أي أكفهم ، والقائم منا قائم على ساق ، فقد جمعنا الإسم ولم نجمع المعنى.

وأما اللطيف فليس على قلة وضالة وصغر ، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك ، كقولك للرجل: لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه

وقوله: يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف. واللطافة منا الصغر والقلة ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى). انتهى .



من كلمات علمائنا في قاعدة اللطف

قال المفيد رحمته الله في النكت الإعتقادية ص ٣٥: (فإن قيل: ما الدليل على أن نصب الأنبياء والرسل واجب في الحكمة ؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لطف واللطف واجب في الحكمة فنصب الأنبياء والرسل واجب في الحكمة. فإن قيل: ما حد اللطف؟ فالجواب: اللطف هو ما يقرب المكلف معه من الطاعة ويبعد عن المعصية ولاحظ له في التمكين ولم يبلغ الإلجاء.

فإن قيل: ما الدليل على أن اللطف واجب في الحكمة؟ فالجواب: الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه فيكون واجباً في الحكمة وهو المطلوب.

فإن قيل: من نبي هذه الأمة ؟ فالجواب: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رحمته الله. فإن قيل: ما الدليل على نبوته ؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده وكل من ادعى النبوة وظهر المعجز على يده فهو نبي حقاً). انتهى .

وقال في ص ٣٩: فإن قيل: ما الدليل على أن الإمامة واجبة في الحكمة ؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنها لطف واللطف واجب في الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة في الحكمة.

وقال في ص ١٦١: (عرف المتكلمون اللطف بما أفاد هيئة مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية بحيث لم يكن له حظ في التمكين ولا يبلغ حد الإلجاء.....

والقول بوجوب اللطف يختص به العدلية من المعتزلة والإمامية والزيدية ويخالفهم فيه الأشعرية ، وقد نسب الخلاف فيه أيضاً إلى بشر بن المعتمر من قدماء المعتزلة وإن حكى رجوعه عن ذلك أخيراً بعد مناظرة سائر المعتزلة إياه ، لكن تعليل المعتزلة بوجوبه من جهة أنهم أوجبوه من جهة العدل وأن الله تعالى لو فعل خلافه لكان ظالماً ، والإمامية إنما أوجبوه من جهة الجود والكرم وأنه تعالى لما كان متصفاً بهاتين الصفتين اقتضى ذلك أن يجعل للمكلفين ما دام هم على ذلك الحال أصلح الأشياء لهم ، وأن لا يمنعهم صلاحاً ولا نفعاً). انتهى .

لكن يبدو أن المحقق الحلي رحمته الله يقول به من باب العدل وليس من باب الكرم ، فقد قال في المسلك في أصول الدين ص ٣٠١: (ومن الواجب في الحكمة اللطف للمكلفين ، وهو أن يفعل معهم كل ما يعلم أنه محرك لدواعيهم إلى الطاعة ، لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه ، إذ لا مشقة عليه في فعله ، وهو مفض إلى غرضه). انتهى .

وقال الشريف المرتضى رحمته الله في الشافي: ٣٩/١: (والنبوة طريق وجوبها أيضاً اللطف لم يجب عندهم أن تكون المعرفة نبوة ، ولا النبوة معرفة لاستبداد كل واحدة منهما بصفة لا يشركها فيها الأخرى ، والنبى لم يكن عندنا نبياً لاختصاصه بالصفات التي يشرك فيها الإمام بل لاختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة ، أو بواسطة هو الملك ، وهذه مزية بينة).

وقال الشيخ الطوسي رحمته الله في الإقتصاد ص ٧٧: (وأما الكلام في اللطف فيحتاج أن نبين أولاً ما اللطف وما حقيقته. واللطف في عرف المتكلمين: عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح ، وهو على ضربين: أحدهما أن يقع عنده الواجب ولولاه لم يقع فيسمى توفيقاً ، والآخر ما يكون عنده أقرب إلى فعل

الواجب أو ترك القبيح.....

واللطف على ثلاثة أقسام: أحدها من فعل الله تعالى ، والثاني من فعل من هو لطف له ، والثالث من فعل غيرهما. فما هو من فعل الله تعالى على ضربين: أحدهما يقع بعد التكليف للفعل الذي هو لطف له فيوصف بأنه واجب ، والثاني ما يقع مع التكليف للفعل الذي هو لطف فيه فلا يوصف بأنه واجب ، لأن التكليف ما أوجبه ولم يتقدم له سبب وجوب ، لكن لا بد أن يفعل به لأنه كالوجه في حسن التكليف.

وأما ما كان من فعل المكلف فهو تابع لما هو لطف فيه ، فإن كان واجباً فاللطف واجب وإن كان لطفاً في فعل نفل فهو نفل.

وإذا كان اللطف من فعل غيرهما فلا بد من أن يكون المعلوم من حاله أنه يفعل ذلك الفعل على الوجه الذي هو لطف في الوقت الذي هو لطف فيه ، ومتى لم يعلم ذلك لم يحسن التكليف الذي هذا الفعل لطف فيه.

هذا إذا لم يكن له بدل من فعل الله يقوم مقامه ، فإن كان له بدل من فعل الله تعالى جاز التكليف لذلك الفعل إذا فعل الله تعالى ما يقوم مقامه).

وقال ابن البراج الطرابلسي رحمته الله في جواهر الفقه ص ٢٤٧: (اللطف على الله واجب ، لأنه خلق الخلق ، وجعل فيهم الشهوة ، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء ، وذلك قبيح ، والله لا يفعل القبيح ، فاللطف هو نصب الأدلة ، وإكمال العقل ، وإرسال الرسل في زمانهم ، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام ، لئلا ينقطع خيط غرضه).

وقال المحقق الحلي رحمته الله في المسلك: ص ١٠١: (وهل يجب على البارئ سبحانه فعل اللطف أم لا؟ الأكثرون يقولون بوجوبه ، واحتجوا على ذلك بوجوه: أحدها: أن اللطف مفض إلى غرض المكلف ، وليس فيه وجه من وجوه القبح

ولا يؤدي إلى ما لا نهاية له ، وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة.
أما أنه مفضل إلى غرض المكلف ، فلأننا نتكلم على هذا التقدير ، وأما أنه ليس فيه وجه من وجوه القبح ، فلأن وجوه القبح مضبوطة ، وليس فيه شيء منها.
وأما أن كل ما كان كذلك كان واجباً في الحكمة ، فلأن داعي الحكمة متعلق به ، والصوارف منتفية عنها ، وكل ما تعلق به الداعي وانتفى الصارف عنه ، فإنه يجب أن يفعل.

الوجه الثاني: لو لم يفعل البارئ سبحانه وتعالى اللطف على هذا التقدير ، لكان ناقضاً لغرضه ، ونقض الغرض قبيح.

بيان أنه يكون ناقضاً لغرضه ، أن من دعا غيره إلى طعام له وعلم أنه يحضر إن أرسل رسولاً إليه لا غضاضة عليه في إرساله ، ولم يرسل رسوله ، فإنه يكون غير مرید لحضوره ، والعلم بذلك ظاهر.

الوجه الثالث: لو لم يجب فعل اللطف ، لكان البارئ مخلاً بما يجب عليه في الحكمة ، إذ لا فرق بين منع اللطف وعدم التمكين.

احتج المخالف بأنه: لو وجب اللطف لوجب أن يفعل بالكافر.
والجواب: لا نسلم أن للكافر لطفاً. وتحقيق ذلك أن اللطف هو ما يعلم المكلف أن المكلف يطيع عنده ، أو يكون أقرب إلى الطاعة ، مع تمكنه في الحالين ، والكافر قد لا يكون له لطف يحركه إلى فعل الطاعة. ويجري هذا مجرى رجل له ثلاثة أولاد ، أحدهم يطيعه بالإكرام ، والآخر بالإهانة ، والثالث لا يؤثر فيه أحد الأمرين ، فلا يكون لذلك لطف ، فالكافر الذي لا يطيع يجري مجرى الثالث). انتهى .

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه

رأينا أن أصل قاعدة اللطف الإلهي ثابتٌ بحكم العقل والكتاب والسنة ، وأن موردها بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء عليهم السلام وعصمتهم .

وقد توسع فيها بعض علمائنا فاستعملوها في حجية خبر الواحد (رسائل المرتضى: ٧٤/١). وفي حجية الإجماع (فرائد الأصول: ١٨٨/١، ومنية الطالب: ٣٣٧/٢ ومصباح الفقاهة للخوئي: ١٧٠/٢، و: ٦٤٥/٥).

وفي نفي الحرج في الأحكام: (هداية المسترشدين: ٧٣٧/٢، وعوائد: ١٩٦). وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (جواهر الكلام: ٣٥٨/٢١ ومصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ٢٩٨/١).

وفي وجوب القضاء بين الناس (جواهر الكلام: ١٠/٤٠، والقضاء للسيد الكلبيكاني: ١٤/١)، وغيرها .

وفي كل هذه الموارد رد العلماء الإستدلال بها إلا نادراً ، مثل أصل القضاء كما هو عند السيد الكلبيكاني ، وعدم خلو الواقعة من حكم كما عند الشهيد الصدر (دروس في علم الأصول: ١٤٨/١).

وقد توسع بعضهم في ردها حتى لحق الحيف بأصل قاعدة اللطف ، وتحامل بعضهم عليها وكأنها من مبتدعات الشيخ الطوسي رحمته الله ، مع أن أستاذه المرتضى استدل بها ، وأستاذهما المفيد ، وغيرهم ، رحمهم الله.

نعم يصح القول إن الشيخ الطوسي أكثر فقهاءنا استدلالاً بقاعدة اللطف في الفقه والتفسير ، كما نلاحظ ذلك في مبسوطه وتبيانته رحمته الله.

وقد نبه السيد الخوئي رحمته الله الى ضرورة أن لا يسبب الهجوم على موارد القاعدة في الفقه مساساً بها في العقائد ، فقال في أجود التقريرات: ٣٧/٢:

(الجهة الثانية في بيان أن العقل هل يدرك الحسن والقبح بعد الفراغ عن إثبات أنفسهما أم لا ؟ والتحقيق أن يقال إن العقل وإن لم يكن له إدراك جميع المصالح والمفاسد ، إلا أن إنكار إدراكه لهما في الجملة وبنحو الموجبة الجزئية مناف للضرورة أيضاً ، ولولا ذلك لما ثبت أصل الديانة ، ولزم إفحام الأنبياء ﷺ ! إذ إثبات النبوة العامة فرع إدراك العقل لقاعدة وجوب اللطف ، كما أن إثبات النبوة الخاصة بظهور المعجزة على يد مدعيها فرع إدراك العقل قبح إظهار المعجزة على يد الكاذب ، ومع إنكار إدراك العقل للحسن والقبح بنحو السالبة الكلية ، كيف يمكن إثبات أصل الشريعة فضلاً عن فروعه). انتهى .

وكلامه ﷺ واضح في أنه لا يقبل قاعدة اللطف في الفقه ، ولكنه يقبلها في العقائد ، غير أن موقفهم العام منها في الفقه يبقى أكثر تأثيراً على الفقيه ، ولذا قال السيد الخوئي ﷺ في جواب سؤال كما في صراط النجاة: ٤٤٥/٢:

(سؤال ١٤٠٣: قاعدة اللطف التي ناقشتموها في الأصول صغرى وكبرى ، على ما في مصباح الأصول ، في مناقشتكم لشيخ الطائفة التي استدلت بها جمع من أصحابنا على وجوب الإمامة ، لأنها من صغرياتنا ، هل يمكن الاستدلال على هذه الكبرى ، بما دل من القرآن الكريم على أنه لطيف بعباده ، فتكون الإمامة من صغريات ما دلت على الكبرى المستفادة من الكتاب العزيز ، أم أن اللطف المشار إليه في القرآن الكريم غير اللطف المصطلح الذي تكون مسألة وجوب الإمامة من صغرياتنا ؟

الخوئي: نعم هو كما كتب ، لا يدل على صحة الاستدلال بالقاعدة إن تمت القاعدة ، ولا دلالة للآية الشريفة في أدلة الأحكام كما زعم). انتهى .

ولعل أهم إشكالاتهم على تطبيقات قاعدة اللطف في الفقه أن اللطف الواجب

على الله تعالى ، إنما هو اللطف الواقعي وليس ما نتصوره لطفاً !
ثم إن اللطف الواجب هو اللطف التي تمت مقتضياته وفقدت موانعه ، ولا علم
لنا بتحقيق ذلك ، بعكس الأمر في أصل النبوة والإمامة والعصمة. (راجع هداية
المسترشدین للشيخ محمد تقي الرازي: ٧٣٧/٢).



ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف

كان الطابع العام لخطاب علماء المسلمين سنة وشيعة الإستدلال بـ(النقل) ، أي
بنصوص الكتاب والسنة ، إلى أن ظهر في مطلع القرن الثالث الأسلوب الكلامي
الفلسفي ، بسبب اتساع ترجمة الكتب اليونانية ، خاصة في عهدي الرشيد
والمأمون ، فأخذ علماء السنة يستعملونه في خطابهم ، ويكتبون فيه مؤلفاتهم ،
في الكلام والفقه والتفسير !

وقد بقي علماء الشيعة متمسكين في تأليفهم وخطابهم بالأسلوب التقليدي
فحفظوا مؤلفاتهم وخطابهم لقرنين بعيدة عن التأثير بالأسلوب الفلسفي اليوناني .
لكن بحلول القرن الخامس حدثت ثلاثة تطورات على أسلوب علماء الشيعة:
الأول ، ظهر على يد المفيد رحمته الله الذي كان يعيش في العاصمة بغداد ، حيث
رأى أن اللازم أن يكتب علماء الشيعة بأسلوب العصر ، ويردُّوا الشبهات عن
المذهب بنفس أسلوبها الذي كتبها فيه علماء السنة في عصره وقبلهم !

من هنا اتجه هو وتلاميذه الكبار كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي رحمهم الله
إلى التأصيل بلغة عصرهم ، وكان رحمته الله ينتقد من قبله بأنهم اقتصروا على النقل
فقلدوا ولم يتعمقوا ولم يحتهدوا !

قال عن الشيخ الصدوق عليه السلام في مسألة الإرادة والمشئنة: (قال الشيخ أبو جعفر عليه السلام): نقول: شاء الله وأراد ، ولم يحب ولم يرض ، و شاء عز اسمه ألا يكون شئ إلا بعلمه ، وأراد مثل ذلك.

فعلق عليه المفيد عليه السلام بقوله: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر عليه السلام في هذا الباب لا يتحصل ، ومعانيه تختلف وتتناقض ، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل ، ويعمل على ما يوجب الحجة ، ومن عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه. والحق في ذلك: أن الله تعالى لا يريد (تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٤٨) .

وقد اشتبه الأمر على المفيد عليه السلام فإن الصدوق عليه السلام لم يقل ذلك تقليداً ، بل عمل بأحاديث غفل عنها المفيد ، وهي تجعل الإرادة الإلهية أنواعاً منها الإرادة بمعنى السماح التكويني ، وهذا معنى أنه لا يكون شئ في الكون إلا بإرادة. ففي الكافي: ١٥٠/١: (عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم ، قلت: وأحب؟ قال: لا ، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يحب؟ قال: هكذا خرج إلينا). (راجع: تعليق الطباطبائي على الحديث ، والكافي: ١٥٧/١ ، والمحاسن للبرقي: ٢٤٤/١ ، والحدائق الناضرة: ٤٥٢/١٣ ، وتفسير الميزان: ٧٤/١٣ و: ٩٠/١٩).

فالملاحظة الأولى على المتجددين ، أن التقليديين أكثر إحاطة منهم بأحاديث النبي وأهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما ينبغي ملاحظته عند إشكالاتهم عليهم. والملاحظة الثانية ، أن المتجددين مع جهدهم المشكور في التأصيل ، واستعمالهم لغة الخطاب العصرية ، إلا أنهم قد يبالغون في الإعتماد على ما أصْلَوْه ، ثم يكررونه حتى يتخيل المخالف أن هذا كل دليلهم في المسألة !

وهذا ما حدث في قاعدة اللطف حيث تراها في مؤلفات المفيد وتلاميذه رحمهم الله ،
أبرز ما استدلوا به على بعثة الأنبياء والأوصياء وعصمتهم عليهم السلام ، حتى جاء بعدهم
الفخر الرازي فتخيل أنه إن رد قاعدة اللطف فقد رد مذهب الشيعة بكامله !
قال في المحصول ص ١٢٤: (فهذا ما على هذه الطريقة من الاعتراضات ومن
أحاط بها تمكن من القدح في جميع مذاهب الشيعة أصولاً وفروعاً ، لأن
أصولهم في الإمامة مبنية على هذه القاعدة ، ومذاهبهم في فروع الشريعة مبنية
على التمسك بهذا الإجماع. والله أعلم) انتهى.

طبعاً نحن لانصدق ما زعمه الفخر الرازي ، وقد ظهر شكه هو في تعميمه
بقوله (والله أعلم) ، لكنه قرأ للسيد المرتضى والشيخ المفيد فوجد قاعدة اللطف
محور استدلالهم على الإمامة والعصمة ، فدبج صفحات في مناقشتها دون أن
يسميها ، وطمع في أن يصدق القارئ كلامه هذا .

ولو وجد أن المحور في استدلالهم الآيات والأحاديث كآية التطهير وحديث
الثقلين وحديث علي مع القرآن والقرآن مع علي ، والعشرات من أمثالها ، وأن
قاعدة اللطف ليست إلا تأصيلاً عقلياً مكماً للدليل ، لما طمع بذلك !
والنتيجة: أن قاعدة اللطف قاعدة عقلية ، يدرك أصلها العقل ويقطع به ، لكنه
لا يدرك تفاصيلها ، ولذلك لا بد من الإقتصار في الاستدلال على القدر المتيقن
منها ، وعدم تجاوزه إلى الاستحسانات والإحتمالات .

أما ما دل عليه القرآن والسنة من أصلها أو تفاصيلها ، فيرتقي عن كونه
استحساناً واحتمالاً عقلياً ، ويكون حياً من خالق العقل سبحانه.



أما التطور الثاني ، على أسلوب علماء الشيعة ، فهو تأثير احتكاكهم بثقافة الروم
عن طريق علماء حلب ، والذي ورثه علماء جبل عامل بشكل خاص .

والتطور الثالث ، تأثير الفلسفة اليونانية بعد أن اجتهد فيها المسلمون وحاولوا إخضاعها لثقافة الإسلام ، واستعملوا أسلوبها في خطابهم ومؤلفاتهم ، واتجاهاتهم العقدية والعرفانية .

ولا يتسع المجال لبسط الكلام في صفات وإيجابيات وسلبات هذه الإتجاهات في أسلوب الفهم والخطاب ، وتأثيرها أحياناً على المضمون .



كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم

اتفق علمائنا على أن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام معصومون ، عن كل معصية وكل ما يشين شخصيتهم الربانية السامية .

وبحثوا في حدود العصمة ، وأدلتها ، والموارد التي فيها إشكال أو سؤال . ثم بحثوا في ماهية العصمة فاتفقوا على أنها من فعل الله تعالى ، وبما يحفظ حرية اختياره ومسؤوليته عن عمله .

وعندما تأملوا في كيفية حصولها للمعصوم عليه السلام ، والوسائل التي يستعملها الله تعالى لتحقيقها ، وجدوها متعددة وأكثرها مجهولاً لنا ، فقالوا إنها ألطف إلهية من الله تعالى لعبادة المكرمين ، وعرفوا العصمة بأنها لطف إلهي بالمعصوم يمنعه من الوقوع في المعصية وما يشين .

وهذا موقف علمي صحيح من كيفية عصمة الله تعالى لخاصة عباده عليهم السلام ، لكننا لانعدم نصوصاً تعطينا أضواءً مهمة على الوسائل الربانية في العصمة ، منها:

١- ينبغي أن نتذكر السلطة الإلهية والهيمنة الكاملة على كل الوجود ، وهي سلطة أعمق ، وأكثر تنوعاً ، من كل ما نعرف من سلطات .

قال الله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. (الأنعام: ٥٩-٦٢).

وقال تعالى: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. (الرعد: ١٠-١١).

وقال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. (التوبة: ٧٨).

وفي حديث النبي وأهل بيته عليهم السلام من تفصيل هذه الآيات وتفسيرها ما يخشع له العقل القلب. قال الشريف المرتضى في الأمالي: ٢/٢: (إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي (ص) يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله (ص) عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. وعما يرويه أنس قال قال رسول الله (ص) ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبت ثبته وإن شاء أن يقلبه قلبه .

وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم سلمة زوج النبي (ص): ما كان أكثر دعاء النبي (ص)؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقالت قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟ فقال: يا أم سلمة ما من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل ، ما شاء أقام ،

وما شاء أزاغ. فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟
أوليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول ،
لا يجب ردها والقطع على كذب راويها ، إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة
مخرج ولا تأويل....

ثم استعرض معنى الإصبع وأنها تستعمل بمعان مجازية في لغة العرب وشعرهم ،
وقال: (فكانه عليه السلام لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على قلب القلوب
وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة ، وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن
منه ، فقال إنها بين إصبعين من أصابعه ، كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ
الطويل ، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى). انتهى.

وفي قصص الأنبياء للجزائري ص ٤٧١: (بينما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل
بمسحاة ويثير الأرض ، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ
المسحاة واضطجع ، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم أردد إليه الأمل ، فقام
يعمل بمسحاته ، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا اعمل إذ قالت لي نفسي:
إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحاة واضطجعت ، ثم قالت لي
نفسي: والله لا بد لك من عيش ما بقيت ، فقممت إلى مسحاتي). (وتاريخ
دمشق: ٤٧٠/٤٦٨ ، ومستدرك سفينة البحار: ١/١٨٥ ، عن مجموعة ورام).

٢- إن كل شخص منا يحيط به بضعة ملائكة يعملون بأمر الله تعالى ، فكيف
بالمعصوم؟ قال الله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ. (هود: ٥٧) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. (الأنفطار: ١٠-١٢). إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. (الطارق: ٤).
لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (الرعد: ١١).

٣- وسائل الفعل الإلهي كثيرة ، وهي أوسع وأعمق مما نتصور ! قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. (الفتح: ٤)، وقد ذكر في الآية إنزال روح السكينة على قلوب المؤمنين ، وهي كما في الأحاديث روح خاصة ترافق المؤمن وتوجب اليقين في فكره والطمأنينة في نفسه ، وهي نوع من أنواع جنود السماوات والأرض ، التي تشمل أنواعاً كثيرة من المخلوقات ، والقوى المنظورة وغير المنظورة ، المتصورة لنا وغير المتصورة !

٤- من وسائل العصمة أن الله يبعث ملكاً يرافق المعصوم ويكلمه ويرشده ، قال علي عليه السلام يصف رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره). (نهج البلاغة: ١٥٧/٢).

وفي حلية الأبرار للسيد البحراني: ٣٤/١: (قرن جبرائيل بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ثلاث سنين ، يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ويعلمه الشئ بعد الشئ ، ولا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة غير مبعوث إلى الأمة). (عن المناقب: ٤٣/١).

٥- ومن وسائل العصمة أن الله تعالى يلقي حالة خاصة على شخصية المعصوم من الخشوع والإحساس بوجود الله تعالى ، فيعيش كل حياته حالة استحضار لربه عز وجل وحضور بين يديه ، وكفى بذلك عاصماً له عن معصيته. وتحدث هذه الحالة له في آخر دقيقة من حياة المعصوم السابق عليه السلام.

ففي بصائر الدرجات ص ٤٩٧: (باب الوقت الذي يعرف الإمام الأخير ما عند الأول. حدثنا محمد بن الحسين ، عن علي بن أسباط ، عن الحكم بن مسكين ، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: يعرف الإمام الذي بعده علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه). (وروى حديثين آخرين مثله. وروى الكليني في الكافي: ٢٧٤/١ ، ثلاثة أحاديث):

وفي بصائر الدرجات ص ٤٨٦: (باب في الإمام متى يعلم أنه إمام. حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن الإمام متى يعلم أنه إمام حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضي؟ مثل أبي الحسن عليه السلام قبض ببغداد وأنت هاهنا؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه. قلت: بأي شيء؟ قال: يلهمه الله ذلك.....

حدثنا محمد بن عيسى.... قال: بينا أبو الحسن عليه السلام جالس مع مؤدب له يكنى أبا زكريا وأبو جعفر عليه السلام عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدبه ، إذ بكى بكاء شديداً ، سأله المؤدب ما بكائك؟ فلم يجبه ، فقال: إئذن لي بالدخول فأذن له ، فارتفع الصياح والبكاء من منزله ، ثم خرج إلينا ، فسألناه عن البكاء فقال: إن أبي قد توفي الساعة. فقلنا: بما علمت؟ قال: دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك ، فعلمت أنه قد مضى ! فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر ، فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت....

عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، مضى أبو جعفر ! فقيل له: وكيف عرفت ذلك ؟ قال: تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها . انتهى .

٦- أن المعصوم تحدثه الملائكة وتوجهه عند اللزوم ، ففي الكافي: ٢٧١/١:
(عن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون..... عن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدث عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص. فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطي السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك.....
ثم روى عن الإمام الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام كان محدثاً فسأله حمران: من يحدثه؟

فقال: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده هكذا: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنه ﷺ قال: وفيكم مثله).

٧- أن الله يؤيد المعصوم بملك خاص. والأحاديث في ذلك عديدة ، منها ما رواه في الكافي: ٢٧٣/١: (عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ؟ قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده....

عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا؟ فقال: منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد ، ﷺ ما صعد إلى السماء وإنه لقينا....

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة وهو من الملكوت .

عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم ، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال ، أم في الكتاب عندكم تفرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب ، أما سمعت قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية ، أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون ، فقال: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب ، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم ، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء ، فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم....

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ

مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممن مضى ، غير محمد ﷺ وهو مع الأئمة يسددهم ، وليس كل ما طلب وجد). انتهى.

وفي الكافي: ٢٧٤/١: (عن سعد الإسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين ﷺ يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين: جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل ، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له: أمير المؤمنين: إنك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبية ﷺ: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم). انتهى.

وفي الكافي: ٢٧١/١: (عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله ﷺ: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. (الواقعة: ٧-١١) فالسابقون هم رسل الله ﷺ وخاصة الله من خلقه ، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء ، وأيدهم بروح الإيمان فيه خافوا الله عز وجل ، وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتها طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون. وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فيه خافوا الله ، وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله ، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتها طاعة الله ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون....

عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ قال: سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها

لا تلهو ولا تلعب...

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو. والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به). انتهى.

٨- قلنا في دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة: وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به.

٩- وردت أحاديث عديدة في صفات ومقامات للنبي والأئمة عليهم السلام، تُعتبر كل واحدة منها من وسائل الله تعالى في عصمتهم، صلوات الله عليهم، ويطول الكلام لو أردنا عرضها ولو إجمالاً، لذا نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

فمنها: عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فقد روى الكليني في الكافي تحت هذا العنوان: ٢١٩/١، عدة أحاديث، منها: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبراها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ.

وسكت.... عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **إِعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**؟ قال: هم الأئمة....
عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام:
أدع الله لي ولأهل بيتي ، فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة ! قال: فاستعظمت ذلك فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: **إِعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام . انتهى .

وفي الكافي: ٣٨٧/١: (عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الإمام ليسمع في بطن أمه ، فإذا ولد خط بين كتفيه: **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ، فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور ، يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة). انتهى .

ومنها: أن الله تعالى أعطاهم من إسمه الأعظم أضعاف ما أعطى غيرهم ، ففي الكافي: ٢٣٠ / ١: (عن علي بن محمد النوفلي ، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان ، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين ! وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً. وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب). انتهى .

ومنها: أن قوة نفس المعصوم عليه السلام وقربه من الله تعالى ، يجعل رغبته وتوجهه النفسي إلى الشيء كافياً لأن يكشفه الله له: ففي الكافي: ٢٥٨/١: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك).

ومنها: أنهم أصحاب ليلة القدر الذين تنزل عليهم الملائكة بأمر الله فيها. ففي

الكافي: ٢٤٧/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: (إن ليلة القدر في كل سنة ، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة ، وإن لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله) فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صليبي أئمة محدثون . انتهى .

أقول: وهذا باب واسع ، يفهم منه الكثير من عطاءات الله وأفعاله عز وجل في عصمة أنبيائه وأوصيائهم عليهم السلام ، وإن كان الكثير منه مختصاً بالنبي وآله صلى الله عليه وآله لا يشرکهم فيه غيرهم ، فالمعصومون درجات .

درجات العصمة واللفظ بالمعصومين عليهم السلام

نص القرآن الكريم على أن الله تعالى جعل مخلوقاته درجات ، وفضل بعضها على بعض ، لأسباب وحكم وأسرار يعلمها عز وجل . وهذه أهم آيات التفضيل:

تفضيل بني آدم على كثير من المخلوقات

قال الله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا . (الإسراء: ٧٠).

تفضيل بعض الناس على بعضهم في الرزق والتكوين

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادٍّ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) . (النحل: ٧١).

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) . (الأنعام: ١٦٥).

(أَهُمْ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ . وَلَوْلَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا

مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبَاسَاتٍ لَّهُمْ أَوْبَاءٌ وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَبَّرُونَ. وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. (الزخرف: ٣٢-٣٥).

تفضيل الرجال على النساء

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالضَّالَّاتُ قَانَتَاتٌ فَاحْفَظَاتٌ لِلْغَيْبِ). (النساء: ٣٤).
(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). (النساء: ٣٢).

تفضيل المجاهدين على القاعدين

(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. النساء: ٩٥ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء: ٩٦)
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. المائدة: ٥٤)

تفضيل العلماء على غيرهم

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). (المجادلة: ١١).

التفضيل في الآخرة أكبر منه في الدنيا

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا. (الاسراء: ١٩-٢١).

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا.

(النساء: ٦٩-٧٠).

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا. (النساء: ١٧٥).

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ آتٍ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (الشورى: ٢٢).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ. كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ. لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (الدخان: ٥١-٥٧).

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. الحديد: ٢١)

تفضيل بعض الأنبياء ﷺ على بعض

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. (الإسراء: 55))

تفضيل بعض الرسل ﷺ على بعض

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. (البقرة: ٢٥٣).

تفضيل إبراهيم وآل إبراهيم ومن معهم ﷺ

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. (الأنعام: ٨٣-٨٤)

تفضيل آل إبراهيم عامة

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَن آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. (النساء: ٥٤-٥٥).

تفضيل داود وسليمان عليهما السلام خاصة

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. (النمل: ١٥-١٦).

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَاللَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. سبأ: ١٠)
 أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. سبأ: ١١
 وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. (سبأ: ١٠-١٢).

تفضيل نبينا ﷺ

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ. (الشرح: ١-٤) (إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا). (الإسراء: ٨٧).

(وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). (النساء: ١١٣).

تفضيل آل محمد ﷺ

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نِزْدًا لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ). (الشورى: ٢٣).

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). (الأحزاب: ٣٣).

(سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ). (الصافات: ١٣٠).

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ). (فاطر: ٣٢).

تفضيل اليهود على الأمم المعاصرة لأنبيائهم

(يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ).

(البقرة: ٤٧ و١٢٢) (قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأعراف: ١٤٠).

تفضيل أمة رسول الله ﷺ

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (الجمعة: ٢-٥).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى

شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (الحديد: ٢٨-٢٩). (قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (آل عمران: ٧٣-٧٤)

عصمة نبينا وآله ﷺ أرقى أنواع العصمة

أجمع المسلمون على أن نبينا محمداً ﷺ أفضل الخلق عند الله تعالى ، وأنه صاحب لواء رئاسة المحشر يوم القيامة ، وقد روى ذلك جميعهم . لكن رواة السلطة وقعوا في التناقض ، فرووا ذلك ورووا ضده أيضاً ! وفضلوا بعض الأنبياء على نبينا ﷺ كما في البخاري ! وقد بحثنا ذلك في كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين ﷺ) ، مسألة ١٣٧.

فقد امتاز الشيعة بالقول إنه ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق ، وإن درجة عصمته أعلى من درجة عصمة جميع الأنبياء ﷺ ، فالأفضلية استحقاق بالعمل وبعمق الوعي والعبودية ، والعصمة استحقاق يتناسب مع مستوى العمل.

ويكفي دليلاً عليه قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، فهذه رتبة عظيمة لم تثبت لأحد من الأنبياء ﷺ ، ومن عصم الله منطقته عن الهوى فجعله وحياً يوحى ، فقد عصم فعله أيضاً ، أو بطريق أولى ! حيث لا يمكن تصور عصمة لسان أحد عن المعصية والخطأ بدون عصمة بقية جوارحه ! هذا مضافاً إلى الآيات الأخرى ، والأحاديث الصحيحة المتواترة ، التي نصّت على مقامه الفريد ﷺ ودرجة عصمته الخاصة ، ودلت على أن درجة عترته الطاهرين ﷺ تلي درجته ﷺ مباشرة .

وقد رواها معنا رواة الخلافة أيضاً ، ولكنهم عملوا على تأويلها أو تضعيفها ، ومنها الحديث الصحيح المعروف: (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة ، أنا ، وعلي أخي ، حمزة عمي ، وجعفر بن عمي ، والحسن ، والحسين ، والمهدي). وقد استوفينا مصادره وتصحيحه عند الطرفين في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٩٨/١ ، ومن ذلك تصحيح الحاكم له على شرط مسلم: ٢١١/٣ .

وينبغي الإلفات إلى أن مقام حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ، يلي مقام المعصومين من العترة عليهم السلام ولا يتقدم على أحد منهم ، كما قد يتوهم من ظاهر الحديث ، فهما مرضيان غير معصومين رضي الله عنهما ، والعصمة عندنا مختصة بمن دل عليهم النص النبوي فقط ، وهم العترة ، أو أهل البيت بالمعنى الأخص: علي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي عليه السلام. وهم المعنى النبوي المصطلح لأهل البيت ، وآل محمد ، والعترة ، في مقابل المعنى اللغوي الأوسع منهم .

ومنها ، حديث النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام ، الذي رواه الصدوق في كمال الدين ص ٦٦٢ ، عن سلمان قال: (كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك ! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا ، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه ، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعة فاخترني من خلقه فجعلني نبياً ، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختر منها زوجك ، وأوحى إلي أن أزوجك إياه ، وأتخذة ولياً ووزيراً ، وأن أجعله خليفتي في أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله ، وبعلك خير الأوصياء ، وأنت أول

من يلحق بي من أهلي.

ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاخترت ولديك ، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيذا شباب أهل الجنة ، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون ، وأول الأوصياء بعدي أخي علي ، ثم حسن ، ثم حسين ، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي ، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم ! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي ، وخير أهل بيتي ، أقدمهم سلماً وأعظمهم حُلماً ، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله ﷺ... (الحديث). (ورواه في شرح الأخبار: ١/٢٢١، عن أبي سعيد الخدري ، والطبري في المسترشد ص ٦١٣، بتفصيلات أخرى..الخ).

وروت منه مصادر الخلافة فقرات مهمة بسند صحيح ، كالطبراني في الكبير: ٥٧/٣ والصغير: ٦٧/١، وابن عساكر: ١٣٠/٤٢، والطبري في ذخائر العقبى ص ١٣٥، وابن الأثير في أسد الغابة: ٤/٤٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢٥٣ ، ولم يضعفه أحد منهم غير الذهبي في القرن الثامن ! بحجة ضعف أحد رواه (الهيثم بن حبيب) الذي قال عنه الهيثمي في الزوائد: ٣/١٩٠: وأما الهيثم بن حبيب فلم أرَ من تكلم فيه غير الذهبي اتهمه بخبر رواه ، وقد وثقه ابن حبان). انتهى.

بل وثق الهيثم هذا كبار أئمة الجرح والتعديل عندهم كأحمد وأبي عوانة وشعبة وأبي حاتم وأبي زرعة وغيرهم ، كما بيناه في (جواهر التاريخ: ١/١١٥) ووقع الهيثمي والذهبي فيه في التناقض أو الكذب !



ونكتفي بهذا القدر في تفضيل نبينا ﷺ على بقية الأنبياء عليهم السلام ، وقد تعرضنا له في مؤلفاتنا الأخرى ، وبيننا أن مقام عترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يلي مقامه مباشرة ، بل هو ملحق به ، وجزء لا يتجزأ منه.



النبي ﷺ وعترته المعصومون ﷺ منظومة خاصة لا يُقاس بهم أحد

العصمة هي الإمتناع بالله تعالى عن جميع معاصي الله ، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام ، وهي مقام رباني عظيم دون شك ، غير أن مقام النبي وآله ﷺ أعلى منها بكثير ! ويكفي لذلك قوله تعالى عن نبيه ﷺ: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، وهي أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها إنسان .

وقول النبي ﷺ في الحديث المتواتر عن أهل بيته عليه السلام: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. فقد جعلهم عدلاً للقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهم مثله لا يأتهم الباطل ، وهم ورثة القرآن ، وحجة الله في بيانه وهداية الأمة به .



وقد روت مصادر الخلافة قليلاً ، وروت مصادرنا كثيراً ، من الأحاديث التي تكشف عن مقامهم العظيم ، وأنهم مشروع رباني مميز ، منذ تكوين الكون ، وفي مسيرة وجوده ، إلى ختامها بالحياة الآخرة.

ولا يتسع المجال لبحث مفرداتها ولا لعرضها ، فنكتفي بالإشارة إلى أهمها:

١- صحت الأحاديث بأن الله تعالى أول ما خلق أنوارهم عليه السلام من نور عظمتته قبل خلق الخلق.

٢- وأن وجود المعصوم على الأرض ضرورة ، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً ، وإلا لساخت الأرض بأهلها .

٣- وأن الله تعالى جعلهم واسطة في فيض عطائه على الوجود .

٤- وأعطاهم ما شاء من الولاية التكوينية والتشريعية .

٥- وفرض ولايتهم على الأنبياء والأوصياء السابقين عليه السلام .

- ٦- وفرض ولايتهم على هذه الأمة ، فلا يقبل من أحد عملاً إلا بها .
٧- وأن دولة العدل الإلهي ستقوم على يدهم ، وتستمر إلى يوم القيامة .



درجة شيعة النبي وآله ﷺ في أحاديث الطرفين

بل دلت الأحداث الصحيحة على أن شيعة أهل البيت ومحبهم عليهم السلام ملحقون بدرجةهم يوم القيامة ، ومن ذلك الحديث المشهور الذي رواه أبو داود والترمذي ، وأحمد ، والطبراني وغيرهم ، وهو حديث صحيح لا يمكن لأحد أن يطعن في أحد من رواته. وقد رويناه نحن بنفس السند كما في كامل الزيارات ص ١١٧: (عن أبي سعيد قال: حدثنا نصر بن علي قال: حدثنا علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر قال: أخذ رسول الله ﷺ بيد الحسن والحسين فقال: من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة). (ورواه الصدوق في الأمالي ص ٢٩٩، وغيره) .

ورواه منهم كثيرون كالترمذي: ٣٠٥/٥ ، قال: (حدثنا نصر بن علي الجهضمي أخبرنا علي بن جعفر بن محمد بن علي قال أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب أن النبي (ص) أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه) .

ورواه الطبري في الكبير: ٥٠/٣ ، والصغير: ٧٠/٢ ، وابن عساكر: ١٩٥/١٣ و١٩٦ ، وفي هامشه: مسند أحمد: ٧٧/١ ، وأسد الغابة: ٢٩/٤ .

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٢٨٩/١٣ وقال: قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما

حدث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكل بضربه ألف سوط ، وكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة ، ولم يزل به حتى تركه ، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى). انتهى .

ورواه المزي في تهذيب الكمال: ٣٥٤/٢٠ ، وقال: (رواه عن نصر بن علي ، فوافقناه فيه بعلو ، وقال: غريب لا نعرفه من حديث جعفر إلا من هذا الوجه. وقد كتبناه من وجه آخر عن نصر بن علي في ترجمة الحسين بن علي). انتهى .

(ورواه المزي في: ٣٦٠/٢٩ ، وذكر قصة المتوكل. وأسنده القاضي عياض في الشفا: ٤٩/٢ ، بنحو القطع إلى النبي ﷺ ، ورواه كنز العمال: ١٠٣/١٢ ، و٦٣٩/١٣ ، عن مصادر أخرى. وأسنده البيهقي في لباب الأنساب: ٢٦/١ بنحو القطع إلى النبي ﷺ).

ورواه الهيثمي في الصواعق: ٤٠٦/٢ ، وقال: (وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

ورواه الذهبي في سيره: ١٣٥/١٢ ، وشهد بوثاقة رواته ، لكنه رده بخلاً بدرجة النبي ﷺ على الذين يحبون عترته ! قال: (قلت: هذا حديث منكر جداً.... ثم ذكر قصة المتوكل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقال: قلت: والمتوكل سني ، لكن فيه نصب. وما في رواية الخبر إلا ثقة ! وما كان النبي (ص) من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما في درجته في الجنة ، فلعله قال: فهو معي في الجنة. وقد تواتر قوله ﷺ: المرء مع من أحب. ونصر بن علي ، فمن أئمة السنة الأثبات). انتهى .

والعجيب أن الذهبي قَبِلَ أن يكون محب العترة مع النبي ﷺ ، ولم يقبل أن يكون في درجته ! وكان عليه كما وسَّعَ معنى المعية ، أن يقبل توسيع الدرجة ! ولم يطعن الذهبي في علي بن جعفر الصادق ﷺ ، لكنه شكك في حفظه بدون

دليل ! إلا أنه لم يعجبه حديثه فشكك في حفظه !

كما ارتكب الذهبي تضعيف هذا الحديث في سيره: ٢٥٤/٣ ، فقال: (إسناده ضعيف والمتن منكر). انتهى. ولم يبين سبب حكمه بضعفه ، لأنه لا يستطيع أن يضعف أياً من رواته ! فهل هذا إلا هوى !

وتبعه الألباني فضعفه في ضعيف الترمذي ص ٥٠٤ ، والضعيفة ٣١٢٢ ، وتخريج المختارة ٣٩٢ ، تقليداً بإسم الإجتهد ، وتعصباً بإسم البحث العلمي !

ومن عسى أن يضعف الألباني والذهبي من رجال رواته ، التي تبدأ بنصر الذي اتفقوا على وثاقته وأنه من أئمة السنة ، عن علي بن جعفر الصادق عليه السلام الذي هو من رجال الترمذي ، ولم يجرحه أحد من علماء الجرح ، ثم يصل إلى سلسلة الذهب الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين قال أحمد بن حنبل عن إسنادهم: (لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه) !!

قال في هامش مسند زيد بن علي ص ٤٤٠: (أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق ، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة ، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلماناه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلايق برؤية طلعتة ، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه ، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ، ومتمرغ في التراب ، ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج ، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس ، أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم ، وكان

المستملي أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي ، فقال علي الرضا رضي الله عنه: حدثني أبي موسى الكاظم ، عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه زين العابدين ، عن أبيه شهيد كربلا ، عن أبيه علي المرتضى ، قال حدثني حبيبي وقره عيني رسول الله ﷺ قال حدثني جبريل عليه السلام قال حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: لا إله إلا الله حصني ، فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي. ثم أرخى الستر على المظلة وسار ، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه ! انتهى .

وقال أبو نعيم في الحلية: ١٩١/٣ ، بعد أن رواه بتفاوت يسير: (هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين ، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق). وقال ابن الشجري في الأمالي ص ٢٥ ، والقزويني في التدوين: ٤٨١/٣ ، بعد حديث بسند مشابه: (قال علي بن مهرويه: قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: لو قرئ هذا الاسناد على مجنون لأفاق). وقال الزمخشري في ربيع الأبرار ص ٦٧٣: (كان يقول يحيى بن الحسين الحسني في إسناد صحيفة الرضا: لو قرئ هذا الإسناد في أذن مجنون لأفاق).

وقال الإربلي في كشف الغمة: ١٣٤/١: (هذا الحديث نقله أحمد في مواضع من مسنده ، وهو حديث خطره عظيم ، ومجده كريم ، ووجده وسيم ، وشرفه قديم فإنه جعل درجة محبيهم مع درجته ، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم ، وههنا ينقاد المنقول والمعقول ، وهو ﷺ أعلم بما يقول). انتهى .



وأغرب من الألباني والذهبي: ابن تيمية الذي قال في منهاجه: ٣٩٧/٧: (فصل. قال الرافضي: الحادي عشر ، ما رواه الجمهور من وجوب محبته ومولاته. روى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة... وأورد عدة أحاديث أوردها العلامة الحلي رحمته الله في كتابه منهاج الكرامة الذي ألف ابن تيمية كتابه للرد عليه ، ثم قال:

(والجواب من وجوه: أحدها ، المطالبة بتصحيح النقل وهيئات له بذلك !
وأما قوله رواه أحمد فيقال: أولاً ، أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يرويه في المسند لما فيها من الضعف ، لكونها لا تصلح أن تروى في المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال .
ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات ، ثم إن القطيعي الذي رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات ، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة. وهذا الرافضي وأمثاله من شيوخ الرافضة جهال ، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه القطيعي أو عبد الله قد رواه أحمد نفسه ، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعي ، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه في المسند ، فقد رأيتهم في كتبهم يعززون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط ، كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما ، بسبب هذا الجهل منهم! وهذا غير ما يفترونه من الكذب فإن الكذب كثير منهم .
وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث ، فمجرد رواية أحمد لا توجب أن يكون صحيحاً يجب العمل به ، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة يُعرّف ويبين للناس ضعفها ، وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى

بسط ، لاسيما في مثل هذا الأصل العظيم.

مع أن هذا الحديث الأول من زيادات القطيعي ، رواه عن نصر بن علي الجهضمي ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر .الخ). انتهى .

وأول سؤال يرد في الذهن: لماذا افترض ابن تيمية أن راوي الحديث ابن حنبل وحده ؟ ألا يعرف أن له رواية آخرين عديدين ؟!

والجواب: أن هذه عادة ابن تيمية ! فهو يعرف أن للحديث مصادر عديدة غير مسند أحمد ، وأنه لا يمكنه تضعيف سنده ! لكنه تصور أن نقل العلامة الحلي له عن مسند أحمد نقطة ضعف ، لأن الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد وتلميذه القطيعي على مسند أحمد تحت نظره ، فركز هجومه عليها ! وصورَّ الأمر كأنه: هل كتب أحمد هذا الحديث بيده ؟ أو أضافه ولده أو تلميذه ؟

فلو قلنا لابن تيمية: حسناً ، اعتبره من رواية ابن أحمد أو القطيعي ، فما رأيك فيه ؟ هل تطعن في واحد منهما ، وهل تستطيع تضعيف رواية الحديث ؟! ثم نلاحظ أن ابن تيمية قال: (فقد رأيتهم في كتبهم يعززون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط ! كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما ، بسبب هذا الجهل منهم). انتهى .

وهذا يعني أنه قرأ الطرائف لابن طاوس رحمته الله ، وقرأ العمدة لابن البطريق رحمته الله ورأى أنهما نقلتا الحديث عن مسند أحمد !

أما في الطرائف ص ١١١ فقال: (ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده) انتهى ، فقد اقتصر في روايته على أحمد ، ونسبها إليه كغيره من علماء السنة ! لكن ابن البطريق رواه في العمدة في ص ٢٧٤ عن عبد الله بن أحمد عن الجهضمي .الخ. ورواه بعده في ص ٢٨٣ ، فقال: (ومن الجمع بين الصحاح الستة

لرزين العبدري في الجزء الثالث في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وبالإسناد المقدم من سنن أبي داود قال: عن علي عليه السلام قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكت ابتدأني وأخذ بيد الحسن والحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات ، كان متبعاً لستني كان معي في الجنة . انتهى .

فقد قرأ ابن تيمية روايته عن الجمع بين الصحاح أيضاً ، فلماذا أهملها؟! إنه لا يريد أن يبحث بحثاً علمياً ، لافي سند الحديث ولا في متنه ! بل همه أن يفتش عن شيء يتصوره نقطة ضعف ليهرج به ويترك كل ما سواه !

وهو حاضر لذلك أن يطعن في أحمد ومسنده وعبدالله بن أحمد والقطيعي ، من أجل أن يردّ فضيلة للنبي وعترته صلى الله عليه وآله ، لمجرد أن عالماً شيعياً استدل بها !

زيادة رزين العبدري عن أبي داود

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٥٠٠/٢: (من أحبني وأحب هذين يعني حسناً وحسيناً ، وأباهما وأمهما ، كان معي في الجنة في درجتي. زاد أبو داود (ومات متبعاً لستني). وبها يعلم أن مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة ، لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير بل تكون عليه وبالاً وعذاباً أليماً في الدنيا والآخرة). انتهى .

أقول: بقطع النظر عن تفسير ابن حجر المتوتر لهذه الزيادة ، فقد أخذها هو وغيره من رزين العبدري ، صاحب كتاب الجمع بين الصحاح ، حيث نسبها هو إلى سنن أبي داود ، ولا وجود للحديث في سنن أبي داود !

قال السيد البحراني في غاية المرام: ٤٨/٦: (الخامس عشر: الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث ، في باب مناقب الحسن والحسين من سنن أبي داود عن علي ، قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكت

ابتداني ، وأخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لستني كان معي في الجنة). انتهى .

ونص صاحب البحار: ٧٦/٣٧ ، على أن الزيادة من رزين نفسه ، فقد نقل الحديث عن ابن الأثير عن الترمذي ، ثم قال: (وذكر رزين بعد قوله: وأمهما: ومات متبعاً لستني غير مبتدع). انتهى.

وكذا السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: ١٧٨/٩ ، قال: (رزين العبدري في الجمع بين الصحاح (مخطوط) قال: إن النبي أخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لستني كان معي في الجنة). انتهى.

وأدق ما وجدناه قول الأذري في بشارة المحبوب بتكفير الذنوب ص ٦٦ ، بعد نقل الحديث: (رواه الترمذي. زاد رزين: ومات متبعاً لستني غير مبتدع). انتهى.

فكيف يصح نسبة الزيادة إلى أبي داود والحديث لا يوجد في سننه أصلاً! وحتى لو قلنا بنقص نسخة أبي داود الموجودة فلا يمكننا نسبة الزيادة إليه ، فيتعين أن تكون لرزين تعليقاً منه على رواية الترمذي ، كما ذكر الأذري .

على أن هذه الزيادة لو ثبتت لا تغير من الأمر شيئاً ، ولا تحتل ما حملها إياه ابن حجر فجعل اتباع سنة النبي ﷺ بمعنى اتباع أبي بكر وعمر! لأن اتباع سنة النبي ﷺ لا يتحقق إلا بحب أهل بيته ﷺ ولا يتحقق جهماً إلا بطاعتهم دون من خالفهم ، وأخذ سنة النبي ﷺ منهم دون ما خالفهم .

فهرس المجلد الخامس من كتاب العقائد الإسلامية

٩

الفصل الأول

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى ونفى العصمة عن الأنبياء ﷺ!!

- ١١ لماذا يحسد اليهود الشعوب التي عندها مقدسات ؟!
- ١٢ لم يكن اليهود موحدين حتى في عصور أنبيائهم ﷺ !
- ١٤ الإلحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين
- ١٥ افتراء اليهود على الله تعالى ونفيهم عنه العلم والعدل !
- ١٦ ووصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق !
- ١٦ ووصفوه بالطيش والغضب والظلم !
- ١٧ وزعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه !
- ١٧ ووصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء
- ١٧ ووصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط !
- ١٨ من إهانات اليهود لأنبيائهم ﷺ وافتراءاتهم عليهم !
- ١٨ من افتراءاتهم على إبراهيم ﷺ بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان !
- ١٨ واتهموا إبراهيم ﷺ بأنه تزوج سارة وهي أخته !
- ١٨ واتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطي ولم له يقل إن سارة زوجته !
- ٢٣ واتهموا نبي الله إسحاق ﷺ بنفس التهمة !
- ٢٤ واتهموا إبراهيم وبقية الأنبياء ﷺ بأنهم كانوا يشربون الخمر !
- ٢٤ وزعموا أن لوطاً سكن في سدوم اختلافاً مع إبراهيم ﷺ
- ٢٥ ونسبوا إلى سارة رضي الله عنها الظلم والقسوة !
- ٢٦ واتهموا إبراهيم ﷺ بأنه أطاع سارة وطردها وهاجر وابنها إسماعيل ﷺ !

- ٢٨ أما مصادرنا فتبرئ إبراهيم وعترته عليهم السلام من الظلم والمعصية
 ٣٢ واتهموا نبي الله هارون وموسى عليهما السلام بالشرك والمعاصي !
 ٣٣ واتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة !
 ٣٥ واتهموا يوشع عليه السلام بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان !
 ٣٦ وافتروا على سليمان عليه السلام أنه أشرك بالله تعالى
 ٣٦ النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
 ٣٩

الفصل الثاني

امتياز الشيعة عن اليهود والسنين بعقيدة العصمة التامة

- ٤١ نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة عليهم السلام

الفصل الثالث

من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة

- ٤٧ من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام
 ٥٠ وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تستوجب عصمتهم
 ٥١ ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام تستوجب عصمتهم
 ٥٢ العصمة من أول صفات الإمام عليه السلام
 ٥٣ أحاديث نصّت على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وعصمتهم
 ٥٨ كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام
 ٦٩ العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير

٧٣

الفصل الرابع

من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

- ٧٥ الأنبياء عليهم السلام معصومون مطهرون كاملون
- ٧٧ العصمة عن الذنوب ، والغلط ، والردائل ، والمنفرات
- ٧٨ أصل الأدلة عندنا على العصمة التامة للأنبياء والأئمة عليهم السلام الدليل العقلي
- ٩١ العصمة لاتعني الإجبار ، ولا تنافي الاختيار

١٠٣

الفصل الخامس

دفاع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام

- ١٠٥ الإمام الصادق عليه السلام يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء عليهم السلام
- ١٠٧ الإمام الرضا عليه السلام يدافع عن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام
- ١١٨ استغفار الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب
- ١٢٠ هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام تحت سيف هارون الرشيد !
- ١٢٧ مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمته الله يدافع عن عصمة نبيينا صلى الله عليه وآله
- ١٢٨ مرجع الشيعة السيد المرتضى رحمته الله يؤلف كتاباً في تنزيه الأنبياء عليهم السلام
- ١٢٩ مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام

١٤٧

الفصل السادس

معركة تنزيه الأنبياء عليهم السلام بين الشيعة ومخالفهم

- ١٤٩ موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها
- ١٤٩ معصية الأنبياء عليهم السلام ، ورد الأحاديث التي تزعم ذلك .
- ١٥٢ لاعصمة للأنبياء عليهم السلام عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون !
- ١٦٥ نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام
- ١٦٥ رأي الغزالي
- ١٦٨ رأي الآمدي

- ١٧٠ رأي القاضي عياض
- ١٧١ رأي الفخر الرازي
- ١٧٧ ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي
- ١٨٠ رأي ابن تيمية ومشبهة الحنابلة في عصمة الأنبياء ﷺ
- ١٨٠ ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء ﷺ!!
- ١٨٦ دفاع ابن تيمية عن اليهود وعن رواية الغرائق!
- ١٨٧ ابن تيمية يجوز أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريعاً!
- ١٨٩ الفصل السابع

البخاري ينقض عصمة الأنبياء ﷺ ويفتري عليهم

- ١٩١ صحيح البخاري مشحون بالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء ﷺ
- ١٩١ وبالقرشيات التي تطعن في نبينا ﷺ
- ١٩١ نبي الله إبراهيم ﷺ يكذب!
- ١٩٢ نبي الله موسى ﷺ غضوب بطّاش!
- ١٩٣ نبي الله موسى ﷺ يركض عارياً وراء ثيابه!
- ١٩٣ نبي الله سليمان ﷺ مفرط في الجنس، معرض عن ذكر الله!
- ١٩٤ البخاري يروي تفضيل نبينا ﷺ على الرسل والبشر
- ١٩٦ تراجع البخاري وفضل نبي الله موسى على نبينا ﷺ
- ١٩٦ لكنه فضل قريشاً على اليهود!
- ١٩٧ ويفضل عيسى ﷺ على نبينا ﷺ
- ١٩٨ ويروي النهي عن تفضيل الأنبياء على بعضهم!
- ١٩٩ الأنبياء ﷺ عند البخاري عصيون كما في التوراة!
- ٢٠٠ قرشيات البخاري في الطعن بنبينا ﷺ أسوأ من الإسرائيليات!
- ٢٠١ روايات البخاري المشينة في السلوك الشخصي لنبينا ﷺ

- ٢٠٢ البخاري يفتتح صحيحه بالطعن في نبوة نبينا ﷺ !
- ٢٠٤ غرائق قريش ومحاولات التغطية على البخاري !
- ٢٠٧ البخاري يروي فرية الغرائق في ست مواضع !
- ٢١٢ تناقض الفخر الرازي في حديث الغرائق !
- ٢٢٠ القاضي عياض أكثر علماء السنة اعتدالاً في عصمة نبينا ﷺ
- ٢٢٥ غرائق قريش يتصيدوا بروكلمان ومونتغمري
- ٢٢٦ ملاحظات على قصة الغرائق

٢٣٧ الفصل الثامن

عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء ﷺ !

- ٢٣٩ النبي ﷺ معصوم نظرياً ، وأبو بكر وعمر معصومان عملياً !
- ٢٤٠ عدالة الصحابة سياجٌ لعصمة أبي بكر وعمر !
- ٢٤١ اضطراهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر وبيعة الرضوان !
- ٢٤٣ عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء ﷺ
- ٢٤٨ النبي ﷺ أضعف من عمر إمام شيطانه !
- ٢٥١ وزعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر !
- ٢٥٢ وزعموا أن الملائكة ﷺ تحدث عمر !
- ٢٥٣ وألفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية !
- ٢٥٦ واخترع الذهبي قاعدة خاصة لعصمة عمر وأبي بكر !
- ٢٥٨ وغيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر وأبي بكر !
- ٢٥٩ ومن لعبهم بالألفاظ وادعائهم الأدب مع النبي ﷺ !
- ٢٦٠ ومنهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب وحفظ الأولياء !
- ٢٦١ التفتازاني: يرى عصمة أبي بكر وعمر وعدالة باقي الصحابة !
- ٢٦٣ نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل:
- ٢٦٩ أبو بكر وعمر معصومان عند الغزالي ، لكن لا يجب تقليدهما !

هل تشيع الغزالي في آخر عمره ؟ ٢٧٢

النقد الذاتي قليل نادر في علمائهم ٢٧٧

٢٧٩ الفصل التاسع

السلطة القرشية تتبع اليهود حَذَوُ القُذَّة بالقُذَّة والنعل بالنعل !

حَذَوُ اليهود.. من مصادرة الخلافة إلى ترك الصلاة ! ٢٨١

٢٨٩ الفصل العاشر

أعمال تحريفية واسعة من أجل فرض عصمة عمر وأبي بكر !

الأول: حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل ٢٩٢

الثاني: غيوا الآيات الصريحة في نقد الصحابة وذمهم ! ٢٩٧

الثالث: اخترعوا حديث : خير القرون قرني من أجل عصمة أبي بكر وعمر ! ٣٠١

الخط البياني للأمة.. نزولٌ ثم صعود ! ٣٠٧

تخطب الشراح في حديث خير القرون قرني ! ٣٠٨

الرابع : ردهم شهادات النبي ﷺ في انحراف الصحابة بعده ! ٣١٣

الخامس: قرنوا الصحابة بالنبي ﷺ في الصلاة عليه من أجل عمر ! ٣١٨

السادس: عصموا البخاري من أجل عصمة عمر ! ٣٢٦

السابع : نظرية إلجام العوام بيد المعتنين بأمر الدين ! ٣٣١

إلجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم ٣٣١

إلجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية ٣٣١

إلجام العوام عن قبول شهادة النبي ﷺ لقاتل عمار بالنار ! ٣٣٢

صحابي في النار ، رضي الله تعالى عنه ! ٣٣٣

إلجام العوام عن قبول شهادة ثقة النبي ﷺ وأمين سره ! ٣٣٥

إلجام العوام عن مؤامرة خير القرون لقتل النبي ﷺ ! ٣٣٨

إلجام العوام عن الكلام في اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم ﷺ ! ٣٣٨

- ٣٣٩ إلجام العوام عن نص القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا !
- ٣٤٠ ١- إلجام العوام بتميع الحقائق وحلف الإيمان المغلظة !
- ٣٤٢ ٢- إلجام العوام بتعليمهم إنكار الحقائق نهاراً جهاراً !
- ٣٤٣ ٣- إلجام العوام ، وتربية أطفال المسلمين على عصمة عمر !
- ٣٤٨ ٤- تعبئة العوام بوسائل الإعلام

٣٥١ الفصل الحادي عشر

العصمة والمعصومون في القرآن

- ٣٥٣ المعصومون ثمرة الوجود البشري
- ٣٥٥ آيات العصمة في القرآن
- ٣٥٥ الطائفة الأولى: آيات الإستخلاف
- ٣٦٥ الطائفة الثانية: آيات الإصطفاء الإلهي
- ٣٧٢ تفسير آية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
- ٣٩٧ الطائفة الثالثة: آيات الإستخلاص الإلهي

٤٢٧ الفصل الثاني عشر

العصمة وقاعدة اللطف